

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب



الثمن 100 فرنك

العدد التاسع
السنة الثانية

يونيه 1959
حجة 1378

العدد التاسع
السنة الثانية
يونيه 1959
حجة 1378

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



حديقة قصر من القصور المغربية التي يتمثل في تشييدها وهندستها وزخرفتها الطابع المغربي الاندلسي الجميل .

وتوجد مثل هذه القصور بكثرة في المدن المغربية العتيقة كفاس وتطوان ومراكش ومكناس وغيرها.

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع - بادارة المجلة .
تليفون 308-10 - الرباط.



كلمة العدد

وأذن في الناس بالحج

> وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعم فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمت الله فهو خير له عند ربه .
>
> قرآن كريم

الحج ـ كما هو معلوم ـ ركن من اركان الاسلام الخمسة التي لا يتم اسلام المرء الا بادائها جميعا .

وهو واجب مع الاستطاعة ، لا يصح ان يعوق المسلم عن القيام به الا العجز من مرض او فقر او اسر او ما الى ذلك. قال الله تبارك وتعالى: ((**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**)) .

وقد فرض الحج فى السنة السادسة من الهجرة ، وحج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك حجته المعروفة باسم ((**حجة الوداع**)) التي بلغ فيها الناس آخر تعاليمه وتوصياته فيما يتعلق بالايمان والطاعة واخلاص العبادة لله ، وفيما يتعلق ايضا بالقضايا الاجتماعية من شؤون الاسرة والمعاملات التجارية وغير ذلك ، كما بلغهم آخر ما انزل اليه من ربه : ((**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**)) .

والحقيقة ان الحج ليس كما يتصوره كثير من الناس ، مجرد طقوس واعمال معينة يؤديها المسلم بجوارحه فى اوقات معينة من السنة ، وانما هو فوق ذلك فرصة سنوية تتاح لكل مسلم ليقوم ـ مرة واحدة فى عمره اذا لم يكن فى امكانها ان يفعل ذلك اكثر من مرة ـ برحلة الى الله ، يهجر من اجلها بلاده واهله واولاده وصحبه ، ويهجر رتابة الحياة ، ومشاغلها

المادية ، وحاجاتها المعقدة ، وتفاهاتها التي يبلغ من تعلق الناس بها — بحكم العادة وتحكم الانانية — ان يقطعوا من اجلها ارحامهم ، وان يملأوا قلوبهم على بعضهم بالضغينة والحقد والكراهية ! !

انها رحلة الى الله يتجرد فيها الانسان من كل شيء حتى من ثيابه الانيقة التي الف ان يشغل بها جزءا من وقته وتفكيره واهتمامه ، ويقبل على ربه بسيطا متواضعا كما ينبغي للعبد ان يكون في حضرة مولاه . عاريا الا مما يستره في غير كلفة او اسراف ، متحللا من جميع القيود المصطنعة التي الف الناس ان يثقلوا بها كواهلهم ، مخلفا وراءه اللقب الكبير والوظيفة السامية والمركز المحترم ، ضائعا في غمرة الزحام ، فردا من الناس ، من هؤلاء الناس العراة الا مما يسترهم في غير كلفة او اسراف ، لا تميز فيهم غنيا من فقير ، ولا تعرف فيهم اميرا من مأمور ، ولا شريفا من مشروف ، كلهم امام الله سواء . ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

*

نعم ! ان اعمال الجوارح المفروضة في الدين جزء من العبادة لا تتم الا بها ، وللحج اركان وواجبات لابد من ادائها على الوجه المطلوب طاعة لله وامتثالا لاوامره ، ومع ذلك ، فان اعمال الجوارح هذه لن يكون لها من النفع الا بمقدار ما تكون ترجمانا صادقا عما يعمر القلب من الايمان بالله والاقبال عليه والاخلاص في طاعته وعبادته ، والسعي فيما ينفع المسلمين ويبعد الاذى عنهم ويحقق ارادة الله في نصرهم ورفع كلمتهم وتحقيق رغبتهم في الحياة الحرة الكريمة المحترمة .

والحج بعد ذلك كله، هو الفريضة الدينية الواحدة في الاسلام التي لا تؤدى الا في امكنة معينة ، يجب ان يؤمها المسلمون الذين يرغبون في تأدية هذه الفريضة من حيثما كانوا على وجه الارض ، في اقصى شرقها او غربها .

لماذا ؟

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات »

ومهما قيل في تفسير هذه المنافع فانها في القرآن مطلقة غير مقيدة ، وهي كثيرة من غير شك ، وان يكن من ابرزها فيما يتعلق بالمنفعة العامة للمجتمع الاسلامي، ان الحج في واقعه وبطبيعته مؤتمر سنوي للمسلمين يتعارفون فيه ، ويتعرفون على مشاكلهم وآلامهم وآمالهم ، ويتبادلون الراي والنصيحة والمعرفة .

وليس من اللازم لكي يكون هذا المؤتمر السنوي كامل النفع والفائدة، ان ينظم كما تنظم المؤتمرات اليوم، وان تنصب فيه السرادقات وتقام المهرجانات وتنصب المنابر للخطباء ليتباروا في اظهار فصاحتهم وقدرتهم على الكلام وانتزاع التصفيق والاعجاب ، ثم ليتقدم المنظمون للمؤتمر والمشرفون عليه بمقررات يصادق عليها بالاجماع لتنسى بعد ذلك ؛ وانما يكفي لكي يكون الحج مؤتمرا سنويا حقيقيا ان يقبل عليه كل مسلم ، وفي قرارة نفسه انه مقبل — فيما هو مقبل عليه — على مؤتمر اسلامي ، سيتاح له فيه ان يرى اخوانه من مختلف الجنسيات والاقطار والالوان واللغات واللهجات، وان يكون رهن اشارتهم ليزودهم بكل ما قد يحتاجون الى معرفته عن بلاده ؛ وليعرف منهم هو بدوره كل ما يحتاج الى معرفته عن بلادهم جميعا . ومع المعرفة تتوثق الروابط والصلات ، ويزداد الشعور بالاخوة والتضامن ، وتتضح المشاكل وتقترح الحلول .

ولا شك ان اكبر مشكلة يعانيها العالم الاسلامي في حاضره ، وتحتاج اكثر من غيرها للفت الانظار اليها وحمل الناس على الاهتمام بها والاحساس بخطرها والتبشير بانها منتصرة لا محالة ، هي قضية الكفاح من اجل الحرية ، وضد الاستعمار البغيض في اي شكل من اشكاله او لون من الوانه ، سواء كان شرقيا او غربيا ، وسواء كانت وسيلته هي الحديد والنار والمغالطة والمنطق المزيف ، او كانت وسيلته هي التبشير بنظام في الحياة بعينه ، ومحاولة حمل الناس على اعتناقه ، والكيد لهم في بلادهم اذا ما رفضوه او ثاروا عليه .

وليس هناك من شك ايضا في ان اكبر مثال لقضية الحرية في العالم الاسلامي اليوم ، هي قضية الجزائر المجاهدة ، الجزائر التي يستهدف فيها الاسلام والمسلمون لاحط ضروب المكر والتآمر والعنف والقسوة والخديعة . فما احرى المسلمين جميعا في مؤتمرهم السنوي هذا في موسم الحج ان يجعلوا قضية الجزائر قضيتهم الكبرى جميعا ، وان يولوها عنايتهم وتفكيرهم واهتمامهم ، وما احرى وفود الحجيج الواردة على الحرمين الشريفين من المغرب وتونس على الخصوص ان يكونوا لسان قضية الجزائر الناطق ودعاتها الذين

لا يعرفون الملل ؛ لا حمية من اجل قطر اسلامي شقيق فقط، ولكن ايضا لان وجود بلاديهما كدولتين مستقلتين تتمتعان بالاستقرار والاحترام والسيادة ، لا يمكن ان يتم على وجهه باي حال من الاحوال الا اذا تحررت الجزائر واستقلت ، والا اذا انسحب منها نهائيا شبح ذلك الاستعمار الذي ذاقت كل منهما ما يكفي لمعرفة خطره وغدره ووقاحته وسفالة اساليبه .

ان قضية الحرية في الجزائر ، هي قضية الحرية والكرامة في العالم الاسلامي بأسره ، وهي الامتحان العسير الذي يواجهه المسلمون اليوم ، ليثبتوا ما اذا كانوا جديرين بالحياة الحرة الكريمة التي ينشدونها ؛ ام ان ما يسمعه العالم منهم لا يعدو ان يكون مجرد كلام في كلام .

❋

ولكي تنتصر قضية الحرية في الجزائر ؛
ولكي ينجح المسلمون في الامتحان العسير الذي يواجهونه على ارضها ؛ ولكي تنتهي المعركة بالنصر ؛ فان على المسلمين جميعا – حكومات وشعوبا – ان يجودوا للجزائر بالمال ، وبالمال الكثير جدا ؛ بالمال الوفير في غير تحفظ او احتياط او مراجعة ، ذلك لان الاستعمار الذي تخوض الجزائر المعركة ضده من ورائه جيوشه واساطيله وحلفاؤه واحلافه العسكرية ؛ وليس وراء الجزائر في المعركة الا الضمائر الانسانية الحية في العالم ، وهو عامل لا يستهان بقيمته وخطره ، ولكن حيوية الضمائر وانسانيتها لا تشتري سلاحا ولا تضمن دواء ولا تستطيع ان تمون جيشا يخوض معركة حياة او موت . ولن يستطيع ان يفعل ذلك الا المال ، والمال وحده ، وانه لمن العار كل العار ان تشكو قضية الجزائر الخصاصة ومن ورائها كل هذا العالم الاسلامي الطويل العريض الممتد في آسيا وافريقيا وفي كل مكان على وجه الارض .

فهل يستغل المسلمون فرصة مؤتمرهم السنوي هذا في موسم الحج للنظر على هذا الاساس في قضية الجزائر المجاهدة ؟؟

ان الدعوة لذلك والتبشير به وجمع الافكار من حوله هي مهمة كل مسلم في طريقه الى المؤتمر ، وهي على الخصوص مهمة كل مسلم يقصد هذا المؤتمر من الجناحين الشرقي والغربي للجزائر : تونس والمغرب .

دعوة الحق



المسجد الازهر



اذا كان لديك شيء واحد بعينه يقول عنه انه رجل ابيض ، والثاني انه اسود ، والثالث انه اخضر ، والرابع انه اصفر ، فليس من الممكن لك ان تصدقهم جميعا . وكذلك اذا كان رجل يمدح فعلا ويامر به ، والثاني يذمه وينهى عنه ، فمن المحال ان يكون كلا الرجلين صحيح الراي صادق الحكم على رغم ما بينهما من الخلاف الواضح البين ، وان كل من يصدق بمثل هذه الاقوال المتضاربة ويقول بصحة مثل هذه الاحكام المتعارضة جميعها ، فهو اما يريد ان يترضى الناس جميعا او انما يبدي رايه في الامور بدون ان يفكر فيها ويجيل فيها النظر ويعيرها ما يقتضي الحكم عليها من الجد والاهتمام ، لا يمكن ان يخلو امره من احد هاتين الحالتين ، وكلتا هما متنافية مع العقل والصدق الصريح ولا يليق بمن يحب العقل وللصدق في نظره شيء من القدر والقيمة ان يصدق عدة رجال في آرائهم المتعارضة المتضاربة ولو لاي سبب من الاسباب .

يظن الناس ان تصديقهم لمختلف الافراد في آرائهم وخيالاتهم المتعارضة المتضاربة وتصويبهم لها جمعاء هو التسامح ، مع ان الحقيقة انه ليس بالتسامح، بل هو نوع من اشنع انواع النفاق ، لان التسامح انما معناه ان تتحمل عقائد غيرنا واعمالهم على كونها باطلة في نظرنا ولا نطعن فيهم ، رعاية لعواطفهم واحاسيسهم، طعنا يؤلمهم ولا نتوسل بالجبر والاكراه لتحريفهم عن عقائدهم او صدهم عن اعمالهم . ومثل هذا التحمل واعطاء الناس الحرية في العقيدة والعمل على هذا الوجه، ما هو بفعل مستحسن فحسب ، بل هو ، مع ذلك ، امر لابد منه لاستبقاء الامن وحسن التفاهم والتعايش بين عدة جماعات مختلفة في عقائدهم ومبادئها واعمالها. اما ان تكون على عقيدة معلومة الحدود والجوانب ثم تاتي نصدق غيرنا في عقائدهم المتضاربة مع عقيدتنا لمجرد ترضيهم ، ... تكون متبعين لمنهاج خاص ودستور معين للحياة ثم نقول لمتبعي المناهج والدساتر المختلفة الاخرى انكم جميعا على الحق ، فهذا هو النفاق الصريح الذي لا يمكن باي وجه من الوجوه ان نعبر عنه بالتسامح . افليس هناك شيء من الفرق بين السكوت رعاية للمصلحة وبين الكذب عمدا ؟

ان التسامح الحقيقي المحمود هو ما قد جاء به الاسلام وعلمنا اياه حيث يقول سبحانه وتعالى : **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون »** ويقول مثنيا على اهل الايمان : « **والذين لا يشهدون الزور** (1) **واذا مروا باللغو مروا كراما »** . ويقول : « **قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون** (2) **ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم** (3) **ولا انتم عابدون ما اعبد ، لكم دينكم ولي دين »** ويقول : « **لا اكراه في الدين »** ويقول : « **ويدرؤون ـ اي المومنون ـ بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين»** ويقول: **فبذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم. الله ربنا وربكم ، لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ، لا حجة بيننا ، الله يجمع بيننا واليه المصير »** ويقول : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن »** .

نعم ، ان هذا هو التسامح الذي يمكن ان يميل اليه ويختاره رجل سليم الفطرة يحب الحق ويؤثر الصدق . انه يبقى ثابتا على عقيدته التي يراها صحيحة بصدق واخلاص وايمان ويظل متمسكا بها بكل شدة بل

---

1) الزور هو الكذب والباطل ، مما يعارض الحق وينافيه . فمعنى لا يشهدون الزور انهم لا يزورون بقصد منهم اماكن ترتكب فيها اعمال الشرك والكفر والظلم والفسق او يجهر فيها بآراء الالحاد او يعبد فيها من دون الله احد من بني آدم او مخلوق آخر . 2) بالنسبة للحال

3) بالنسبة للمستقبل .

يجاهر بها ويدعو اليها الناس بكل جراءة وحماسة ولكن بدون ان يؤلم غيره ويجرح قلبه او يشاتمه ويلاعنه او يطعن فى عقائده او يحول بينه وبين مزاولته شعائر دينه الذي هو عليه . او يكرهه على اعتناق دينه بدون اقتناع منه بصحته . واما ان لا يقال للحق انه حق او يقال للباطل انه حق مع عدم الجهل بالحقيقة، فامر لا يمكن ان يصدر ابدا عن رجل صادق جريء وهو من اقذر انواع التملق ولا سيما اذا كان الانسان لا يختاره الا لترضي الناس ومصانعتهم وليس مثل هذا التملق بامر شنيع مستقبح من الوجهة الخلقية فحسب، بل هو كذلك من الوجهة العملية ايضا ، اذ قلما ينجح الانسان فى غايته التي لاجلها يميل اليه ويتردى فى منزلته المنحطة ، وفى ذلك يقول تبارك وتعالى مخاطبا رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم : **« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير »** .

لاشك ان التسامح الكاذب قد يتسلح باظهاره لبلوغ الاهداف السياسية وهو من مباحات هذا الزمان، لان جهود ارباب السياسة فى الغرب قد فرقت منذ مدة بين الاخلاق والسياسة ، الا ان الذي يبكي العين ويحرق القلب اسفا هو سلوك اولئك المحققين العظام الذين لا يكلفون العقل بالتامل ولا الفكر بالحركة ولكن طالما يبدون تحقيقهم فى الشؤون الدينية بصورة النظرية العجيبة القائلة « بان الاديان كلها على الحق » . اننا كثيراً ما نسمع هذه الجملة من السنة الذين دعواهم انهم لا يتكلمون بكلمة ولا يسلمون بها ما لم يعرضوها على ميزان العقل ، الا ان الحقيقة ان ميزان العقل يابى ان يقيم لتحقيقهم الانيق هذا ولو وزن قطمير لان الاديان التي يحكمون بكونها جمعاء على الحق ، بين اصولها ومبادئها من الفرق الهائل والبون الشاسع ما بين السماء والارض او الاسود والابيض . يقول احدها بان الاله واحد ، ويقول الثاني بان هناك الهين اثنين ويقول الثالث بان هناك آلهة ثلاثة ، ويقول الرابع بان هناك عدة قوى هي كلها مشتركة فى الالوهية ، ويقول الخامس بان ليس هناك شيء يعرف بالاله ، فهل من الممكن ان تكون هذه الاديان الخمسة كلها على الحق بصفة واحدة ؟ يرتفع احدها بالانسان الى مقام الالوهية، والثاني ينزل بالله الى منزلة الانسان ، والثالث يجعل الانسان عبدا والله معبوده والرابع لا تصور فيه اصلا للعبد ولا للمعبود ، فهل يجوز عقلا ان تجتمع هذه الاديان كلها ولا يكون بينها من فرق باعتبار صدقها ؟ يجعل احدها مدار النجاة على العمل وحده ، والثاني على العقيدة وحدها ، والثالث لابد عنده للنجاة من العقيدة والعمل كليهما ؟ فهل يمكن ان تكون هذه الثلاثة صحيحة معا ؟ يخرج احدها طريق النجاة من الدنيا وحياتها ، والثاني انما يمر طريق النجاة عنده من بين مشاغل الحياة الدنيا ومصاخبها ، فهل من الممكن ان يكون كلاهما على الحق والصواب بصفة واحدة ؟

ولعمري انه اذا كان من الجائز ان يعبر بالعقل عما يحكم على مثل هذه الامور المتضاربة المتنافية بالصدق والصحة والصواب ، فالواجب ان يعبر بكلمة اخرى غير كلمة « العقل » عما يحكم باستحالة الاجتماع بين الاضداد .

نعم، هناك تصورات مشتركة فى مختلف الديانات، ولكن من دواعي الاسف ان الذين قد اعتادوا ان لا ينظروا من الاشياء الا الى قشورها ، فانهم لا يجتهدون اصلا ليعرفوا حقيقة هذه التصورات المشتركة وانما يرتبون المقدمات ترتيبا فاسدا ويستنتجون منها نتائج خاطئة مع ان هذا الاشتراك يرشدنا الى حقيقة مهمة هي ان جميع هذه الاديان متفرعة من اصل واحد وان هذه التصورات والتعاليم ليس لها الا مبدا بعينه وان هناك وسيلة للعلم بعينها هي التي قد عرفت الانسان فى مختلف الاوطان والازمان والاوقات والالسنة بهذه الحقائق المشتركة ، وان هناك بصيرة بعينها حصلت للناس جميعا على كل ما كان بينهم من بعد المشرقين وفترة المآت والآلاف من السنين فهم بهذه البصيرة لم ينتهوا الا الى نتائج متقاربة من نوع واحد ، ولكن لما تباعدت الاديان عن اصلها ، تسربت اليها تصورات خارجة ومعتقدات اجنبية ، وان هذه الامور البعدية لما لم تكن ماخوذة من ذلك المبدا المشترك وتلك البصيرة المشتركة ، جاءت الابنية المؤسسة على هذه الاسس المشتركة متخالفة بينها كل التخالف باعتبار صورها وهيئاتها واشكالها .

فعلى هذا اذا كان يجوز ان يحكم بالحق والصدق فانما يجوز ان يحكم بهما على ذلك الاصل المشترك الذي يوجد فى جميع الاديان ، لا على تلك الصور والهيآت التفصيلية المختلفة التي توجد عليها هذه الاديان اليوم ، لان الحق انما هو جنس بسيط لا يمكن الاختلاف بين اجزائه . فكما انه من الممكن ان تطلق كلمة « اللون » بكل سهولة على الابيض والاسود والاخضر والاحمر ، كذلك ليس من الممكن ان تطلق كلمة « الحق » على مختلف الاحكام كاحكام ان الله واحد وان الالهين اثنان وان الالهة متعددة .

اما ان الاديان كلها لها اصل واحد وان هناك حقيقة واحدة لمختلف الامم فى مختلف الازمان ، فامر جاء بيانه بكل صراحة فى غير آية من آيات القرآن الحكيم ، فقد قيل مثلا **« ولقد بعثنا فى كل امة رسولا »** و **« ان من امة الا خلا فيها نذير »** و **« وجاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير »** و **« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان »** اي ما كان مختلف الانبياء والرسل يتلقون رسالة الصدق والحق الامن بنوع واحد بعينه وانهم جميعا ما كانت لهم الا رسالة واحدة هي **« ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »** وانهم جميعا ما كان يوحى اليهم الا وحي واحد **« وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا**

انا فاعبدون » وانه ما قال واحد منهم لقومه ان الذي اعرضه عليكم وادعوكم اليه هو من نتائج فكري وعقلي ، بل قد ظلوا جميعا يقولون لاقوامهم **« وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا »** وانه ما دعا واحد منهم قومه الى عبادته وانما دعاهم الى عبادة الله ربه وربهم **« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين »** .

فهذا هو التعليم المشترك الذي جاء به الى جميع الامم زعماؤها الدينيون . ومن بيان القرآن الحكيم ان الناس ما كانوا جميعا في اول امرهم الا امة واحدة ، اي كانوا على حالة انسانية فطرية خالصة بعينها وكان قد جاءهم من الله العلم بصراطه المستقيم (4) ، ثم ظهر فيهم الاختلاف لا لشيء الا لان بعضا منهم حاولوا الخروج من حدهم المشروع والحصول على مرتبة اعلى من مرتبتهم الفطرية والاقامة لانفسهم حقوقا اكثر من حقوقهم الفطرية . فهناك شرع الله سبحانه وتعالى يرسل اليهم رسله ليعطوهم العلم الصحيح بالحق ويقيموا بينهم العدالة الاجتماعية . وتلك كانت رسالة جميع الانبياء في الدنيا ، فالذين تلقوها بالقبول واتبعوا ما اعطاهم نبيهم من العلم اتباعا صحيحا كاملا واهتدوا بهديه ، هم وحدهم على الحق وليس غيرهم كائنا من كان ، الا على الباطل ، سواء أكان ممن ابوا اتباع النبي او ممن حرفوا تعاليمه وبدلوها حسب اهوائهم واغراضهم الشخصية . ففي ذلك يقول عز من قائل: **« وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا »** يقول: **« كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم (5) فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »** ويقول **« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان (6) ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس »** ويقول **«فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن اعرض عن ذكر ىفان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى »** .

فهذه هي نظرية القرآن في التاريخ ـ او تعبيره المعنوي للتاريخ ـ التي تحل لغز الخلافات الدينية مثل ما تحل لغز الخلافات المدنية بكل سهولة وبها يتبين لنا بكل وضوح ان انبياء الله ما جاءت الى مختلف امم الارض الا ليرجعوها الى منهاج الحياة الفطري الذي كانت قد انحرفت عنه لاجل بغيها ، ويقيموها على طريق الحق والعدالة الاجتماعية ، ولكن ما زالت عاطفة البغي ؛ تلك العاطفة التي كانت السبب الحقيقي لضلال هذه الامم ، تحرفها مع ذلك مرة بعد مرة من جادة الحق وتوجهها الى الطريق المعوجة . فالبقية الباقية من التصورات الصحيحة ومباديء الاخلاق المستقيمة ، التي قد توجد اليوم عند مختلف امم الارض ، ان هي في حقيقتها الا آثار باقية لتعاليم الانبياء عليهم السلام ابت الا البقاء في اذهان هذه الامم والانجذاب الى حياتها لحيويتها الذاتية .

ثم ان الدعوى التي يعرضها القرآن بعد هذا ، هي ان الاسلام الذي يدعو اليه الناس ما هو الا ذلك الدين الحقيقي نفسه الذي ما زالت جميع الانبياء السابقين يدعون اليه الامم البشرية المنتشرة في مختلف بقاع الارض منذ بداية الامر ، وانه ما جاء محمد صلى الله عليهم وسلم برسالة جديدة لا عهد بها للبشرية منذ ذي قبل **(قل ما كنت بدعا من الرسل)**

---

4) مما يجب ان يلاحظ بصفة خاصة في هذا المقام ان من بيان القرآن الحكيم ـ على العكس من نظرية الارتقاء وفلسفة التاريخ الانساني في هذا الزمان ـ ان النوع البشري ما بدا حياته على وجه الارض في ظلمة الجهل ، بل بداها في ما اعطاه الله من نور العلم ، فقد اكرم سبحانه وتعالى آدم وهو اول انسان على وجه الارض ، برسالته واعطاه بطريق الالهام من العلم ما كان ضروريا للانسان لقضاء حياته على وجه الارض وفقا لمرضاته وقانونه .

5) معنى كلمة « البغي » المستعملة في هذه الآية محاولة اعتداء الحد المشروع وتجاوزه ، فالذي يقرره القرآن اساسا لكل ما يتورط فيه الناس من الضلال الاعتقادي والتظالم الاجتماعي ، هو ان بعضهم يحاولون اعتداء حدودهم المشروعة الفطرية ، فمنهم من يتخذ نفسه الها لغيره ويامرهم بعبادته ، ومنهم من لا يتجرا على اتخاذ نفسه الها لغيره ولكن يظهر بمظهر السادن او الحاجب او الخادم لصنم او اله خيالي ثم يفرض على الناس طاعته والاعتراف بسلطانه متوسلا بهؤلاء الآلهة ، ومنهم من ينصب نفسه حاكما دينيا للناس ويحتكر عليهم نجاتهم وفلاحهم وهكذا ينجم في الدنيا قرن البرهمية والبابوية ، ومنهم من يستغل غناه المالي وحالته المترفهة الناضرة ويجعل منهما وسيلة لاختيار عدة صور لسلب الناس اموالهم . وجملة القول ان « البغي » هو الذي يخرج الناس من حالتهم الفطرية ويغرس فيهم بذور الشقاق والاختلاف من الوجهتين الاعتقادية والاجتماعية .

6) المراد بالميزان في هذه الآية ذلك النظام الاجتماعي المنتهي في الاعتدال والتوازن ، الذي ارسله الله تعالى الى الناس بواسطة الانبياء في صورة شريعته الغراء حتى يقيم بينهم العدل .

بل انما قد جاء بنفس تلك الرسالة التي جاء بها كل نبي الى قومه في كل زمان **(انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)** وانه ما بقيت ناحية من نواحي الارض كجزيرة العرب او مصر او ايران او الهند او الصين واليابان واوربا وامريكة وافريقية وما اليها ؛ محرومة من الاستنارة بنور هذه الرسالة حيث قد جاء اليها رسل الله بكتبه ولا يبعد ان يكون بودا وكرشن وراما وكنفيوشس وزردشت وماني وسقراط وفيثا غورث وغيرهم من هؤلاء الرسل ؛ الا ان الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الرسل ان قد ضاعت تعاليمهم الاصلية في مجاهل اختلاق الناس ولا يزال تعليمه عليه الصلاة والسلام محفوظا في صورته الاصلية دون ان يداخله شيء من تحريفات الناس .

فالحقيقة ان ليس الاسلام بدين من اديان البشرية ، بل هو دينها الاصلي الوحيد ، وليست سائر الاديان الا صوره المحرفة الممسوخة المتعددة فكل ما يوجد في هذه الاديان من الحق والصدق ، انما هو بقية باقية من اثر ذلك الاسلام الذي جاء الى الجميع ولكنهم اضاعوه في اختلافاتهم ، وعلى قدر ما يوجد من مقدار هذا الحق المضاع في دين من الاديان، يوجد فيه الاسلام . اما الاختلافات التي توجد في هذه الاديان متخالفة متعارضة مع « الاسلام » ، فلاشك في بطلانها ومن الظلم الصريح الحكم عليها بالصحة والصدق . وبدل ان نتظاهر بالتسامح الكاذب ، يجب علينا ان نقول بكل صراحة لجميع اخوتنا في الانسانية في مشارق الارض ومغاربها **«هلموا ايها الاخوان وكفوا عما انتم عليه من العصبية وضيق النظر واقبلوا الحق الصريح والصدق الخالص الذي لا تشوبه شائبة من الاوساخ والادران ولا تظلوا متشبثين بأهداب الاشياء التي قد اختلط فيها الحق مع الباطل والصدق مع الكذب واليقين مع الشك ، وليس الحق بوقف على الامة التي تعرف اليوم باسم المسلمين بل هو ميراث تشترك فيه الانسانية باجمعها وقد كان الله سبحانه وتعالى وزعه على جميع الاقطار والامم والانسال فان كان غيرنا قد اضاعوه بسم عبادة المخلوقات والظلم والعدوان والامتيازات الجائرة الغاشمة ، فانما كان ذلك من سوء حظنا وحظكم معا ، فما الذي يدعوكم اذن الى ان تبقوا متشبثين بسوء الحظ هذا لا لسبب الا لان آباءكم كانوا قد تورطوا في هذه الغلطة ، وانه اذا كان محمد صلى الله عليه وسلم قد نال هذا الميراث وبلغه كما هو تم سلم هذا الميراث من ان يختلط به سم عبادة المخلوقات والعادات القائمة على الظلم والعدوان والامتيازات الجائرة ، فذلك من عين حسن حظنا وحظكم وحظ النوع البشري كله ، فاشكروا لله هذه النعمة ولا ترددوا في الاستمتاع بها لانها واصلة اليكم بواسطة رجل من العرب ، واعلموا ان الحق من نعم الله العالمية كالهواء والماء والنور ، فاذا كنتم لا تربأون عن الاستمتاع بالهواء اذا كان آتيا اليكم من جهة الشرق ، ولا ترددون في شرب الماء واستساغه لان عينه متفجرة في الارض الفلانية ، ولا تابون الاستمتاع بالنور لانه ينبثق من مصباح فلان ، فما بالكم لا ترددون في قبول نعمته الحق الخالص ، التي قد وصلت اليكم بواسطة محمد العربي صلى الله عليه وسلم ، لان الذي قد جاء بها ليس مولده في وطنكم انتم ؟**

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مسجد قرطبة

المعرفة في كنف الإسلام

للأستاذ محمد الطنجي

ان العلمين الديني والعصري ترافقا في موكبيهما هذه السنة العلم الديني في الموسم الاسلامي رمضان ، والعلم العصري في الموسم الثقافي الذي اقيم له اكبر مهرجان امتزجت المعلومات في الموسمين في بعض ما القاه العلماء المشاركون المتفننون ، فكان لدروسهم او محاضراتهم ميزة خاصة جمعت بين الهدفين الديني والدنيوي ، ولا غرابة ، فالثقافة الحقة هي التي تتعلق بالمصالح الحقيقية في الدين والدنيا .

وما يتعلق بالكماليات او ترويح النفس او الاحماض كما يقولون فليس في هذه الدرجة ولكن اذا ادرج في هذا الميدان فيشترط فيه ان لا يهدم اصلا من اصول الحياة او من مقومات الامم التي من اهمها تماسك الاخلاقية الفاضلة فيها .

وقد اظهر علماء الدين في شهر رمضان الماضي ما جعل رمضان المبارك عامرا زاخرا بالدروس العلمية من تفسير لكتاب الله واحاديث رسوله وسيرته الكريمة وتاريخ عظماء الاسلام اذ شارك في هذا الموسم الديني حوالي المائتين من العلماء في مجموع جهات المغرب مدنه وقراه والقوا في رمضان ما يزيد على ستة الاف درس بمعدل يزيد على مائتين من الدروس يوميا حسب الاحصاءات الواردة على وزارة الاوقاف الاسلامية بالرباط وقد تطوع كثير من العلماء بالدروس زيادة على الوعاظ التابعين لهذه الوزارة استجابة لرغبة صاحب الجلالة في شان القيام بمهمة الوعظ والارشاد التي اعلنها مدير ديوانه بعد الاجتماع الذي عقده مع العلماء بالقصر الملكي العامر قرب رمضان .

كما مر الموسم الثقافي هذا العام حافلا مزدهرا بما ساهمت به قرائح العلماء والمفكرين فكان في التوجيهات والمحاضرات والمسامرات التي القيت غذاء ، واي غذاء للعقول المتعطشة للمعرفة العامة ودراسة نواحي المجتمع والتعرف على حاجاته ناهيك بموسم يشارك فيه صاحب الجلالة بتوجيهاته الحكيمة وولي عهد المملكة بمعلوماته وملاحظاته الرزينة ووزير التهذيب وعميد الجامعة وكثير من المسئولين في التعليم بالمحاضرات الثمينة التي توجه المسترشدين وتهدي الحائرين وتنبه الغافلين وتنير بصائر الناشئين .

وهذا العمل المزدوج من رجال الدين والثقافة يبشر الراغبين في تنوير افكار الجمهور من مختلف انواع المعارف الدينية والدنيوية بمستقبل باسم تتبوأ فيه الامة المغربية اذا سارت في هذه الخطة مكانة مرموقة بين الامم .

وكان صلى الله عليه وسلم يحض على الاعمال الصالحة المفيدة ويعيب على من يشتغل بلهو الحياة وخصوصا اذا كان يدعو بذلك اللهو الى صد المسلمين وصرفهم عن سبيل الله وطريق الهداية الاسلامية ويستهزيء بها يوضح هذا ما اوحاه الله الى نبيه في قوله تعالى : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزءا اولئك لهم عذاب مهين .

وفي آية اخرى : واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين . وفي آية اخرى في وصف المومنين واذا مروا باللغو مروا كراما اي لم يعرجوا عليه .

وهذا ما نستفيد منه الاهداف العليا في الحياة التي كان الاسلام يوجه المسلمين اليها وهي كل ما يرفع قيمة الامة دينا ودنيا وذلك ما يعنيها ويهمها في الحياة مع الاعراض عما يشينها او يضعف عزيمتها ، او يخدش في دين او كرامة ، وقد ورد عن النبي (ص) حديث جامع من جوامع كلام الرسول في هذا الموضوع وهو قوله عليه السلام : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اي ما لا يهمه ، واذا ترك ما لا يهمه فانه بدون شك يقبل على ما يهمه وقد ورد التصريح بهذا المعنى في حديث آخر حيث قال عليه السلام : ان الله يحب.لكم معالي الامور .

وعلى هذه الاسس الصالحة والنظر الجدي للحياة قامت وتاسست الدولة الاسلامية وفتحت اعين البشرية على نوع جديد من الحياة ، عماده تزكية النفوس والعمل على ما رصده الله وادخره في البشرية من انبل العواطف والاخلاق السامية .

وتنكب الانحلال الاخلاقي وارضاء الغرائز بصفة غير مشروعة وكل انواع الموبقات من الخمر والميسر والانصاب والازلام فانها كما قال الله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

وقد بقيت العقيدة الاسلامية الجديدة والشريعة العملية المفيدة تغذي المسلمين وتوجههم خير وجهة في الحياة صدر الدولة الاسلامية مدة ليست بالقصيرة .

حتى اذا امتد الزمان وضعفت قوة الايمان في النفوس وقع تلقيحها بسبب الوعاظ والقصاص الصالحين الصادقين وبسبب نبوغ بعض المتصوفين الموهوبين الذين حازوا قصب السبق في التربية فتماسكت الحال نوعا ما .

ولكن الذي نرجوه من وزارة التهذيب الوطني وعلى راسها ذلك المسلم الغيور ان يزيد اشرافها على هذه المواسم الثقافية بمراقبة فعالة حيث ان اختلاف الثقافات والاتجاهات في السلوك ربما تجعل بعض هذه المحاضرات والمسامرات على غير الشكل الذي يتمناه المسلم المخلص لدينه فينبغي الا يفتح الباب امام كل من يريد الكلام الا بعد التيقن من الكفاءة والرزانة ولنا في رسولنا العظيم اسوة في حماية الثقافة من كل وهم وباطل . فقد كانت الثقافات الشائعة وقت البعثة حول مبدا الخليقة وكثير من القضايا الكونية متعددة وكانت لبني اسرائيل بصفتهم اهل كتاب ودين سماوي يد طولى في تكييفها وتوجيهها بل في اختلاقها ايضا فكان النبي يحرص على تطهير عقول امته من انواع الباطل ، فقال ذلك الحديث المشهور : ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان باطلا لم تصدقوهم . فكان قوله فاصلا عاما في الموضوع ولكن مع هذا كله امتلات التفاسير بالاسرائليات مما لا يزال اثره السيء يعشش في ادمغة بعض المسلمين .

وقد كانت رغبة السلف في نشر العلم بالغة اشدها حتى كان بعضهم يقول لابي هريرة (وهو وعاء من اوعية العلم الديني) قد اكثر ابوهريرة فروى عنه البخاري ومسلم : انكم تقولون اكثر ابوهريرة عن النبي والله الموعد وايم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثت احدا بشيء ابدا ثم تلا : ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

وكان اهل الفقه المرافقون للجنود يعلمونهم فمن جعفر بن برقان قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز وقال في كتابه : ومر اهل الفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله في مساجدهم ومجالسهم والسلام .

وكان الرسول يستمع من الشعر الذي هو ديوان العرب سجلت فيه وقائعهم واخلاقهم وافكارهم ويستزيد من سماعه وهذا مما يدخل في نطاق الثقافة العامة روى الامامان احمد ومسلم وغيرهما عن الشريد قال : كنت رديف رسول الله (ص) يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت قلت نعم فانشدته بيتا فقال هيه (وهيه كلمة استزادة) فانشدته بيتا فقال هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت فقال : لقد كاد في شعره ان يسلم .

وبعد فما قدمنا الاشارة اليه هو في الجانب الايجابي لنشر الوعي الثقافي والعلمي ورفع مستواهما فنحن نرى ان وزارة الصحة تبذل مجهودها في ذلك ووزارة التهذيب كذلك وهي اشد اختصاصا في الموضوع .

ولكن بجانب هذين المجهودين نجد ان اصحاب العقاقير والاعشاب المدعين للتطبب يلعبون باجسام المغاربة وبعقولهم دون ان يقع سعي حاسم من وزارة الصحة في منع هؤلاء من عملهم المنافي للعلم ولنشر الصحة العمومية في المجتمع .

كما نرى من جهة اخرى ان الرقابة على الكتب المجلوبة للمغرب او المطبوعة فيه لا يوجد لها قانون ينفذ بصرامة ، فبعض الكتب فيه خرافات دينية او تاريخية ما انزل الله بها من سلطان وبعضها هو روايات

من الروايات الجنسية الخليعة التي لا تسمح المروءة بنشرها بين الناس وبعضها فيه الحاد واستهتار بالمقدسات .

وقد سمعت في اذاعة يوم الاربعاء الماضي رسالة وجهها احد الغيورين من مكناس الى ركن من المستمعين اليهم بالاذاعة الوطنية يخبر بوجود بعض الكتب من هذا النوع في المكاتب الحكومية العامة .

وقد كانت ادارة الحماية لا تسمح بالروايات التمثيلية الا بعد مراجعتها وحذف ما لا يروقها منها وكان من واجبنا في عهد الاستقلال ان لا تقتصر المراجعة والرقابة على ما فيها من افكار ومغامز سياسية بل يعم ذلك الناحية الدينية والاخلاقية ايضا حتى لا يكون استقلالنا عبارة عن فتح ميادين للفوضى في هذه المناحي .

اننا نرجو رفع المستوى العلمي ونشر الوعي الثقافي من صميم فؤادنا ونحبذ ذلك .

وفي الوقت نفسه نرجو من وزارتي الصحة والتهذيب ان تحمي الاجسام والعقول كل مصلحة في الناحية التي تخصها ، وخصوصا وزارة التهذيب التي يؤمل منها كل مخلص ان تستصدر في شان المطبوعات من كتب دينية وتاريخية وتمثيلية وغيرها قانونا تحمي به المقدسات والاخلاق والعقول من كل ما يفسدها ويعبث بها .

بيان حقيقة

وصلنا من ادارة التعليم العالي بوزارة التهذيب الوطني ما يلي :

نشرت مجلة « دعوة الحق » الغراء في عدد ابريل 1959 مقالا للاستاذ محمد العربي الخطابي تحت عنوان « قضية التربية والتعليم في المغرب » ورد فيه قوله : انه لا معنى لوجود كلية ككلية العلوم مثلا ــ كل طلبتها من الاجانب . . . الخ

وقد علق على ذلك الاستاذ ادريس الكتاني في عدد مايو 1959 تحت عنوان « العدد الماضي في الميزان » بقوله : « وطالب الاستاذ الخطابي بالغاء كلية العلوم التي ينفق عليها المغرب عشرات الملايين وليس فيها الا الطلبة الاجانب . باستثناء ثلاثة من المغاربة ــ كما بلغني ــ في امكانهم ان يدرسوا بالخارج باعطائهم منحا عادية كالآخرين . . . الخ »

والحقيقة بعكس ما ذكره الكاتبان المحترمان ، ان « كلية العلوم » في السنة الدراسية الحالية 1958 ــ 1959 يبلغ عدد طلبتها من المغاربة المسلمين ثلاثة وثمانين طالبا ، عدا ثلاثة وثمانين طالبا آخر يهوديا . ويؤمل ان يصل عدد الطلبة المغاربة في الكلية المذكورة في السنة الدراسية المقبلة الى ما لا يقل عن 520 طالبا مغربيا .

صدى مواعظ رمضان

للأستاذ
أبي العباس احمد التجاني

بمناسبة رمضان هذا العام تجاوبت اصوات الوعاظ في طول البلاد وعرضها في سبيل نشر تعاليم القرآن وايقاظ الوعي العام . سنة حسنة يا لها من سنة اجزل الله الثواب لمن سنها ملك البلاد المحبوب الذي غدا اسمه مرادفا لكلمة « استقلال » وذلك بما امر به من نصب وعاظ في مساجد المملكة يستنفرون الشعب الى تعبئة ثقافية عامة لاجل ايقاظ مجدهم النائم في دواوين التاريخ ودفع رايته لشباب يتوقد غيرة وحماسا دخل لميدان العهد الجديد في ذمة قوله تعالى : « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون » الاستعمار وملئه . لا شك ان خط هذا المنهاج في ميدان الاصلاح سيظهر له جميل الاثر في بناء المجتمع الجديد اذا علمنا ان تدشين هذا المنهاج وقع في شهر رمضان املأ الشهور بانواع الطاعات والقربات بما يصعد فيه من كلم طيب لذي الملك والملكوت وما يرفعه فيه سبحانه من عمل صالح يحدوه قوله تعالى : « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله » .

من حسن الحظ اتيح للكاتب ان يساهم في هذا المشروع الاجتماعي فالقى دروسا في جامع مولاي سليمان لحمتها وسداها تعاليم القرآن الكريم وجوامع الكلم النبوية متوخيا ما كان منها يفيد عمليا في بناء مجتمع جديد ينسجم مع العصر وتطوراته في دائرة الاسلام بدون مداهنة ولا مجاملة مع استحضار ان مبادىء الاسلام وروحه صالحان لكل زمان بحكم ان رسالته عليه السلام عامة صالحة لان تعرض على الابيض والاسود لا فرق في ذلك بين الالماني والامريكي والسوداني والصيني بحكم قوله تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » بناء مجتمع جديد يتطلب بمزيد الالحاح مراجعة التقاليد والعادات وما يجري على الالسنة من الكلام المأثور والتخلي مما لا يشهد له اصل صحيح ولا يتفق وما جريات سنن الحياة تلك التقاليد والعادات التي كبلت من الاسلام الرجلين وتركته يرسف خلف ركاب الحضارة وهو ذلك الاسلام الذي جاء لاتمام النعمة على البشرية : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا — ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » نعم هو ذلك الاسلام الذي من اصوله: « ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » يقول هذا واكثر من هذا لخيرة المهاجرين والانصار جوابا عما كان يجري من التفاخر بينهم وبين اليهود الساكنين لهم في المدينة هاؤلاء يزعمون انهم شعب الله المختار واولائك يقولون انهم خير امة اخرجت للناس جاءت الآية مبينة لهم ان المقياس الذي يجري عليه التفاضل انما هو العمل لا الاماني وما تهوى الانفس . ولا بدع ولا استغراب ان يخاطب القرآن اصحاب الرسول السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بمثل هذا الخطاب اذا علمنا من اصوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين — ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم — اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا — ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولائك من الصالحين » .

نعم يقول القرآن هذا ومآت المآت مثل هذا في تحقيق معنى العدل وتقريره قاله منذ اربعة عشر قرنا في حين ان من دول اليوم ممن هي في طليعة ركب الحضارة والديمقراطية على حد تعبيرهم من يتظاهر بالعنصرية ويتعاطاها باغلاق المدارس في وجوه من كان اسود البشرة كانه الخالق لها بينما القرآن يقول : يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء — يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » « ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين »

جريا على قاعدة تقديم الاهم فالاهم افتتحت الدروس في جامع مولاي سليمان بالكلام على ما يعتبره عامة المسلمين عماد الدين اعني الصلاة وخلاصة ما قلته في هذا الموضوع ان الصلاة التي نحن مامورون بها هي في اصلها من مشمولات العبادة العامة التي افترضها الخالق على كافة المخلوقات علويها وسفليها سواء في ذلك النجوم في افلاكها والحيتان في مسابحها كما افصحت الآيات : ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ـ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض والملائكة وهم لا يستكبرون ـ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ـ الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » . « والنجم والشجر يسجدان ـ وان من شيء الا يسبح بحمده » .

فاذا كان هذا الانقياد وهذا الخضوع هما القانون العام لجميع الكائنات فيما بينها وبين خالقها افلا يحق لابن آدم مسجود الملائكة ان يكون من اول الممتثلين لهذا القانون ـ امام ما يتصاعد من الارض الى السماء من الازجال والاناشيد في التسبيح للرب وتمجيده افلا يحق للخليل بن احمد الواضع للابحر والاوزان ان يكون رئيس هذه الفرقة الموسيقية ـ اليس من الغبن مكي لا يطوف بالبيت وجزار ياكل لحم الميت ـ ان شر الدواب عند الله الصم البكم . ومن البديهيات ان من شذ وتمرد كان من الطبيعي ان يجري عليه بوجه استثنائي حكم المتمرد الخارج عن الطاعة وكيف لا يعامل معاملة استثنائية من نبذ وراء ظهره فرضا جاء ذكره في الكتاب ما لا يقل عن ثمانين مرة فلو كان هناك نوع آخر من انواع الطاعة اشرف منه لتعبد به سبحانه ملائكته المقربين ولكنه ارتضى منهم ما ارتضاه من عموم مخلوقاته اعني السجود : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون لا يكلون ولا يملون ـ يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وجامعة الجوامع لكل ما سردته من الآيات نجدها في قوله تقدست اسماؤه : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ـ لذلك كان من الطبيعي ان يعاقب تارك فريضة بهذه الاهمية بمثل ما انذرت به الآيات : « كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر **قالوا لم نك من المصلين** بتقديم الصلاة في بيان الاسباب التي استوجبوا بها ما استوجبوا ـ وقال في سورة القلم : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا (في الدنيا) يدعون الى السجود وهم سالمون » ازيد على كل ما تقدم وان كان المقام في غنى عن كل زيادة ان الصلاة لعظم قدرها اوجبها سبحانه على العباد في جميع الاحوال رجالا او ركبانا في حالة الامن وفي حالة الخوف في الجفاف وفي الخضخاض في الصحة وفي المرض يؤدونها ولو بالاشارة بل وحتى في حالة الحرب والملحمة على الابواب : « واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم ... آيات بينات كما ترى تسترعي من الناس البال الى انه لامر ما جعل الشرع الصلاة والزكاة شرطا لصحة الاسلام واخوة الدين : « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين » . ولامر ما كذلك يقول الرسول عليه السلام : بين الرجل والكفر ترك الصلاة على خلاف ما عليه الحال في الحج فان وجوبه موقوف على الاستطاعة والصوم فانه يسقط بالسفر وصلاة الجمعة فان الى جانبها اعذارا ترخص استبدالها بصلاة الظهر واما الصلاة فانها لا يسقط وجوبها وقضاؤها الا مع عدم ماء وصعيد كما نص عليه خليل : « وسقطت صلاة وقضاؤها مع عدم ماء وصعيد » نعم هناك صلاة وصلاة . ان الصلاة التي يكرر القرآن المطالبة بها لا تتحقق باداء افعالها واقوالها فقط وان جاء بها المصلي تامة على الوجه الذي يذكره الفقهاء لان ما يذكرونه هو صورة الصلاة وهيئتها انما القصد من شرعيتها هو ملاحظة ذلك السر والمغزى الذي تصدر عنه آثارها من النهي عن الفحشاء والمنكر وقلب الطباع السقيمة واستعاضتها بالغرائز المستقيمة : « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » . فمن حافظ على الصلاة الحقيقية تطهرت نفسه من الهلع والجزع اذا مسه الشر ومن البخل والامساك اذا مسه الخير وكان شجاعا كريما قوي العزيمة لا يرضى بالضيم ولا يخشى في الحق العذل واللوم لانه بمراقبته لله تعالى في صلاته واستشعاره عظمته وسلطانه الاعلى في ركوعه وسجوده يكون الله تعالى غالبا على امره مهيمنا على ما يخطر بباله فلا يبالي بما لقي من الشدائد في سبيله وبما انفق ابتغاء مرضاته ومن المعلوم ان مجرد صورة الصلاة لا يعطي شيئا من هذه المعالي وانما القصد من شرعيتها هو التذكير بذلك السناء الالهي والاستعانة بها على توجيه القلب اليه . (نقلا في هذا الفصل من

تفسير القرآن الحكيم للامام الاستاذ محمد عبده خفف الله التراب عن جثمانه)

امام كل ما ذكرت وما لم اذكر من الآيات الواردة في مشروعية الصلاة ما الذي نراه في غالب ابنائنا المثقفين ؟ نرى ان كفة الغربيين رجحت بهم الى حد اصبح فيه الاسلام في اعينهم جنسية سياسية بدلا من كونه عقيدة دينية علامة الاستمساك به اظهار الغيرة عليه وتمجيد بعض محاسنه البارزة ثم تولية الظهر لما زاد على ذلك اقل ما يمكن ان يقال في هذا الموقف الحرج خذوا ما شئتم من الغربيين بدون تحجير سوى عدم الغفلة عن اللافتة التي نصبها سبحانه في آخر سورة البقرة مكتوبا عليها : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » اما ما كان من المقارنة بين ثقافة الاسلام وثقافة القوم فاقل ما يقال فيها ان الاسلام عنده من ارتضاه دينا انما الشأن فيه ان يكون اماما لا مأموما ليكون استاذا لا تلميذا ليكون مهيمنا على الثقافات باعم معناها لا مهيمنا عليه ضرورة انه آخر قانون تلقته الارض من السماء : « يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما



مصيف راس الماء بالاطلس المتوسط

المغرب في المحافل الثقافية الدولية

للاستاذ : محمد الفاسي



ان من يتتبع المغرب في القرون الاخيرة يلاحظ ان من ابرز مميزاته انكماشه على نفسه وابتعاده عن المشاركة في الحياة الدولية ، وقد تأصل فينا هذا المركب نتيجة للنهضة الاوربية التي جعلت امم النصرانية تحاول الاستيلاء على العالم ، وقد كان المغرب من اول الامم الاسلامية التي واجهت هذه الحملات الصليبية الجديدة بعد فشل حروب القرون الوسطى في المشرق وصمدت بلادنا في وجه الغزو المسيحي البرتغالي حيث دحرت جيوش الملك دون سبسطيان في موقعة وادي المخازن التي تعتبر من المواقع الحاسمة في تاريخ الاسلام (وتاريخها يوم الاثنين 30 جمادي الاولى 986 4 غشت 1578) .

ولكننا لم نعرف كيف نستغل ذلك النصر المبين ، وعوض ان نخرج من العزلة التي كنا وقعنا فيها بعد تقهقر الاسلام عن جزيرة الاندلس ، كان لاقتحام الجيوش المسيحية لبلادنا اثر قوي على النفوس ، ورغم خروج المغرب منتصرا من هذا الهجوم الاروبي فان النفوس اشربت كراهية كل ما ياتي من الخارج ، وصارت الوطنية هي الغيرة على كل ما هو مغربي وعدم قبول اي شيء ياتي من عند الغير اي العدو ، وعدم البحث عما يقع عنده ، لان المغاربة صاروا لا يرون في امم الغرب الا اولائك المغيرين على بلادهم ، خصوصا وان اجناسا اخرى كانت تحتل عدة مراكز من الشواطىء المغربية .

وقد اوردت هذه الصفحة من تاريخنا كمقدمة لما اريد ان احدثكم عنه اليوم كعبرة للسياسة التي يجب ان ننهجها ، حتى لا نقع في نفس الغلط الذي ادى بنا الى التاخر أولا ، لاننا لم نجار ما يفعله غيرنا ولم نطلع عليه ، ثم الى فقدان حريتنا ثانيا ، حتى احتجنا للكفاح المرير الذي تعرفونه لنيل حريتنا واستقلالنا .

واذا كانت العزلة والانكماش اضرا ببلادنا في القرون الماضية ، فهما اليوم اكثر ضررا ، اذ العالم يتقدم بخطى سريعة نحو مصير عظيم ، لا تتراآى لنا منه الآن الا بوادر بسيطة .

لذلك كان من الواجب ان يشارك المغرب بمجرد نيله الاستقلال في كل مظاهر الحياة الدولية ، والميدان الذي اريد ان اتكلم لكم عنه الآن هو ميدان الثقافة .

كثير من الناس لا يقدرون كل ما تجتنيه الامم من شتى الفوائد من مشاركة ابنائها في المؤتمرات الدولية والجمعيات العالمية والاجتماعات الدورية لمختلف الهيئات التي تهتم بالشؤون الفكرية وغيرها ، والحالة ان من اهم ما تعنى به الامم ، كل الامم ، هو الحرص على ان تكون ممثلة في هذه الهيئات ، بل نرى دبلوماسية كل الامم تحاول بسعي حثيث تنظيم اجتماعات دولية ببلادها ، وتأسيس مراكز لمختلف المنظمات العالمية بارضها .

وهذا ما دعا المغرب للانخراط بمجرد استقلاله في كل المنظمات الدولية ، وذلك ما حدا بنا في ما يرجع للناحية الثقافية وهي التي تعنينا في هذا الحديث اليوم، ان نسارع الى الانضمام للمؤسسات الثقافية الدولية ، وللمشاركة في مختلف المؤتمرات العلمية والادبية والفنية ، لنطلع على اساليب الامم الراقية في كل هذه المناحي .

وقبل ان اتكلم لكم عن هذه المؤسسات الدولية ومشاركة المغرب في انواع نشاطها ، انبهكم الى ما لاشك تعلمونه ، لان كل من اتصل بالخارج من المغاربة يحسه ويردده ، وهو ان بلادنا مجهولة لا يعرف عنها شيء لا في الشرق ولا في الغرب ، او بالاحرى يتصورها كل

الاجانب الذين لم يزوروها على غير حقيقتها ،فالغربيون يعتقدون ان المغرب بلاد قاحلة ليس فيها الا الرمال والجمال ، وان حرارتها لا تطاق ، وان اهلها سود الوجوه .

كل هذا لانها فى افريقيا ، وهذه القارة فى نظر عموم الناس باروبا هذه اوصافها ومميزاتها ، واذا كانت بلادنا فى اقصى جنوبها صحراوية ذات رمال وجمال وحرارة شديدة فى فصل الصيف ، فان باقي البلاد كلها طبيعتها على خلاف هذا ، واما سواد السحنة فاننا وان كنا بالطبع لا تعتره تقصا بوجه من الوجوه ، فا ن الواقع يخالفه لان سكان بلادنا الذين اصلهم من افريقيا السوداء قليلون جدا ، ثم ان الاجانب فى اكثريتهم الساحقة لا ينسبون لنا حضارة لا شرقية ولا غربية ، واذا كان نظر اخواننا من المشارقة فى بلادنا لا يبلغ هذه الدرجة من الجهل ، فانهم بكيفية عامة لا يعرفون الا القليل عن حضارتنا سواء منها المغربية القديمة الصميمة او التي اقتبسناها عن الغرب والتي تجعل المغرب فى طالعة الامم العربية الاسلامية .

والشيء الوحيد الذي يعرفه اكثر الاجانب عن بلادنا هو كفاح ملكنا المفدى محمد الخامس نصره الله واسبل عليه رداء عافيته ، واستماتته فى سبيل نيل الاستقلال، وتضحيته فى سبيل مثله العليا ، وسيكون للرحلة العظيمة التي قام بها الى منفاه الاول والثاني احسن الاثر للتذكير بهذا الكفاح ولتوجيه الانظار الى بلادنا لاننا فى امس الحاجة لرفع هذه الحجب عنا .

ومن كل هذا يتبين الواجب الملقى على عاتقنا فى التعريف ببلادنا ، وانتهاز كل الفرص للقيام بدعاية واسعة النطاق ترتكز على القاء محاضرات وعرض اشرطة سينمائية وتوجيه فرق موسيقية وتوزيع النشرات والمصورات عن مناظر بلادنا الخلابة ، الى غير ذلك من الوسائل التي تستعملها اليوم كل الامم ، وكثير من هذه الامم تنظم هذه الدعاية فى دائرة بعثة ثقافية تزود بكل التجهيزات اللازمة للقيام بعملها لخير بلادها وثقافتها ولغتها .

وان كان المغرب لم يعن بعد بهذه الناحية العلمية المنظمة للتعريف بشؤونه فانه لم يهمل المشاركة فى النشاط الثقافي الدولي منذ صار امره اليه وصار يتصرف فى مصيره بنفسه ، وقد كانت اول منظمة ثقافية انخرط فيها المغرب هي المكتب الدولي للتربية، ومقر هذه المنظمة بمدينة جنيف فى سويسرا ، وقد تأسست بعد الحرب العالمية الاولى ، وهي تعنى بكل ما يرجع للتربية والتعليم ، وتعقد كل سنة فى اوائل يوليه مؤتمرا عاما يحضره ممثلون عن كل الامم المنخرطة فيها ، وقد بلغ عددها الآن اكثر من ثمانين ولهذا المؤتمر فائدة عظمى لانه يخصص كل دورة لدراسة موضوعين مهمين يرجعان للتعليم ، يتفق فى كل دورة على موضوعي الدورة المقبلة ، وتوجه اسئلة لوزارات التربية والتعليم لتجيب عنها فى وقت معين، وعندما تجتمع الاجوبة عند ادارة المكتب الدولي للتربية ، تدفع المتعلقة منها بالموضوع الاول لمقرر ، والمتعلقة بالموضوع الثاني لمقرر آخر ، فيدرسانها ويحضران تقريرا ضافيا للمؤتمر ، وعندما ينعقد المؤتمر يطرح احد الموضوعين للمناقشة فى جلسات عامة تدوم بضعة ايام ، وتكون الوفود متركبة من رجال التعليم الاخصائيين فى الموضوع المدروس ، وهكذا يضم المؤتمر كل سنة اساطين التعليم فى العالم المختصين بناحية من نواحيه المتعددة ، وان المواضيع التي طرقت فى المؤتمرات الاخيرة التي شارك فيها المغرب هي نظام التفتيش فى التعليم ، تعليم العلوم الرياضية بالمدارس الثانوية ، البنايات المدرسية ، تكوين الاساتذة المكلفين بالتعليم فى مدارس المعلمين ، وضع برامج التعليم الابتدائي ، وسائل نشر التعليم فى المناطق البدوية .

ومجرد سرد هذه العناوين يبدي اهمية هذه الدراسات خصوصا اذا علمتم ان كل الاخصائيين من الوفود التي تاتي من القارات الخمس يشاركون فى مناقشة التقرير بآرائهم ، ويعرضون حلولا يستمدونها من تجاربهم ومما يسمعونه فى المؤتمر من آراء غيرهم، ثم يلخص كل هذا فى ملتمسات توجه لمختلف وزارات التربية والتعليم فى الامم المنخرطة فى المكتب الدولي للتربية .

ثم ان لهذا المؤتمر ـ وقد انعقد منذ تأسيسه احدى وعشرين مرة ـ نشاطا آخر لا يقل فائدة عما شرحته لكم الآن ، وذلك ان كل وزارة تعليم فى الامم المنخرطة فى المكتب مطالبة بتوجيه تقرير ضاف عن نشاطها فى بحر السنة المنصرمة ، وعندما تحل الوفود فى جنيف تدفع لها نسخ من هذه التقارير ، واكثرها يكون مطبوعا وموضوعا باللغتين الانكليزية والفرنسية ، فيعكف عليها اعضاء الوفود دراسة وبحثا ليطلعوا على ما عند غيرهم ، وعلى ما استجد من اساليب ومن قوانين لتسيير التعليم ومن برامج جديدة ، وتخصص جلسات ايام المؤتمر لمدارسة هذه التقارير ، بمعنى ان رئيس الوفد يطلع للمنصة ، ويطلب الرئيس من الوفود التي تريد ان تسأله عن مسألة وردت فى تقريره ان يتقيدوا ، وتعطى الكلمة لكل واحد ، فيلقي ما عنده ويجيبه رئيس الوفد الذي يدرس تقريره عن حالة التعليم فى بلاده ، فينتج عن مجموع هذه المحاورات تفهم لعدة قضايا ، وتنفتح آفاق امام المسؤولين عن شؤون التربية والتعليم فى بلادهم .

ولقد حضرت المؤتمرات الثلاثة التي انعقدت منذ استقلال المغرب ، حيث قدمت لكم اننا طلبنا الانخراط بمجرد ما استقلت بلادنا فقبلنا ، وحضرنا

كأعضاء عاملين مؤتمر سنة 1956 ثم سنة 1957 وسنة 58 ، ويتركب كل مرة الوفد المغربي من رجال التعليم الاخصائيين في المسائل المدروسة امثال الاساتذة الناصر الفاسي ومحيى الدين المشرفي ويونس تكروك وعبد القادر الكحاك واحمد بن اليمني وغيرهم ، وقد استفدنا من هذه المؤتمرات وافدنا بما عندنا ، خصوصا في ميدان وسائل التعليم بالبادية وفي بناء المدارس الابتدائية ، وان لي عودة لهذا الموضوع بمناسبة الكلام على مشاركة المغرب في الجمعية الدولية للمهندسين المعماريين ، ثم انني انتخبت في الدورة الاخيرة عضوا في المجلس التنفيذي للمكتب الدولي للتربية وخليفة لرئيسه الاستاذ كالو الايطالي .

واهم منظمة ثقافية في العالم هي اليونسكو وان شهرتها لا تغني عن التعريف بها ، بل بالعكس فانها من هذه المسميات التي يكثر ترددها على الالسنة ، فيمنع ذلك من البحث عن حقيقتها ، وكأن النطق باسمها هو الترجمان عن ماهيتها ، لان كل واحد سمع هذا اللفظ ، والكثيرون يعلمون ان المغرب عضو في هيئة تسمى اليونسكو ، ومن الناس من يعلم ان مؤتمرا لليونسكو انعقد بفاس ، ومنهم من يعلم كذلك ان شارعا بالعاصمة العلمية يطلق عليه هذا الاسم الذائع ، وكذلك تسمى به احدى ساحات الرباط ، ولاكن الذين يعرفون حقيقة هذه المنظمة ونظامها واساليب عملها وانواع نشاطها وكبير فائدتها قليلون، واني محاول اعطاءكم نظرة وجيزة عن هذا كله لان استيفاء الكلام على اليونسكو من كل هذه النواحي يتطلب زمنا طويلا .

اولا ـ ما معنى هذه اللفظة : اليونسكو ؟ انها تتركب من الحروف الاولى لاسم هذه المنظمة بالانكليزية وهو United Nations Educational, Scientific and Cultural Organisation
اي منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة .

تأسست هذه الهيئة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك ان جماعة من المفكرين بعد ما شاهدوا الخراب الذي يهدد العالم من جراء الحروب والويلات التي تصاحبها وتنتج عنها ، اخذوا يبحثون عن الوسائل الفعالة التي يمكن بها تلافي هذه الكوارث فتوصلوا الى هذه النتيجة ، وهي : «ان الحروب تنشأ في فكر الانسان فيجب رفع اعمدة السلم في فكره » وهذا هو المبدا الذي ارتكزت عليه فكرة اليونسكو ، وخرجت الى حيز الوجود اثر اجتماع عقده وزراء التربية والتعليم للحلفاء ، ودعوا فيه الى هذه الفكرة ، كما اوصى مؤتمر سان فرانسيسكو بنفس هذا المقترح، فعند ذلك دعت حكومة المملكة المتحدة الى عقد مؤتمر بلندن لوضع الاسس النهائية للمنظمة ، وتم ذلك في شهر نومبر سنة 1945 ومثلت في هذا المؤتمر اربع واربعون دولة .

وقبل استعراض تاريخ وجيز لهذه المنظمة منذ تاسيسها الى الآن والكلام على نظامها ، ينبغي ان نتعرض لمناحي نشاطها ، لان الاهداف التي اسست من اجلها تحتاج الى وسائل واسباب لتحقيقها ، والمباديء التي ترتكز عليها اليونسكو هي غايات تعمل لها وتسعى لبثها ونشرها بين اجيال الناشئين حتى يشبوا عليها ، واول ما اتجهت اليه عنايتها هو محاربة الامية وتعميم التعليم بين سائر الطبقات ، وعملها في هذا الميدان كانت له نتائج هامة اذ كان لها الفضل في ابتكار الاساليب لتعليم الكبار وتطبيقها في البلاد المتخلفة ، وذلك بتوجيه الخبراء في التربية الاساسية وابتكار الادوات السمعية البصرية لتسهيل التعليم بواسطة السينما والمسجلات والكتب الخاصة بهذا الشأن ، واسست مراكز تابعة لليونسكو في المناطق الثقافية الكبرى في العالم ، واهمها مركزان بامريكا الجنوبية للبلاد ذات الثقافة اللاتينية ، والثاني بسرس الليان بمصر لاهل الثقافة العربية ، وقد وجه المغرب بعثات انفقت عليها المنظمة للتدرب على هذه الاساليب، فمنهم من قضى مدة تدريبه بمركز في فرنسا ومنهم من ذهب الى (سرس الليان) ومنهم من قضى عدة شهور بامريكا واخص بالذكر من هؤلاء شابا هو السيد عبد الكريم العلوي ، قضى سنة كاملة يتنقل في مراكز التكوين للوسائل السمعية البصرية بالقارات الخمس، ورجع الى المغرب بمعلومات راقية في هذا الاختصاص.

والقسم المتخصص بهذه الناحية في اليونسكو يصدر نشرات مهمة وكتبا ورسائل بعدة لغات ؛ ومن جملتها العربية فيصدر عن مركز سرس الليان مثلا مجلة التربية الاساسية والتعريف بمصادر التربية الاساسية ؛ وهي نشرة دورية تسجل كل ما يصدر في العالم من بحوث في هذا الموضوع وتلخصها ؛ الى غير ذلك من الوثائق الراجعة لموضوع التربية الاساسية ومحاربة الامية ، هذا الداء الوبيل الذي يتعين علينا نحن بدورنا في المغرب ان نكتل جهودنا للقضاء عليه .

ولم تقتصر بالطبع اليونسكو على هذه الناحية بل شمل نشاطها كل مظاهر الحياة الفكرية ، فتشعبت مصالحها وتنوع مجال اختصاصاتها ، حتى صارت بمثابة وزارة عالمية كبرى لشؤون التربية والتعليم والابحاث العلمية ، وتظم عملها في نطاق اقسام يختص كل قسم منها بناحية ويضم عددا كبيرا من الموظفين، فهناك قسم التربية مثلا ، وعلى راسه مسؤول كبير وتحته نحو الثلاثين من رؤساء المصالح والمكاتب ، ويهتم هذا القسم بكل ما يرجع للتعليم في العالم في كل درجاته وبجميع انواعه ، وهناك قسم العلوم الرياضية والطبيعية ، وقسم العلوم الاجتماعية ، وقسم النشاط الثقافي ، وقسم الانباء ويهتم بشؤون الصحافة والاذاعة ، وهناك مصالح كبرى اخرى مستقلة كمصلحة الوثائق والنشر .

والادارة العامة لها كذلك عدة مكاتب ، حتى ان عدد كبار الموظفين الآن قد فاق المائتين ، وقد وضع في الدورة الاولى للمؤتمر العام التي انعقدت في باريس سنة 1946 الدستور الذي تسير عليه المنظمة، واتخذت باريس كمركز لها ، وقبلت دعوة المكسيك لعقد الدورة الثانية بعاصمتها مكسيكو ، وفي كل دورة يقبل اعضاء جدد ، وكانت هذه الدورات سنوية اولا ، فانعقدت الدورة الثالثة ببيروت سنة 1948 وقد اعدت لبنان لهذا الحادث التاريخي بناية اسستها بالخصوص لعقد هذا المؤتمر العام ؛ والدورة الرابعة وقعت بباريس سنة 1949 والخامسة بمدينة فلورانس بايطاليا سنة 1950 والسادسة والسابعة بباريس سنتي 1951 و1952 وقرر اذاك جمع المؤتمر العام مرة كل سنتين فقط فانعقدت الدورة الثامنة بمونتي فيديو عاصمة الاوراغواي سنة 1954 .

والمؤتمر العام يدوم عادة في دورته الاعتيادية شهرا كاملا تدرس خلاله ميزانية المنظمة وبرامج اعمالها لبحر السنتين التاليتين ، وينتخب اعضاء المجلس التنفيذي وهي الهيئة العليا التي تسير اليونسكو والتي تسهر على تطبيق دستورها ، وهو يتركب الآن من اربعة وعشرين عضوا ينتخبون من بينهم رئيسا وخليفتين ، ويجتمع مرتين في السنة وفي ما بين الاجتماعين تكون الاستشارات بين الرئيس والاعضاء بالمكاتبة ؛ ويدير المنظمة مدير عام ينتخبه المؤتمر العام لمدة ست سنوات .

ولما استقل المغرب وانخرطنا في المكتب الدولي للتربية ، طلبنا الانخراط في اليونسكو ووضعنا حسب نصوص الدستور طلبنا في وزارة خارجية المملكة المتحدة بلندن ، فقبل المجلس التنفيذي عضويتنا بعد قبولنا لمقتضيات دستور المنظمة ، على ان تعرض على اول دورة للمؤتمر العام وهي التي انعقدت بدهلي الجديدة عاصمة الهند في شهر نومبر سنة 1956 فوافق المؤتمر بالاجماع على قبول عضويتنا بمحضر وفد المغرب الذي كان لي الشرف في رئاسته .

وقد شارك اعضاء هذا الوفد ، وهم السادة : الناصر الفاسي واحمد الاخضر ويونس نكروف واحمد السنوسي ومحمد العلوي ، مشاركة مجدية في اعمال المؤتمر ، وهي اعمال شاقة تتطلب لمن اراد ان يعمل بجد ويستفيد لبلاده من تجارب الامم ، دراسات عميقة لكل وثائق المؤتمر وما اكثرها ، وهذا مما يعاب على اليونسكو وهو كثرة الاوراق والتقارير والمناشير ، ولاكن الحقيقة ان اكثر من يعيبون ذلك هم من الكسالى الذين ليس لهم من الصبر على الاهتمام بكل الدقائق ومطالعة كل النصوص ما يؤهلهم للاستفادة منها .

وقد بدانا نلمس في ذلك المؤتمر باتصالاتنا العديدة مع الوفود التي حضرت تلك الدورة ما قلته في أول هذه المحاضرة من جهل الامم الاخرى لبلادنا ، فاستفدنا من ذلك انه يجب علينا ان نستعد للتعريف بوطننا في المؤتمرات المقبلة بتوزيع كل ما يمكن من وثائق ، وذلك ما نفذناه من بعد في كل المنتديات الدولية التي اتيح لنا ان نشارك فيها بعد ذلك ، بل بدانا ذلك هناك في الهند بما كنا تزودنا به من وثائق ، وفي الباكستان حيث القيت اذاك محاضرة في جامعة لاهور حول المغرب وحول كفاحه لنيل استقلاله وحول مجهوداته في سبيل بناء الاستقلال وتدعيمه .

ومنذ انخراطنا في اليونسكو واتصالاتنا بها وثيقة بما وجهت لنا من خبراء ، وما اعطت لطلبتنا وموظفي التربية الوطنية من منح .

ومن مظاهر مشاركتنا لعمل اليونسكو وما قمنا به في اول السنة الماضية من عقد مؤتمر للجان الوطنية العربية لليونسكو ، وقد كان الاول من نوعه ، اذ لاحظنا ان كل الجماعات الثقافية الكبرى في العالم ، تنظم مثل هذه الاجتماعات للمداولة في الشؤون التي تهمها . وهكذا تجتمع اللجان الوطنية بامير كا اللاتينية واللجان الوطنية الاوربية ، واللجان الوطنية في الشرق الاقصى ، في مؤتمرات من هذا النوع ، فتخابرنا مع اللجان الوطنية العربية ، وتم الاتفاق على الاجتماع بفاس بمساعدة اليونيسكو المادية والفنية ، وقد كان له احسن الآثار في جمع كلمة المسؤولين في البلاد العربية عن شؤون الثقافة والعلم ، وتقرر تأسيس مكتب للتنسيق بينها ، وجعل مقره بالمغرب ، وقد كلف اخيرا من قبل ممثلي الدول العربية في الدورة العاشرة التي انعقدت بباريس في نومبير الاخير بالاهتمام بشؤون الثقافة العربية عموما بتشجيع كل المحاولات التي تسعى للنهوض باللغة العربية وجعلها تساير التطور العصري ، حسب ما ورد في الوثيقة التي وقع عليها رؤساء وفود الدول العربية الثمان التي حضرت الدورة المذكورة ، ولي عودة الى هذا الموضوع عند الكلام على مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ ومن هذه الثقة التي جعلها اخواننا العرب في بلادنا الفتية ، تظهر المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقنا ، والتي يجب ان تعان وتزود بكل ما يلزم للقيام بها ، وان العمل جار والحمد لله الآن في تنظيم المركز وتجهيزه بفضل تفهم المسؤولين ، وباعانة اعضاء المكتب الدائم للجنة الوطنية المغربية لليونسكو .

وان الكلام على هذه المنظمة طويل ، ولا يمكن ان استوعبه في فصل من هذه المحاضرة ، خصوصا وانا اريد ان اتكلم لكم عن مؤسسات اخرى ثقافية ، وانتم تعلمون مشاركة المغرب في الدورة الاخيرة بباريس وما حصل عليه من فوز بانتخاب رئيس وفده كخليفة لرئيس المؤتمر ، وقد تراس اجتماعين عامين ، وبانتخابه كعضو بالمجلس التنفيذي ، وفقنا الله الى القيام بهذه المامورية على احسن الوجوه ، ويبلد لي ان انوه

باعضاء الوفد الذين كانوا لي خير مساعدين في هذه الدورة كما كان زملاؤهم في الدورة السابقة ، واعضاء الوفد الى باريس زيادة على الرئيس كانوا هم السادة الدكتور ابن سالم الكوهن الوزير المفوض بسفارة المغرب بباريس اذ ذاك ؛ والسيد ابو مهدي رئيس قسم العلائق الثقافية بوزارة الخارجية ، والاستاذ احمد الاخضر الذي له اختصاص كبير بشؤون اليونسكو وقد حضر الدورتين الاخيرتين للمنظمة ، والسيد عبد الحفيظ الادريسي من الفرع الثقافي بوزارة التربية الوطنية .

ومن المحافل الثقافية الدولية التي شارك فيها المغرب بعد استقلاله المؤتمر الدولي للفنون التشكيلية الذي انعقد بسان كلو بفرانسا في صيف سنة 1956 ومؤتمر عصب التربية الاساسية الذي انعقد في نفس التاريخ بسان ايتيان وحضره الاستاذان ابن زيان والاخضر .

ومنها مؤتمر الجمعية الدولية للمهندسين المعماريين ، وقد مثل فيه المغرب المهندس المعماري الاستاذ فارس ، ومهندس وزارة التربية الوطنية الاستاذ ماروزو ، وقد حضر الدورة التي انعقدت سنة 1956 بلندن ، وذلك ان هذه الجمعية الدولية مهمة جدا بالنسبة لنا ، لان لها شعبة تختص بالمباني المدرسية ، وقد عقدت هذه الشعبة اجتماعها سنة 1957 بلوزان ، وقرر اذاك اتخاذ المغرب والهند كبلاد لتجربة بناء المدارس الابتدائية ، ووقع الاختيار على بلادنا نظرا لما قدمه مبعوث المغرب من نتائج سارة في هذا الميدان ، وعند ذلك استدعينا شعبة المباني المدرسية لعقد مؤتمرها بالمغرب ، وفعلا تم ذلك في اوائل السنة الماضية ، ونتج عن كل هذا ان الجمعية الدولية للمهندسين المعماريين طلبت من اليونيسكو ان تؤسس باتفاق معها وبمساعدة الحكومة المغربية مركزا لهذه الدراسات الخاصة بالبنايات المدرسية بالمغرب ، والمسالة الآن تحت الدرس وباخراجها لحيز الوجود تزيد مكانة بلادنا في الميدان الدولي ثبوتا ورسوخا .

ومن المحافل الادبية التي شارك فيها المغرب مؤتمر ادباء العرب الذي مثل المغرب في دورتيه الاخيرتين ، وقد انعقدت احداهما بالقاهرة سنة 1957 وتراس وفد المغرب فيها العلامة الجليل الاستاذ عبد الله كنون ، وكان معه من الاعضاء الاستاذ محمد ابن تاويت رئيس معهد مولاي الحسن ، والاستاذ الحسن السائح من وزارة التربية الوطنية ، والاستاذ عبد القادر الصحراوي رئيس تحرير مجلة (دعوة الحق) وثانيتهما في الكويت آخر سنة 1958 وتراس الوفد المغربي سعادة سفير المغرب بتركيا وايران الاستاذ عبد الكبير الفاسي وكان معه الاعضاء السادة محمد عزيمان نائب وزارة التربية الوطنية بتطوان ، والاستاذ عبد الهادي التازي رئيس الفرع الثقافي بوزارة التربية الوطنية ، والاستاذ عبد القادر حسن من وزارة الخارجية .

ومن باب التعريف بالمغرب في الخارج ما كنت قمت به من القاء محاضرة في اول السنة الماضية بمدينة بون عاصمة المانيا الغربية ، بدعوة من مؤسسة فريدريش ابرث ، وهي من اهم المؤسسات الثقافية الكبرى بالمانيا ، وقد نتج عن ذلك ان تبرعت هذه المؤسسة بخمس منح لطلبة مغاربة يذهبون للدراسة التقنية على نفقتها ، وقد تأخرت الاجراءات لتنفيذ هذا التبرع وهو الآن في طور الانجاز .

وكذلك شارك المغرب في معارض فنية كمعرض الرسم والنحت الذي انعقد سنة 1957 بالاسكندرية ، وقد وجهنا له لوحات زيتية مغربية وتحفا فنية ، وكذلك نظمنا معرضا فنيا بتونس ، وهذه الناحية تحتاج الى زيادة اهتمام وذلك ما ستتوجه اليه ان شاء الله في دائرة النشاط الثقافي والبحث العلمي الذي تسهر عليه الآن مصلحة خاصة بوزارة التربية الوطنية وتشرف عليه الجامعة من الناحية الفنية العلمية .

وانني لم استوعب كل المظاهرات الثقافية الدولية التي شارك فيها المغرب لان ذلك يطول ، واريد ان اختم هذا الحديث بالكلام على مجمع اللغة العربية للجمهورية العربية المتحدة ، وقد شرفني بتعييني من جملة اعضائه العاملين وحضرت بعض جلساته في دورته الاخيرة .

هذا المجمع من اهم المؤسسات في العالم العربي التي تعنى بشان اللغة العربية وترقيتها والمحافظة عليها، وقد اسس على غرار الاكاديمية الفرنسية التي تلعب دورا هاما في المحافظة على صفاء اللغة الفرنسية وتسهر على سلامتها ، فتقبل في قاموسها ما يتفق مع اسسها واساليبها وتلغي سوى ذلك .

والمجمع اللغوي العربي اسس سنة 1932 وهو يضم نخبة رجال العلم واللغة والادب في مصر والعالم العربي ، ومن اعضائه الدكتور لطفي السيد استاذ الجيل كما يسمونه بمصر وهو رئيسه ، والدكتور منصور فهمي (1) وهو الكاتب العام ، والدكتور طه حسين ، والاستاذ حسن الزيات ، ومحمود العقاد ، والكاتب محمود تيمور ، والامير الشهابي من لبنان الى غير هؤلاء من فطاحل رجال العلم والادب .

1) كتب هذا الحديث قبيل وفاة المرحوم الدكتور منصور فهمي

وان الغاية التي يعمل لها المجمع ، هي جعل اللغة العربية اداة صالحة للتعبير عن كل العواطف والافكار والآلات والمصطلحات العلمية والفنية ؛ وان موضوع اللغة العربية ومشاكلها من المواضيع التي شغلت ولا زالت تشغل كل المفكرين في بلادنا العربية وقد مرت دراستها والبحث عن حلول لما يدعوه بعضهم بنقصها باطوار مختلفة .

واولا اريد بهذه المناسبة ان ادرس معكم هذه المشاكل . يظهر لي انه بكثرة ما رددت هذه اللفظة وبكثرة ما اشتغل بها غير ابناء العربية من المستشرقين الذين كانوا يجدون صعوبة واي صعوبة في تعلمها ؛ وبكثرة ما قلدهم ابناء الشرق في مناقشة هذه المسالة عن حسن نية بحثا وراء ايجاد حلول للمشاكل ؛ اقول لكثرة كل هذه العوامل صارت المسالة معقدة وبولغ في تضخم هذه المشاكل حتى ادى ذلك الى التفكير في حلول لا تمت بصلة للغة العربية ، وانما فيها القضاء عليها وقطع الصلة بينها وبين تاريخها المجيد .

وانا لا انكر مطلقا ان للعربية مشاكل ولكنها لا تعدو ان تكون من نفس نوع مشاكل اللغات الحية الاخرى كلها ؛ بل هناك لغات كالصينية مثلا لها مشاكل تفوق بكثرة مشاكل لغتنا مع ان الصينية لغة شعب ذي حضارة عريضة لم تمنعه صعوبتها من المساهمة في بناء صرح الحضارة البشرية .

واذا فما هي مشاكل لغتنا ؟ هذه المشاكل ترجع قبل كل شيء في نظري الى الطباعة ، بمعنى انه عندما اخترعت الطباعة لم نفكر في ابتكار حروف خاصة لها ، واخذنا نطبع كما نكتب ؛ والحالة ان مخترع الطباعة بالحروف اللاتينية جعل شكلا خاصا منفردا لكل حرف، ولم يربط الحروف بعضها ببعض كما يفعل عند الكتابة، فسهل عليهم العمل . اما نحن فاخذنا نطبع كما نكتب ؛ وبما ان لاكثر حروفنا شكلا عند ما يكون في الاول وشكلا اخر عند ما يكون في الوسط او في الاخير او منفردا ، اضطررنا لعدة اشكال وعدة خانات في صندوق المطبعة مما يكلف اثمانها باهظة وزمنا طويلا ، هذا من جهة ومن جهة اخرى هناك مشكلة لم تظهر الا عند ما صرنا مضطرين لنشر التعليم بوسائل سريعة ، وذلك اننا لا نحتاج الى وضع الحركات حيث أن النحو العربي والصرف واللغة لمن يتقن كل هذه العلوم — وكان لنا في الماضي من الوقت ما يكفي لاتقانها — كل ذلك يساعد على القراءة بدون حركات ؛ اما الطفل الصغير والكهل الامي الذي نريد ان نعلمه القراءة والكتابة فليس لهما من الوقت ما يسمح لهما بالتعلم بسرعة كما يفعل من يتعلم القراءة والكتابة بالحروف اللاتينية مثلا .

وعليه فالمسالة من هذه الناحية لا تحتاج الا الى اصلاح بسيط في ما يرجع للطباعة ، وذلك ما توصل اليه الاستاذ الاخضر في طريقة لا تخرج عن اساليب الكتابة العربية ، وقد وجدت عند ذهابي للقاهرة المسالة موضوعة عند وزارة التربية والتعليم وعند المجمع اللغوي ، فحدثتهم عن ابتكار الحروف الجديدة وقد طلب مني معالي الوزير السيد كمال الدين حسين ان اوجه له نسخة من حروف الاخضر ، وكذلك المجمع ، وقد فعلت . وان وزارة التربية الوطنية عندنا جادة الآن في اخراج هذه الحروف الى حيز الوجود ؛ اما مسالة الضبط اي جعل الحركات ، فان الحروف الجديدة تساعد عليها كذلك بدون ان تتضخم المصاريف، على أنه يمكننا ان نطبع كل الكتب المدرسية بالشكل التام وذلك ما قرره المجمع ووزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ريثما يتم الاتفاق على اتخاذ حروف جديدة، واننا نامل أن تكون هي حروف الاستاذ الاخضر لانها اقرب الابتكارات للاساليب العربية حتى ان الناظر اليها لا يميز الفرق بينها وبين الحروف العادية ، وقد عدل كل المشتغلين بهذه المسالة حتى من المستشرقين اصحاب الفكرة الاولى عن اقتباس الحروف الاجنبية لكتابة العربية .

وان هذين المظهرين مما يسمى مشاكل اللغة العربية اعتبرهما طفيفين وانما المشاكل الحقيقية العويصة في نظري هي اولا نقصان اللغة العربية من المفردات لكل ما استجد في هذه المدنية الحديثة ، ثانيا عدم توحيد هذه المفردات بين كل الامم العربية ، ثالثا وهو اكثرها خطرا الكسل الفكري الذي يتصف به العرب حيث اننا لا نريد ان نفهم ان اللغة الحية ليست هي التي نحاضر بها ونكتب بها رسائلنا ونؤلف بها كتبنا ، وانما اللغة هي التي نتخاطب بها ونتكلم بها في البيت وفي الشارع ، وليس معنى هذا انني ادعو الى التكلم باللغة العربية الفصحى مع الاعراب التام ، ولكنني اريد اننا لا نستعمل هذا السيل الجارف من المفردات الاجنبية في لغة تخاطبنا من افرنسية واسبانية وايطالية وتركية وانكليزية ، فلا يكفي أن نصطلح على تسمية مستحدثات جديدة باسماء عربية كالقطار والبريد وطابع البريد ، مثلا ثم عندما نتكلم نقول « الترن » او « اشمان ديفير » و « البوسطة » او « الكوربور » و « السيو » او « التنبر » .

هذا هو المشكل الحقيقي والذي لا يمكن ان يعالج الا بفرض التكلم بلغة سليمة على المعلمين امام تلامذتهم ، حتى لا يسمعوا الا اللفظ العربي ، ويجب على المثقفين كذلك ان يتخلوا عن كسلهم الفكري ويسهروا على مراقبة السنتهم حتى لا ينطقوا الا باللفظ العربي .

والمجمع اللغوي جاد في وضع المصطلحات العلمية والفاظ الحضارة للغة التخاطب ، وهو يحضر ثلاثة قواميس الكبير والمتوسط والصغير وقد قرب انجاز هذا الاخير ، اما المتوسط فسيظهر بعد سنتين او ثلاث ، اما الكبير فيتطلب زمنا طويلا وابحاثا دقيقة .

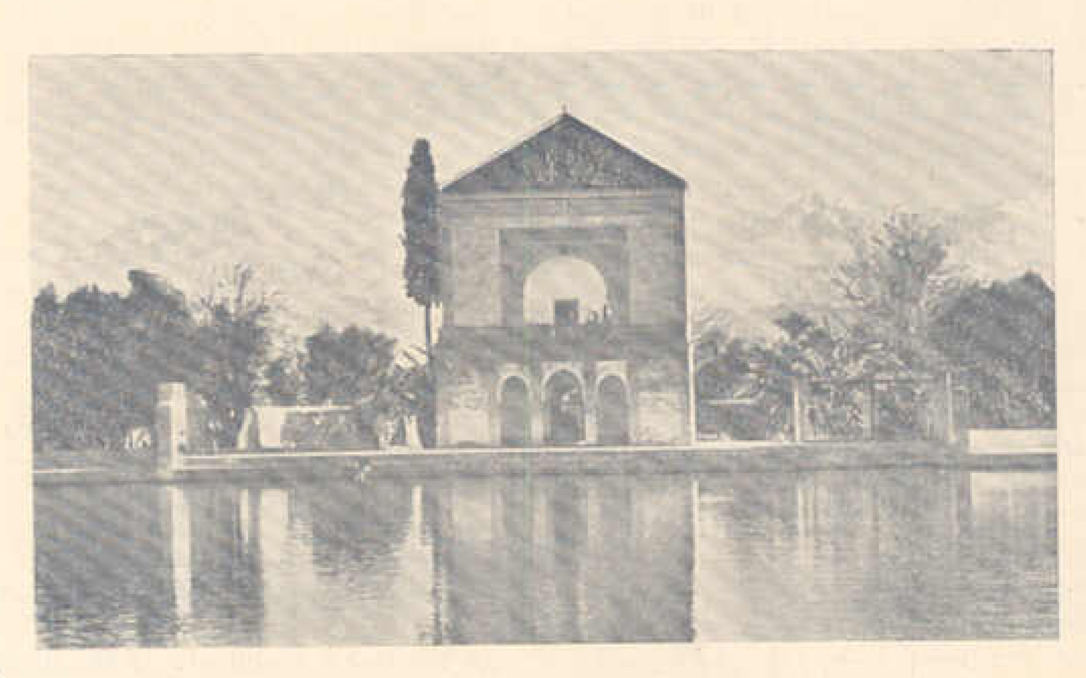
واني انتهز هذه الفرصة كذلك لاحدثكم عما شاهدته في مصر مما يفعم القلب سرورا من اقبال الامة على العمل بجد في سائر المناحي الاقتصاديـــة والثقافية ، فحركة التصنيع قائمة على ساق ، ويسهر عليها رجال مقتدرون ، وقد كانت نتيجة للاعتـــداء الثلاثي الذي جعل المصريين يلمسون ان الاستقـــلال السياسي ما لم يدعم باستقلال اقتصادي يبقى دائمـا مهددا وقد وفقوا في هذا السبيل .

واما الحركة العلمية فهي سائرة بخطى سريعة نحو ادراك شان الامم المتقدمة بكثرة ما اسست مـن مدارس ومن معاهد ومن جامعات ، وقد اطلعت علـى الكثير من هذا النشاط التعليمي وزرت عدة كليـات ومدارس ثانوية ، والعربية في كل هذا سائدة وفي كل مظاهر الحياة الشعبية مما يثلج الصدر ويبشـــر بمستقبل زاهر لثقافتنا .

ومن المشاهد ايضا وهو يسترعي النظر بكيفية واضحة النهضة الدينية الاسلامية التي تظهر في مـا ينشر من مؤلفات عن الاسلام وتاريخه وحضارته ، مما يظهر جليا في الكتب المعروضة في واجهات المكاتب ، كما تتجلى هذه النهضة في المساجد التي تؤمها كـــل طبقات الشعب خصوصا يوم الجمعة ، والشبـــاب بالخصوص مقبل على تادية هذه الفريضة ، واذا دخلت مصلحة من المصالح الوزارية او الادارية يسترعـــي انتباهك فوق راس الوزير والموظف الكبير او الكاتب الصغير اسم الجلالة مكتوبا بحروف جميلة كبيرة يرعى اعمال الموظفين ، ونعمت السنة هذه .

هذه ايها السادة ارتساماتي عن هذه الرحلة الى البلاد المصرية الشقيقة ، اي ما يسمى الآن الاقليـم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ، واني اكرر بهذه المناسبة شكري لكل من سهلوا علي المقام في بلاد الكنانة وساعدوني على تعرف نشاطها الثقافي .

وبعد فان الذي سنخلصه من هذا الحديث وقد طال ، هو انه يتعين على المغرب ان يحتاط من الوقوع في العزلة التي كانت سبب تأخره وفقدان حريته ، وان لا ينكمش على نفسه ، وان يقوم بالتعريب بشؤونه ماضيها وحاضرها ، وان يتتبع بجد واهتمام ما يقع عند غيره حتى يستطيع مـايرة ركب الحضـــارة الحديثة ويكون اهلا للاستقلال الذي حصل عليه بفضل كفاح ابنائه الابرار ،وعلى راسهم محمد الخامس نصره الله .



صهريج المنارة بضواحي مدينة مراكش





لقد كتب لي ان اقضي مع الدكتور **منصور فهمي** يوما او بعض يوم اثناء مؤتمر الادباء العرب بالكويت ، وكان من الشخصيات اللامعة التي جاءت في وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وان لم يكن على راسها رغما عن تقدمه في السن على من حضروا معه ، ورغما عن مقامه الكبير بين رجال الفكر والقلم ، لانه كما يقولون ـ لكل وقت دولة ورجال ـ .

وكنت اعلم ان الاستاذ **منصور فهمي** من المهتمين بشؤون المغرب ، وممن كان لهم عطف كبير عليه . وكنت اعلم الصداقة التي تربطه بالاستاذ علال الفاسي .

وقد اتيح لي يوم زيارة منطقة النفط في 23 دجمبر 1958 ـ في ميناء الاحمدي بالكويت ان اصحبه، وان اكون رفيقا له في السيارة التي اقلتنا لزيارة هذا الميناء الكبير . ولما نزلنا من السيارة اخذت بيده ، حيث توكأ على ذراعي لضعفه نظرا لتقدمه في السن ، واخذنا نتجول في انحاء الميناء ونحن على هذا الشكل كالوالد الشيخ من ولده اللاحق به ، وخصوصا لما طالت الزيارة والوقوف عند بعض البواخر الفرنسية من ناقلات البترول ، وكانت حمولتها تنيف عن ثمانين الف طن ، وكانت محل اعجاب الزائرين .

كان الدكتور منصور فهمي اثناء تجوالنا يلقي علي اسئلة دقيقة عن الحالة في المغرب ، وعن سلوك صاحب الجلالة محمد الخامس حفظه الله في حل الازمات الاجتماعية وغيرها التي يرتطم بها المغرب . وكان يعبر عن فكره على ضوء بعض الدعايات المغرضة التي تشاع من وقت لآخر عن المغرب . وكان متشككا فيها ، فوجد فرصة في لقاء مغربي صميم للاستفسار عنها ، فوضحت له ما وسعني ان اوضحه من تلك المسائل الشائكة التي تحاط باراجيف واكاذيب لا اساس لها من الصحة ، وانما تتولد في خيال سماسرة ودعاة السيطرة في العالم العربي ، واقتنع بذلك قائلا : « الحمد لله على ان كل ما قيل ويقال عنكم غير صحيح ، لانني احب المغرب واحب ملكه وزعماءه ولا اريد أن يصدر عنهم سوء او ان يمسوا بسوء ولو في سمعتهم » .

وكنت اذ تحدثت اليه اشعر شعور الولد المتحدث لوالده او لجده ، واشعر منه بحنان وعطف كما يحتاج اليهما المرء في مختلف اطوار حياته ، خصوصا اذا كانت الحياة مليئة بالقساوة والعنف وسوء النية والغرض الذي يعمي البصائر .

وتناولنا الغداء ذلك اليوم ونحن على مائدة واحدة . وكانت شهوة الشيخ الكبير للطعام شهوة كثير من الشيوخ ، وكثيرا ما تربو على شهوة كثير من الشباب والكهول خصوصا اذا كانوا يتحفظون ابقاء على حسن الهندام والرشاقة .

ويعلم الله ما هي مائدة العرب وما عليها من الوان ، وخصوصا الخرفان والديكة .

وجرى الحديث اثناء الغداء فيما كنا فيه قبل وفي غيره . وكان من الآكلين من استعمل الشوكة والسكين

ومن استعمل الاصابع ، وكان الشيخ الوقور من مستعملي الشوكة والسكين ، فناوله في آخر الطعام الامير الذي كنا على مائدته منديلا، فاعتذر عن استعماله قائلا « ما اعتادت يداي ان تتوسخا ـ قال ذلك في لهجة المشير الى رواية « جان بول سارتر » الايدي القذرة » ـ وضحك الجميع من النكتة واستحسنوها.

وفي مساء هذا اليوم كانت جلسة المؤتمر للاستماع الى محاضرة البطولة في الادب العربي في شمال افريقيا والاندلس . وتشرف صاحب هاته العجالة المتواضعة برئاستها . وبعد ما انعقدت الجلسة والقى المحاضر كلمته ، طلب من المعلقين ابداء آرائهم في المحاضرة . فقام الدكتور منصور فهمي والقى كلمة اعدها من جوامع الكلم ومن نفائس الفكر التي يحق لها ان تثبت في جملة الروائع الكتابية ، لما فيها من توجيه نود ان يكون توجيها لشباب العرب عموما ولشباب المغرب على الاخص ، ولجميع من يجهل قيمة التراث العربي الاسلامي ، ويجهل انه جماع لكل القيم الروحية والمثل العليا التي ينبغي ان نعيش لها جميعا ، وهي كلمة شيخ للاجيال التي طلعت عندما اوشك هذا الشيخ الوقور ان ينتقل الى رحمة ربه ، بعد ما عرف الحياة ومآسيها وعجم عودها ، وتغرب ما شاء الله ان يتغرب ، وتفلسف ما شاء القدر ان يتفلسف ، ورجع من تلك المعارك والمآسي والتجارب بخلاصة نود لكل طالب ان يتوصل اليها بدلا مما نراه ونسمعه من الشذوذ في الافكار والآراء ، بعد دراسات سطحية شهورا او سنوات ، في كليات الغرب .

وكان لسان حال الدكتور منصور فهمي المؤمن، تلك الابيات التي ساقها ابو الفتح الشهرستاني في كتابه « نهاية الاقدام في علم الكلام » ولا تعرف بالضبط لمن هي ، لان من المؤلفين من نسبها لابي بكر محمد بن باجة المعروف بابي الصائغ ، ومنهم من عزاها للشيخ الرئيس ابي علي ابن سينا . ومهما كان قائلها فانها لا تصدر الا عن جبار من جبابرة الفكر الذين تحققوا بان التيه في مجاهل الشك ليس بعده الا الخيبة والخسران المبين ، وان الايمان وحده هو سبيل المعرفة :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر
على ذقن او قارعا سن نادم

ونثبت هنا كلمة الدكتور منصور فهمي لتسجل ولا تضيع ، لانها لم تنشر الا في صحيفة مؤتمر الادباء العرب التي احتجبت بعد قضاء مهمتها طيلة اسبوع وايام قلائل :

كلمة الدكتور منصور فهمي

ايها الاخوان ،

اولا اعتذر عن القول لان الدقائق الثلاث التي رسمت للقائل تحول بين شيخ مثلي مهدم وبين ان يتلقى انفاسه ليقول ، انما ما دام السيد الرئيس قد دعاني الى القول فاني اقول لكم ايها الابناء ولا اقول لكم ايها السادة ، اقول ايها الورثة لصحف جليلة بسجلات مليئة ، صحف انسانية فيها خطوط من نور وفيها احرف من حماسة وفيها وحي يذكر بتلك البطولة التي انتم بحق ورثتها وانتم قراء صحيفتها ، انتم القراء لتلك الصحف التي يفيض بها الادب العربي والشعر العربي في القديم وفي العصور المتوسطة وفي الحديث من شعرائنا الحاليين الذين يلهبون النفوس بكلماتها ومن شعرائنا الذين يروون انفسكم بدمائهم وتضحيتهم في كل بلاد العروبة ، ضحوا من اجل البطولة وهي كما قال احد الاخوان السابقين ليست في الشجاعة فحسب ، وليست في اقتحام المآزق المادية ، ولكنها كما قال الاخ الجزائري سمو بالروح ، سمو للعزة ، لان صحيفة الدين التي ورثتموها باللغة العربية جعلت من ربكم ذلك العزيز وجعلت من دينكم ودينكم العزة، فالصقتها بالله وبرسول الله الذي نزل عليه الوحي الكبير ، فانتم ورثة العزة بطبيعتكم وبلغتكم وبكتابكم المقدس ، والعزة كلمة قصيرة ، كلمة مضغوطة ، كلمة مختصرة ، ولكنها مليئة بكل المعاني التي تجعل البطولة، العزة للوطن ، للانسانية .. للنفس الصافية حين تتسامى عن دناوة البشريات ، وعن التهافت على الماديات والشهوات الوضيعة ، تحتقر كل ما تطلبون من المثل العليا للبطولة ، ايها الورثة المأمولون وانا انظر فيكم فلا ارى الا شابا وفتى لا اجد من يستقبل عما قريب الغد شيخا مثلي ، ولكن امامكم الميدان والزمن مفسوح لكي تتكلموا بتلك المكارم العربية .

احذركم واحذر شبابكم من كلمات جرت في سوق المعاملات بين الشباب ، كثير من الشباب احيانا اجدهم يمر على لسانه عبارة الكهنوتية والصوفية والمتصوف ، اعلموا ايها الابناء ان كتابكم الذي يقوم على قداسة العزة وقداسة الروحية ، وان ادبكم الذي يقوم على الايمان بالمثل الرفيعة والسجايا العربية النبيلة ، ارتفاع بالروح فلا تغتروا بتلك الالفاظ بل الروحية هي التي تصل الارض بالسماء ، وتومىء الى الارتفاع والى السمو والى العظمة ، فابقوا على عهدكم بعروبتكم ، فهي روحانية وسجايا وكرم ومزايا وهذا الذي يسودكم على الارض ويخلق من المدنية الفاسدة مدنية جديدة فاضلة ، هي مدنية العرب .

أساليب النشاط الاقتصادي الأمريكي ومدى إمكان تطبيقها بالمغرب

بقلم عمر السعدي المنجرة
رئيس قسم التنسيق الاقتصادي
بوزارة الاقتصاد الوطني



ان موضوع هذه الدراسة يتلخص في اقتراح بعض اساليب النشاط الاقتصادي (التجاري والصناعي) التي لم تحظ بعد في المغرب، بانماء واسع. وهي اساليب تتيسر تنميتها اذا نحن استعملنا الطرق العصرية المطبقة في تجارة الولايات المتحدة، وصناعتها.

وسنتعرض لهذا الموضوع مع اعطاء :

ا) جدول الاقتصاد المغربي، وبعض البيانات حول الحالة النفسانية للمواطن المغربي وحول مواقفه.

ب) جدول الاقتصاد في الولايات المتحدة التي بلغت مستوى جد مرتفع فيما يخص الانماء الاقتصادي.

ج) وذلك ما سيحدد لنا الاطار الاقتصادي والاجتماعي الذي سنناقش في نطاقه، مرافق النشاط التجارية والصناعية القابلة للانماء. وهو نشاط تجد له في الولايات المتحدة، نموذجا فعالا ومفيدا. ويشتمل هذا النشاط على المرافق الآتية :

1) **الاشهار :** وسنتعرض الى :

ا) اهميته بالولايات المتحدة.

ب) حالته الراهنة بالمغرب.

ج) فوائده وتأثيراته الاقتصادية والاجتماعية.

د) امكانيات انمائه بالمغرب.

2) **استيعاب امكانيات السوق :** وسننظر الى:

ا) اهميته في الولايات المتحدة.

ب) امكانيات انمائه في تجارة المغرب وصناعته

3) **طرق الانتاج :** وسنعرض في هذا الباب :

ا) الاساليب التقنية العلمية التي ترتكز عليها طرق الانتاج المطبقة بالولايات المتحدة.

ب) التأثيرات المحتملة التي قد تنتج عن تطبيقها في الصناعة المغربية :

— التأثيرات الاقتصادية.
— التأثيرات الاجتماعية.

4) **الدراسات الخاصة بالسوق :**

ا) اهميتها ومنافعها بالولايات المتحدة.

ب) حاجياتها بالمغرب.

5) **الادارة :**

ا) اهمية التنظيم الاداري في التجارة والصناعات الامريكية.

ب) التأثيرات التي قد تنتج عن تطبيقها في المؤسسات التجارية والصناعية المغربية.

ج) وفي الجزء الاخير، سنقدم خلاصة تبرز الوسائل الموضوعة رهن اشارة « رجال الاعمال » المغاربة، قصد الوصول الى انماء نشاطهم التجاري والصناعي، والمساعدة الفنية التي يمكن للبلدان المتقدمة كالولايات المتحدة وفرنسا، أن تقدمها لمرافق النشاط الحرة بالبلاد، قصد تحقيق تنمية من هذا القبيل.

1 — جدول الاقتصاد المغربي

هذا وقد يكون من المفيد، قبل الدخول في تفاصيل مرافق النشاط التجاري والصناعي، اعطاء نظرة عامة عن اقتصاد البلاد.

وهو اقتصاد اصطلح على تعريفه بانه متخلف . والحالة ، انه بالنسبة لباقي بلدان افريقيا وآسيا او امريكة اللاتينية ، يتوفر المغرب على تجهيز اساسي ، وامكانيات للانتاج ، تجعل منه بلادا قد اخذت تسير فى طريق انماء عظيم .

فرغم الظروف الجوية المتقلبة التي يوفرها مناخ المغرب ، ورغم كون ما يفوق نصف البلاد ، يعيش فى عزلة ، فان وضعية المغرب الجغرافية التي تتجلى فى غزارة مياهه النسبية ، والمواد التي تقع فى باطن الارض ، والثروات النباتية ، وكون المغرب يطل على بحرين اثنين ، ثم كونه يضم عددا عديدا من السكان الذين تحذوهم روح النشاط ، كل هذه الاسباب تشكل بالمغرب مجموعة من الامكانيات التي قلما تتحقق فى عالم البحر الابيض المتوسط .

فان اعتنينا بمرافق النشاط الاقتصادية التي تثمر مباشرة ، ثم بالمرافق الاجتماعية والثقافية للاقتصاد المغربي ، امكننا ان نحصرها فى الجدول التالي :

1) ان الفلاحة المغربية تشكل اهم مجال للنشاط فى البلاد . والواقع ان 75٪ من السكان قرويون وان دخلهم الذي يتراوح بين 200 و250 مليار ، يمثل اكثر من 40٪ من مجموع الدخل الوطني فمن الضروري اذن ان نظهر هنا الاهمية التي تكتسبها الزيادة فى الدخل الفلاحي للبلاد الذي يشكل الضمانة الوحيدة لتحقيق ازدهار اقتصادي هام ، ولنجاح باقي المرافق الاقتصادية التي تملكها الامة .

هذا هو الهدف الذي كانت تعمل له التصميمات الاولى الخاصة بالتجديد والتجهيز ؛ وهو نفس الهدف الذي ستعمل من اجل بلوغه ، البرامج المقبلة كتصميم السنتين ، وتصميم الخمس سنوات .

ومما هو متفق عليه فى الحالة الراهنة ، ان القيام بحركة تصنيع واسعة ، ونشر الفلاحة وتعميمها واستعمال الطرق الزراعية العصرية ، وتوسيع نطاق القرض الفلاحي ، هي الشروط اللازمة لتنمية هذا الميدان الذي له اهمية كبرى فى الاقتصاد المغربي.

2) توليد القوة المائية : وهذا الميدان التكميلي للفلاحة ، قد حظى خلال السنوات الاخيرة ، بعناية السلطات العمومية . فهو علاوة على انتاج الطاقة ، يمكن من سقي دائرات كبرى ، وتقدر مساحتها حسب الخبراء الفنيين بمليون هكتار صالحة للري لا توجد من بينها الا 55.000 هكتار مجهزة بقنوات التوزيع و36.500 هكتار تسقى عمليا فى دائرات الري الكبرى .

وذلك ما معناه ان الجهود يجب ان تبذل فى هذا الميدان قصد تحسين قوة الانتاج الفلاحي للبلاد ، وحتى يتم استعمال الاساليب العصرية للتعجيل بتحقيق هذه الجهود .

3) فى ميدان المعادن والصناعات : تسير الحالة فى هذا الميدان نحو الازدهار . هذا وقد تم تزويد المناجم بالمؤسسات الاخصائية (كمكتب الدراسات والمساهمات المعدنية مثلا) كما ان انتاجها قد تضاعف بصفة مرموقة وذلك منذ 1948 . ان معادن الفوسفاط تحتل الصف الاول فى ترتيب المعادن المغربية ذلك لانه ينتج 5.500.000 طن ، ثم تأتي بعده مادة الانتراسيت (480.000 طن) ، ومعدن الحديد (1.500.000 طن ويدخل ضمن ذلك انتاج الشمال) ، ثم المانغنيز ، والرصاص ، والزنك ، والكوبالت .

ان الميدان الصناعي معناه الصحيح لم يتحقق انشائه الا فى الفترة الاخيرة ، وذلك لانه لم يحظ بانماء جدي الا بعد انتهاء الحرب الاخيرة .

وتترتب اهم الفروع الصناعية الموجودة بالمغرب كما يأتي :

- تحويل المعادن .
- مواد البناء .
- بعض الصناعات الكيماوية .
- صناعة النسيج والجلد .
- صناعة الخشب ومنقولات التأثيث .

وهناك ، اخيرا ميدان هام لصناعة المواد الغذائية الخاصة بالاستهلاك الداخلي (المطاحن ، معامل تكرير السكر والمشروبات) .

وفيما يخص التصدير توجد بالمغرب (معامل التصبير الخاصة بالسمك) .

ان اقرار سعر سيمكن من حماية هذه الصناعات كما ان عمل الدولة سيرتكز عليه فيما يخص توظيف رؤوس الاموال المباشرة فى هذا الميدان ، اضف الى ذلك ان الدراسات والابحاث الخاصة بتنمية هذا الميدان ، ستعزز الحماية المذكورة .

ثم ان التصميمات المقبلة ستخصص اكبر اهمية لانعاش هذا الميدان الذي يعتبر هو والفلاحة كالاس الرئيسية لتنمية الاقتصاد .

4) الطاقـــة :

يزدان المغرب بثلاثة اودية كبرى : ام الربيـع السبـو ووادي ملوية ، وهي انهار تنحدر من اعلـى الجبال الشاهقة للاطلس المتوسط الذي يحتل مكانة ممتازة في شمال افريقيـا .

واذا اعتبرنا كميات الطاقة التي نستخلصها من غير الكهرباء ، وبالاخص من الفحم والنفط ، فـان مجموع ما ينتجه المغرب باطنان الفحـم الحجري ، قد بلغ في 1955 2.176.970 وحدة من بينها نصف انتجته الموارد المحلية والنصف الآخر مستـورد .

5) وفيما يخص النقـل والمواصلات : كانت البلاد في 1957 تتوفر على شبكة للطرق كافية التجهيز فيما يتعلق بالطرق الرئيسية والثانوية ، غير ان شبكة الطرق الثالثية اقل اهمية .

ثم ان شبكة السكك الحديدية المغربية ، تمتـد هي الاخرى على طـول 891 كيلومتـر من بينهـا 1.790 في منطقـة الجنوب .

هذا ولا تنتفع من السكك الحديدية الا « مناطق المغرب المفيدة » وكذلك جنوب البلاد الذي لا يتوفر في هذا الميدان على تجهيز كامل .

*

تلك هي اذن الخطـوط الكبـرى للتجهيـز الاقتصادي للمغرب . واذا القينا نظرة على التجهيز الاجتماعي والثقافي ، اكتمل جدول اقتصاد البـلاد وتكونت لدينا فكرة دقيقة عن اقتصـاديات المغرب .

1 ــ ففيما يخص عدد التلاميذ الذين حصلوا على مقعد بالمدارس ، قد سجل التعليم الاسلامـي زيـادة ملموسـة .

هذا وقد كانت مدارس البلاد تضم في اكتوبر 1957 : 700.000 تلميذ . على ان التعليم التقنـي يجب ان ينال خلال السنوات المقبلة ، عناية فائقة لانه سيزود صناعاتنا الناشئة والتي ستؤسـس فيما بعد ، بما تحتاج اليه من الفنيين ، والاطـارات اللازمـة ، واليد العاملة المختصة . ويعد هذا التعليم من اسباب الحصر التي يجب مراعاتها عند دراسة المشاكـل المتصلة باقتصاد البـلاد .

واما التجهيز الصحي ، فقد حظي بعناية كبرى فيما بين 1950 و1955 كما ان البلاد كانت تتوفـر على مستشفيات كبرى ، وتتلخص المشكلة التي يعانيها هذا الميدان ، في ايجاد الفنيين والاطباء قصد انجاز جميع البرامج التي تحضرها وزارة الصحة .

وفي الاخير يمكن ان نلح على بذل المزيد مـن الجهود التي قد شرع في القيام بها في ميدان السكنى ، وذلك بالاخص قصد تشغيل اليد العاملة والقضـاء على البطالـة .

ثم يجب القضاء على مدن الصفيح التي تسببت في وجودها هجرة السكان القرويين الذين قصـدوا المدن للبحث عن الشغل . وهكذا فان 21 مليارا التي خصصتها الدولة خلال التصميم الاخير للاربع سنوات (1949 ــ 1952) لبناء منازل جديدة ، تمثل نصف مجموع الاعتمادات التي تـم استثمارها لصالـح التجهيز الاجتماعي للبلاد . ولنتحدث الآن ، عـن التجارة المغربية ، وذلك قصد فهم الاساليب التـي سنتطرق اليها فيما بعد ، وندركها غاية الادراك . سنتعرض في الجزء الاول الى الافكـار العامة مـع اعطاء بعض المعلومات الدقيقة حول السـوق الداخلية ثم ثاني ، في الجزء الثاني ، بعض الايضاحات التـي تتصل بالتجارة الخارجية .

تجارة المغرب الداخليـة :

وهنا يتحتم ابداء ملاحظة اولى : ذلك ان السوق الداخلية موزعة بين نواحي يسكنها عدد ضخم مـن السكان ، ونواحي لا يعمرها الا عدد قليل جدا مـن المواطنين ثم ان «مناطق المغرب المفيدة» تتكون من الطائفة الاولى من النواحي ، اضف الى هذا ان مدينة الدار البيضاء وحدها ، تضـم 40٪ من السكـان الحضريين الذين يمثلون بدورهم الخمس من مجموع المواطنين الذين يسكنون في مـا يقرب من عشريـن مدينـة .

ان عدد السكان العاملين يقدر بما يقرب مـن 3.500.000 من المواطنين موزعيـن علـى المرافـق التاليـة :

- 70 ٪ في الفلاحـة .
- 15 ٪ في الصناعـة والنقـل .
- 10 ٪ في التجـارة .

ففي ما يتصـل بمرافـق النشاط التجارية : فان مجموع الدخل السنوي المحصل عليه في الميدان الفلاحي يبلغ 200 مليار (40٪ من الدخل الوطني) .

اما مجال الصناعة ، فهو ينحصر تقريبا في ناحية الدار البيضاء (70٪) . ان العمليات التجارية داخـل هذه السوق الداخلية التي تشتمل على طائفتيـن تتوفر اولاهما (وهي الطائفة الحضرية) على دخـل مرتفع نسبيا ، والثانية (وهي الطائفة القروية التـي تكون في غالب الاحيان ، موزعة توزيعا حسنا) علـى مستوى جد منخفض في المعيشة ، هي عمليات هامة

بالنسبة للمنتوجات الاساسية (كالدقيق ، والسكر ، والزيت) وبالنسبة كذلك للمنتوجات الفلاحية المحولة (كالسميد ، والكوسكوس ، ومربيات الخضر ، والفواكه الخ ...)

ويجب ان نذكر ان الجالية الاوروبية كانت في الماضي ولا زالت حتى الآن تستهلك قسطا كبيرا من المنتوجات المستوردة ومن المنتوجات الجيدة المصنوعة بالمغرب فبقدر ما يرتفع مستوى معيشة السكان المغاربة ، يزداد طلب مواد الاستهلاك ؛ بل ان هذه الزيادة تفوق ارتفاع مستوى المعيشة . وهذه ظاهرة يجب مراعاتها : ذلك ان الزيادة في الدخل بالنسبة للمغربي تنتج عنها — ولو لاجل ما — زيادة اهم من سابقتها نظرا على الاستهلاك ، لان التوفير لا يتيسر الا بعد فترة طويلة من الاستهلاك .

ولنتعرض بصفة موجزة لعدد التجار المغاربة المقيدين بالسجل التجاري) ففي 1956 بلغ عدد التجار الفرنسيين 26.400 تاجر ، كما ان عدد التجار الاجانب بلغ 10.800 ، واما عدد التجار المغاربة فقد وصل الى 23.000 .

هذا اقتصاد البلاد وهو مجال النشاط الذي سنتطرق اليه بعد حين . وبما اننا سنتحدث عن الاساليب المتبعة في الولايات المتحدة ، فمن المفيد ان نرسم جدولا لاقتصادها . فنستطيع بذلك ان نطلع اطلاعا تاما على الاطار الذي تتطور داخله مرافق النشاط التجاري والصناعي بالولايات المتحدة ، وذلك مع المحافظة على الفوارق الواقعة بين اقتصاديات هذه البلاد المتقدمة والاقتصاد المغربي . ان المقارنة بين اقتصاد المغرب والولايات المتحدة غير صحيحة ، ولكنها تبرز لنا طبيعة ومدى الاساليب التي سنتحدث عنها .

ب — اقتصاد الولايات المتحدة

اذا اردنا ان تكون لنا فكرة مفصلة عن الاقتصاد الامريكي يتطلب منا ذلك ، سلسلة طويلة من المقالات . ولهذا سنقتصر هنا على اعطاء بعض المعلومات الدقيقة .

فالولايات المتحدة ، بلاد تسكنها 160 مليون نسمة ؛ وهي تمتاز بدخل وطني لا مثيل له في العالم ، وذلك بفضل الثروات التي تزخر بها ارضها ، وبفضل المنتوجات الطبيعية المتنوعة التي تجتمع فيها العناصر التي يرتكز عليها اقتصاد مستقل بذاته قادر على الاستغناء عن غيره . وللفلاحة ، في الاقتصاد الامريكي ، اهمية كبرى ، كما ان الصناعة تحظى بانماء عظيم ثم ان التربية تشمل جميع السكان الامريكيين ؛ فهم يتوفرون على الاطارات الكافية ، من الخبراء والفنيين والافكار . وتنعم امريكا بارفع مستوى للمعيشة في العالم .

ان الولايات المتحدة تستعمل 5/4 من اراضيها في الفلاحة . واهم المزروعات في هذه البلاد هي القمح والذرة ، والقطن ، والتبغ . يبلغ انتاجها الفلاحي ما قدره 1.340 مليار من الفرنكات . من بينها 750 مليار خاصة بالانتاج الحيواني . ثم ان المساحة المزروعة تساوي المساحة التي تكونها البلدان الآتية : فرنسا ، المانيا ، ايطاليا ، بلجيكا وهولاندا .

ان نسبة 13٪ من السكان تعيش في الضيعات. وهذا ما لا نراه في المغرب . ويجب ان نذكر هنا ان قوة الانتاج بالنسبة للفلاح الامريكي الواحد ، قد تضاعفت فيما بين 1910 و 1954 — اي خلال فترة 44 سنة — وقد ارتفع عدد التراكتورات من 920.000 في 1930 الى 4.600.000 في 1954 (اي انه تضاعف بنسبة 5 مرات) خلال نفس الفترة . ولقد تضاعف دخل المزارعين بنسبة 13 مرة .

ان الغابات تكسو ثلث البلاد الامريكية ، وذلك يمثل ثروة عظيمة . ثم ان المعادن توجد بكميات ضخمة . واهم المعادن التي تنتجها الولايات المتحدة هي الفحم الحجري ، الحديد ، النحاس ، والرصاص ، الزنك ، الفضة ، والحديد الصلب من نوع التونكستان ، ومعدن الموليبدان والذهب . اضف الى هذه المعادن ، النفط الطبيعي ، والكبريت ، والفوسفاط ، ومادة البوطاس والملح .

ويتجلى الانماء الاقتصادي بصفة خاصة في الميدان الصناعي . ففي نهاية 1954 كان هذا الميدان يشغل معدلا لا يبلغ 16 مليون شخص (10 ٪ من مجموع السكان) (من بينهم ما يقرب من 12.000.000 عامل ، والباقي يكون الاطار الاداري والتجاري) . واهم الصناعات الخاصة بتجهيز النقل والآلات ، وصناعات المواد الغذائية ، والنسيج ، ثم صناعة المعادن والخشب والبلاستيك ، والورق ، والزجاج ، وآلات الصناعة ، وتكرير البطرول . هذا وقد اخذت الآلات تحل محل اليد العاملة في هذا الميدان من الاقتصاد الامريكي ، ثم ان هذه الطريقة تتطور بسرعة وتعزز بصفة مباشرة قوة الانتاج الصناعي الذي ازداد بنسبة 15 ٪ فيما بين 1939 و 1954 .

وغني عن البيان ان وسائل المواصلات ، تحظى في الولايات المتحدة ، بانماء وافر . فهناك 51 مليون جهاز تليفوني (اذ ان 69 ٪ من العائلات الامريكية تتوفر على جهاز التليفون) و 26.000 مركز للبريد ، و 3.344 محطة للاذاعة ، و 421 محطة للتلفزيون ، و 120 مليون من اجهزة الراديو (بنسبة جهاز واحد لمواطنين من بين ثلاثة) و 32 مليون جهاز التيليفزيون — وهذه بعض الارقام التي تعطينا فكرة عن مستوى المعيشة للسكان الامريكيين الذين يملكون 48 مليون سيارة (بنسبة سيارة لكل 3ر4 اشخاص) وهم يتنقلون

عبر بلاد تتوفر على اعظم شبكة في العالم سواء كان الامر يتعلق بالطرق ، او بالسكك الحديدية او بالخطوط الجوية .

هذا اقتصاد قطر يعد من اعظم بلدان العالم .
فاذا كنا قد اقتصرنا في شأنه على ذكر بعض المعلومات الدقيقة المختصرة فما ذلك الا لندرك غاية الادراك ، ان الانماء المستمر لهذا الاقتصاد ، يستلزم تطبيق بعض الاساليب الخاصة بالتصنيع والقيام بالابحاث والدراسات الدائمة الازدهار ، ويفرض كذلك اعتناق « مذهب » قوامه الفعالية والسرعة ، في اطار يتوفر على الغنى المادي ويتطلب بذل الجهود المتواصلة قصد حشد العناصر المثقفة ، والتكوين التقني ، والاقدام على العمل بحماس . واذا ذكرنا في هذا المقال انه في امكان بعض مرافق النشاط الاقتصادي بالمغرب ، ان تتخذ من هذه الاساليب قدوة ، فذلك لاننا موقنون ، ان هذه الاساليب اذا تمت مسايرتها — واصحب هذه الكلمة بصيغة التأكيد لاننا سنعود الى استعمالها غير ما مرة — اقول اذا تمت مسايرتها للنظم الاجتماعية والثقافية ، والاقتصادية والسياسية ببلادنا، فستساهم في انعاش تجارتنا وصناعتنا ، في مدة قصيرة جدا .

وعلى اي يجب ان نتعرض بعض الشيء للحالة النفسانية للمواطن المغربي ، ولفهمه للعمل ، وسنتطرق كذلك للعلاقة التي تربط بين النظم والمؤسسات الاجتماعية ، وبين الانماء الاقتصادي للبلاد — ثم نتكلم آخر الامر ، عن موقف المواطن المغربي ازاء التجديد ، وعن امكانيته في الانتاج . وسنحلل هذه العناصر الواحد تلو الآخر ، وهي عناصر يشكل تفاعلها ما يمكننا ان نسميه « السيرة الاقتصادية » للمواطن المغربي ، وهي ظاهرة اساسية لابد من الاطلاع عليها قصد قيادة وتوجيه المستهلك ، والمنتج ، وصاحب المال ، في مرافق نشاطهم الاقتصادي .

1 — المغربي المستهلك :

من بين الصفات البارزة التي يمتاز بها المغربي ميله للاستهلاك او رغبته في استهلاك المواد الغير الدائمة — سواء كان الامر يتعلق بالمواد الغذائية او غيرها (من الملابس والمنقولات) . وذلك ما يتجلى في مستوى معيشته وفي دخله الضعيف . ان الفرق الحاصل بين هذين الاخرين وبين مستوى معيشة مرتفع ، من الاهمية بمكان كما ان الميل الطبيعي الذي يمتاز به المغربي يتجلى في كونه ينفق من اجل معيشته ولباسه ، اكثر مما تسمح له به مداخله ، من الناحية الاقتصادية، وهذه المميزة السخية التي تتلخص في كون المغربي يجب ان يظهر لاقاربه انه يعيش « عيشة راضية » تجعله يحرص على الاحتفاظ بمستوى مرتفع في الاستهلاك فبقدر ما تتضاعف مداخله ، نراه ينفقها في شراء الملابس والمنقولات وهو يزيد بعمله هذا — ولكنه في هذه المرة ، يبلغ مستوى اقل ارتفاعا — في مصاريفه الخاصة باستهلاك المواد الغذائية .

(وفي النواحي القروية ، فان هذا الاتجاه الرامي الى اظهار معالم الغنى ، (وذلك ما يسميه عالم الاقتصاد فيبلان (ذر الرماد في العيون) يتجلى في صورة ادهى وامر . فرغد العيش ، ولبس ثياب الزينة ، مفضلان في هذه النواحي ، على انفاق المال في شراء المنقولات او الماشية .

وغني عن البيان ان التأثير الاجتماعي هو الحافز على وجود هذه العقلية وهكذا فاذا حظيت البلاد بالانماء الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ، فستكون مسرحا لتأثير يقوم به المجتمع لتغيير « اسالب هذه العقلية » فيما يخص الاستهلاك . وبهذه الطريقة تشجع التقشف وتقضي على حياة البذخ و « الضيافات » وتجعل الناس ينفقون اموالهم في شراء المواد الدائمة ، ويعدلون عن شراء المواد الغير الدائمة .

وملخص القول ان المستهلك المغربي ، رغم كونه يعطي اهمية كبرى لرفاهيته الجسمانية فهو دائب التفكير في تنمية راس ماله وفي تعزيز فكرة التوفير التي كانت حتى الآن منعدمة بالمغرب .

2 — مفاهيم الشغل .

اذا حاولنا ان نكون موضوعيين مع انفسنا ، امكننا ان نقول ان المغربي اذا وجد الفرصة السانحة ، فهو انسان يحترم الشغل ويقدره حق قدره . ويجب ان نميز في هذا الشأن ، بين العمل الذي ينجز من طرف الفرد ، وبين العمل الذي تقوم به الجماعة . ففي الحالة الاولى يجب ان نلاحظ ان الانتفاع الشخصي هو الذي يدفع بالفرد الى القيام بالجهود اللازمة . اما في الحالة الثانية فان هذا الانتفاع يأتي بعد اعتبار المجتمع ومحبته . وذلك ما يفسر لنا قوة النقابة في عالمنا العمالي ، والتضامن الذي يسوده، وكذلك التقاليد التي تنشأ داخله .

هذا ويمكننا في اول الامر ، ان نبرز ، الفروق الاساسية التي تميز بين السكان المغاربة العاملين ، والسكان العاملين بالبلدان الاخرى . ففي الاطار الحالي لتطور البلاد ، ينبغي ان نؤكد ان مفاهيم العمل اصبحت تسير نحو المزيد من القياسية ، وقد اخذ يطغى عليها الربح الاقتصادي ، والاحترام الذي تناله من طرف المجتمع .

3 — العلاقات الرابطة بين المنظمات الاجتماعية والنمو الاقتصادي .

ان زيادة الدخل بالنسبة لكل مواطن في بلاد اوروبا وامريكا الشمالية ، تتصل بالخصوص ، بنمو الحرية الاقتصادية ، حرية الفرد في ان يغير نظامه الاجتماعي او شغله ، ويستعمل الموارد التي له الحرية في ان يديرها

حسب اهوائه قصد مضاعفة الانتاج بابخس ثمن ، وهي حرية تتجلى في السماح للفرد بأن يزاول تجارة او مهنة قصد مزاحمة الاولائك الذين يتعاطون لها .

فسنتحدث بعض الشيء عن العراقيل النظمية التي تعترض سبيل هذه الحريات وبالتالي فهي تعوق التطور الاقتصادي .

ان عمل الدولة — الذي يتم في شكل عمل جماعي — يعد ضروريا حتى وان كان لا ينتج عنه الا تتميم العمل الذي تقوم به مرافق النشاط الحرة . وبعبارة ادق فان عمل الدولة ، اذا تحملته القوات الحية من الشعب ، فمن شانه ان يساهم في انتعاش اقتصادي يكون اسرع من الذي ينتظر من النشاط الفردي . وهكذا فان الدولة التي تشرف على تصميم الاعمال قصد تحقيق بعض الاهداف ، يمكنها ان تصل الى مستوى من النمو الاقتصادي ، يفوق ارتفاعا ، المستوى الذي تصل اليه دولة لا تهتم بالتصميم الاحصائي للاعمال . ثم ان الدولة بصفتها اداة تنفيذ ، يمكنها ان تخلف اساليب للنمو الاقتصادي الذي تعرقله ان هي كانت تعاني الرشوة ، واللافعالية ، وعدم التنظيم والافراط في النفوذ .

وهناك ضرب آخر من العراقل التي تعترض سبيل التطور الاقتصادي وهو يتجلى في وجود طبقات اجتماعية مستقلة عن غيرها، الامر الذي تتعذر من اجله تعبئة شاملة لمختلف طبقات المجتمع . ويقال عن طبقة عالية انها سليمة اذا كانت تسمح لعنصر ذكي منبثق من الطبقة التي تحتها ، بالاندماج فيها وتدفع بعناصرها الضعيفة الى الالتحاق بالطبقة التي تليها من حيث الترتيب . هذا وان طبقة عديمة المنافذ ، ترتكز على العائلة تهدف في هذا الشان ، الى حصر ما يسمى بالاخصاب الثقافي . ثم ان العادات القائمة داخل هذه الطبقة تصبح مقدسة ، كما ان اتجاهها يستند على الماضي بدلا من الحاضر او المستقبل . وهذا ما يؤدي بنا الى القول بانه اذا وجدت مجتمعات منسجمة تدين بجميع طبقاتها الاجتماعية بعادات ثقافية واحدة ، فان النتيجة الحتمية لذلك تتجلى في احتكار المراكز العالية من طرف الاشخاص الذين يتوفرون على ثقافة عالية ، بحيث لا تكون تلك المراكز من حظ الذين لهم « نشاة او اصل » عالي . ويجب أن نؤكد في الاخير ان كل نمو اقتصادي يتطلب ابدال الطبقات الحاكمة باخرى قصد تلقيحها ، لان هذه الطبقات تعيش تحت تأثير عادات عتيقة قديمة ومتحجرة ، تجعلها غير قادرة على مسايرة روح التقدم .

ومن ذلك يتضح لنا ان نظم طبقات المجتمع من الاهمية بمكان . وفي شان المغرب لا يمكن ان نقول ان فيه طبقة عالية « تسيطر » على طبقة اخرى . غير انه توجد بالمغرب عائلات كبرى كانت دائما في طليعة الشعب، وهي عائلات لها مميزاتها وعاداتها الخاصة . على ان الحالة الراهنة للتطور الاجتماعي والاقتصادي بالمغرب حيث يعززه تطور الوعي السياسي للمغاربة ، هي حالة تساعد على تعبئة شاملة تضم جميع طبقات الامة . وهذه التعبئة الشاملة تشكل الضمانة للتقدم الذي يسير نحوه المجتمع المغربي الذي لا يشوبه استعباد ، ولا عنصرية واقعية ، ولا غطرسة اجتماعية ولا عنصرية دينية .

ثم هنالك عراقل اخرى ناتجة عن النظم القائمة يجب أن نقضي عليها اذا نحن اردنا تحقيق النمو الاقتصادي ، واقرار حرية الحصول على الاراضي ، وحرية اليد العاملة التي يمكن تنظيمها تحت اشراف سلطة مركزية (حرة او عمومية) وحرية التصرف للمستهلك عن طريق المنافسة الحرة . كل هذه الشروط يجب ان تتوفر اذا اردنا ان ينمو اقتصادنا .

4 — موقف المغربي ازاء التجديد :

من المؤكد ان الافكار الجديدة التقدمية ، تكون دائمة مقبولة لدى المجتمعات التي تعود الناس فيها على اختلاف الاراء ، وعلى حدوث التغييرات ، فالافكار الجديدة لها تأثير فعال على مواقف الناس . غير ان شيوع الافكار الجديدة رهين بقيمة هذه الافكار نفسها، وبمسايرتها للظروف المحلية (سواء كانت هذه الظروف تتصل بالفنون ، او بالثقافة ، او بالنظم او بما شابه ذلك) .

ويتحقق تبني هذه الافكار من طرف المجتمع بغاية السهولة اذا قام بنشرها الافراد الذين لهم تأثير على المجتمع . وتلك هي الطريقة التي ارتكزت عليها السياسة المعروفة « بالسياسة الغير المباشرة » التي طبقها الانجليز في افريقيا حيث اكتفوا باقتاع رؤساء القبائل ليروا السكان المحليين يطبقون التجديدات اللازمة . غير انه قد يوجد في مجتمعات اخرى ، توتر بين الحاكمين والمحكومين بحيث يرفض هؤلاء ما يقترحه اولائك . ولهذا يجب ان نعرف من اية جهة نبدأ ومن اية نقطة نشرع في ادخال الافكار الجديدة التي تساهم في التطور والتقدم . ففي المغرب يمكننا ان نقول — ولا نعتمد في قولنا الا على تجربة الـ 10 او 15 سنة الاخيرة — ان الروح الوطنية ترتاح للتجديد ، ارتياحا كبيرا بقدر ما يحترم هذا التجديد العادات السليمة المعقولة ، والدين والنظم التي لها مكانتها بالبلاد .

ففي الميدان الاقتصادي ، امكننا ان نرى شبانا صناعيين يخرجون مؤسساتهم الى الوجود ، وهم يتبنون من الافكار ، اكثرها تقدمية في سير اعمالهم ؛ كما شاهدنا عمالا من الشباب يبحثون عن قوة الانتاج بطريقة تجديد اساليب عملهم ، ورأينا كذلك الصناع — وهم الذين يعانون اشد الصعوبات — يقبلون امكانية

تحوير صناعتهم ، من صناعة تقليدية الى « صناعة نفعية » عصرية ولهذا لم يبق لنا ادنى شك حول هذه المسالة ، ذلك ان امكانيات بلادنا تجعلها مفتوحة في وجه كل تقدم ، ولو كان هذا التقدم يثير شيئا من الثورة في طرق التفكير ، وفي اساليب العمل او السيرة. وهذه نقطة يجب مراعاتها لان لها اهمية كبرى بالنسبة للمستندات التي سنتعرض لها فيما ياتي :

تلك بعض المظاهر النفسانية والاجتماعية التي يمتاز بها سكان هذه البلاد. ولقد تعرضنا لها باختصار، لان ضيق المجال لا يسمح بالحديث عن تفاصيلها باسهاب .

ولنتحدث الآن عن النشاط التجاري والصناعي الذين من شانهما ان يكونا موضوع انماء بالمغرب ، وهي مرافق نجد لها في الولايات المتحدة مثالا يكتسي اهمية بالغة فعالة .

1 ـ الدعاية

1) اهميته بالولايات المتحدة .

فالاشهار نشاط تجاري واسع النطاق يكتسي اهمية عظمى في حياة الشركات الامريكية . فهو لا يسد حاجيات السكان الذين يبحثون دائما عن الجديد، **فحسب** ، بل انه ناتج عن الرغبة في ضمان الفوائد الاقتصادية ، والحصول على المنافع التي توفرها المزاحمة .

والاشهار في الولايات المتحدة يستند على الدراسة، كما انه موضوع ابحاث دائمة بقصد منها تحسين شكلياته وفحواه ، وتوسيع نطاقه .

ثم ان غايته الاولى لا تتلخص في حث الناس في طلبهم لمنتوج معين فحسب ، بل ان الاشهار يدعوهم الى الاختيار في جميع ما يحتاجون اليه من اصناف المنتوجات .

ان طريقة الاشهار التي تستعمل بكثرة في الولايات المتحدة ، تتجلى في **الاشهار التعاوني** الذي ينقسم الى قسمين :

1) الاشهار الافقي الذي يضم جميع القائمين بصنع منتوج واحد ، فهم يتحدون قصد اشهار منتوجهم في اوسع نطاق .

2) الاشهار الراسي الذي يضم الصانع والبائع الذين يتحدان كي يتمكن منتوجهم من اكتساح السوق.

تتمخض عن طرق الاشهار هذه ، النتائج الاتية :

1) انتفاع رجال الصناعة من الاشهار بصفة جماعية .

2) زيادة عملية في عدد المستهلكين .

3) القضاء على الاسباب التي تجعل المستهلكين يتخوفون من المنتجات ، ومن احتمال تعويضها بمنتوجات اخرى .

4) واخيرا حث البائعين على تحمل عواقب اشهار مفرط قصد تصريف منتوجاتهم . ويجب ان نذكر ان الاهمية الحالية التي يكتسيها هذا النشاط في ميدان التجارة والصناعة الامريكية ، ناتجة عن عدة سنوات من الدراسات التي تم القيام بها حول الاشهار. وهكذا فقد تم تحضير سلسلة من اصول الاشهار التي طبقت بكيفية تجعلها دائما قابلة للمراجعة وذلك قصد تغيير فحواها واعطائها مفاهيم جديدة .

ان مؤسسة الاشهار تحرص دائما على ان تتعرف على الحاجيات التي يسدها المنتوج الذي تقدمه ، وعلى المزاحمات التي من شانها ان تقلل من استهلاكه ، وعلى نوع اساليب استهواء الزبناء قصد الزيادة في مبيعات هذا المنتوج ، وهي تحرص كذلك على معرفة الشروط التي يوزع فيها والكيفيات التي تعرضه بها . ولهذا فان قسطا هاما من الارباح يوفر قصد الاستمرار في حملة الاشهار وتوسيع نطاقها .

هذا ولا تخلو حملات الاشهار من وسائل النشر كالاذاعة ، والتلفزة ، واللافتات الملصقة بالطرق، ورسوم الدخان المتصاعدة في السماء ، واللوحات المضاءة بالكهرباء ، جميع هذه الوسائل تساهم في تقديم المنتوج الى المستهلك في ادهش صورة وابهجها ، ولكن هذه الصورة ترتكز على مفاهيم تتفق وعقلية الزبون وتلائم اذواقه .

ان اهمية حملة الاشهار واساليب العرض ، يختلفان حسب طبيعة المنتوج وطبيعة نوع المستهلك المخصص له .

ومن اجل حملة اشهار من هذا القبيل :

ا) من المفروض اعتبار جميع الحاجيات البشرية الاساسية : العطش والجوع ، الرفاهية ، ومتعة الاقارب ، المائدة الاجتماعية ، الشعور بالرفعة ، استهواء الجنس المضاد ، الخ ...

ب) ثم ان جميع الجهود تبذل للاطلاع على « حالة السوق » قصد الحصول على المعلومات الطبيعية المفيدة ، وذلك بغية اثارة انتباه المستهلك بكيفية عنيفة ، والمحافظة على مصلحته ، وجعله يعتقد دائما ان ما يحتاج اليه موجود .

ج) فالاحجام الضخمة ، وقوة الصوت والنور ، والحركات ، وتفاعل المتناقضات ، والاوضاع ، والالحان،

والنغمات ، والتشجيع في العمل ، كل هذه الاشياء مضبوطة بدقة ومنسقة ، ويقصد من هذا كله تقديم مجموعة منسجمة تستحق الاهتمام وتبعث على الارتياح

هذا وقد استعملت هذه الاسالب التقنية في نطاق واسع، كما انها كانت تمول بسخاء فيما يخص تطبيقها. ولقد كانت النتائج دائما ايجابية : بحيث تزداد المبيعات ولكن تزداد معها المزاحمة . وهذا ما يؤدي بالمعارضين الى بذل المزيد من الجهود في الاشهار ، والى القيام بدراسات اعمق ، وهكذا تستمر المعركة بدون انقطاع – وفي غالب الاحيان تدور رحي هذه المعركة في صالح المستهلك الذي يصبح الحكم الوحيد الذي له الحق في ان يصدر حكمه فيها بصفة مشروعة .

هذه طبيعة الاشهار واهميته بالولايات المتحدة . فلنتحدث الآن عن حالته بالمغرب

ب) حالته بالمغرب .

من الطبيعي ان تكون اهمية الاشهار بالمغرب محدودة ، لان السوق المغربية تمتاز بمستوى معيشة منخفض نسبيا ، ولان المستهلك المتوسط ليس له القدرة على الاختيار بين عدة اصناف من المنتوجات ، فهو لا يهتم الا بسد حاجياته الرئيسية . وملخص القول ان التاجر المغربي اذا اكثر من الاشهار ، فهل يجد بعد ذلك ، المشترين الذين لا تكون لهم « الرغبة فقط بل القدرة على شراء منتوجاته؟ فالمشكلة اذا تتلخص في: عدم قدرة السوق المحلية على ترويج المنتوجات الكمالية ، او حتى المنتوجات التي تفوق شيئا ما المواد المتوسطة. فبالنسبة لفئة من السكان الذين لهم دخل متوسط والذين يمكنهم ان يختاروا بين عدة منتوجات ، تتلخص مسالة الاشهار في ان تقدم لهم هذه المنتوجات حسب اساليب اشهارية قياسية متواصلة .

ولهذا لا يجوز لنا ان نقول ان الاشهار يتسبب بالمغرب ، في خسارات فادحة على ان الاشهار قد نمى بكثرة منذ بضع سنوات غير انه يمتاز بكونه متخلف في بلادنا . وذلك لان التكاليف التي يتطلبها الاشهار ، تخيف التجار والصناعيين الذين يفضلون انفاق اقل ما يمكن في هذا الميدان .

وفي الامكان الاقتداء بالاساليب المطبقة بالولايات المتحدة لا من حيث الحجم والكبر ، ولكن من حيث الروح : وهي روح تتلخص في معرفة السوق معرفة تامة ، والتعرف على الاخطار بدقة ، وعدم التردد في الظهور بمظهر مدهش ، لطيف ، يلفت الانظار ، ويكون بالاخص راسخا في الذهن ، ولو ادى ذلك الى انفاق تكاليف باهضة نسبيا .

ج) **ان فائدة الاستثمار الاقتصادي** تكون مضمونة بقدر ما نعرف الى اين نسير وكيف نصل الى غايتنا . فان الاخطار واحصائها ، والتجربة وبذل المزيد من الجهود ، كل هذه الاسباب تؤدي دائما بالذي يزاول الاشهار الى معرفة الفوائد المنتظرة من الاستثمار الاقتصادي .

د) واما التاثيرات الاجتماعية الناتجة عن الاشهار فهي تتسم بطابع آخر . ذلك ان الاشهار يمكنه في بلاد كالمغرب ، ان يعمل علاوة على تحقيق الغايات التجارية والمالية ، على « تهذيب » المستهلك ، وتوجيه اذواقه ، وتحسين شروط صحته ؛ عن طريق تغيير هذه الاذواق بل ومن شان الاشهار ان يعلم المستهلك كيف يتصرف . وهنا اترك القراء يقفون بانفسهم على الفوائد الجمة التي تنتج عن حملة الاشهار الجيدة (وهي جيدة لانها تقنع المستهلك وتجعله يتبع كل ما تفرضه عليه اذا نحن قمنا بمراقبتها وسخرناها لصالح اهداف اقتصادية واجتماعية .

ر) وفيما يخص انماء الاشهار بالمغرب ، يمكننا ان نقول ان بلادنا تتوفر على امكانيات حسنة وان المستقبل في هذا الشأن زاخر بالتفاؤل ، وذلك لاننا سنرى في السنوات المقبلة ، مشترين لهم دخل اهم ، ونطاقا اوسع للمزاحمة التجارية ، الامر الذي سيتطلب من التجار بذل المزيد من الجهود الخاصة بالاشهار ، وسنرى كذلك اساليب تجارية جديدة محسنة ، بل وسنشاهد السكان المغاربة يحيون حياة تختلف عما كانت عليه من قبل .

بمناسبة إحياء موسم سلطان الطلبة :

الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل

بقلم : عبد الهادي التازي



ان الزائر لمدينة فاس يلاحظ اول ما يلاحظ اذا قام بجولة عبر دائرتها ، يلاحظ وجود قلعتين محصنتين تتقابلان على ابنيتها المزدحمة المتراصة ، هاتان القلعتان اللتان تختصان باسم باستيون باب الفتوح ، وباستيون باب الجيسة كل منهما شيد على عهد السعديين ... ويتساءل المرء هل ان السعديين قاموا بهذا العمل رغبة منهم في المحافظة على المدينة من شن الغارات الاجنبية ام انهم قاموا بذلك استعدادا لغارات اهل فاس انفسهم ؟ وان المتتبع لتاريخ المغرب على هاتيك العصور لا يسعه الا ان يطمئن الى الفكرة الثانية ... فان السعديين لم تكن علاقتهم على ما يرام مع اهل فاس ، ويرجع السبب في هذه «الجفوة» التي لاحظها المؤرخون جميعا لكون السعديين عندما حاولوا بسط نفوذهم على مدينة فاس كان هؤلاء يتشبثون دائما ببيعة العاهل الوطاسي الاسبق لانهم لايرون هناك من مبرر لنبذ التأييد الذي منحوه منذ زمان لابي العباس ، وبما ان السعديين كانوا على علم من ان الذي يتزعم فيهم هذه الفكرة هو العلامة الونشريسي فقد دابوا على الوصول اليه بشتى الوسائل ... اغروه بالمال ... اغروه بالجاه ... هددوه اخيرا ولكنه كان يقول دائما : « ان بيعة ابي العباس في عنقي ولا يمكن لي بحال ان انبذها دون ان ارى ما يسيغ ذلك من الوجهة الشرعية » وكان ان سلط السعديون قراصنتهم على هذا الشيخ الجليل الذي استشهد على عتبة باب الشماعين بجامعة القرويين ... بعد ان قطعت يمناه التي رفضت ان توقع على بيعة الامراء الطارئين ... وان الذي يعلم مركز العلماء الاجتماعي بالمغرب لا يمكنه ان يتنبا بمصير الحالة التي تصبح عليها البلاد وخاصة فاس ونواحي فاس .

وهكذا لم تمر ايام حتى اخذت الثورات الداخلية تتوالى ... واصبحت الحالة من الحرج بمكان مما ادى دون شك الى اقامة الحصون على « المدينة المتمردة » فاس ، ومما ادى كذلك الى تسليط بعض العناصر المشاغبة على بعض البيوتات ... ويكفي لان تعرف الدرجة المزرية التي وصلت اليها الحالة الداخلية بفاس ان صلاة الجمعة الغيت في القرويين نفسها اتقاء للاصطدامات التي كانت شوارع فاس مسرحا لها ... وشيء آخر فان بعض الرعاع ممن كانوا يناصرون السعديين اقتحم احد البيوت وحاول الاعتداء على شرف سيدة كانت تقوم اذ ذاك بتقلية « القديد » المعروف عند اهل فاس باسم « الخليع » فلما استعصت عليه بعد ان اعتصمت باحدى الغرف هددها بالقاء رضيعها في الطنجير ... وتمنعت فكان ان رمى بالطفل في النار وانصرف ، فماذا كانت اصداء هذه الوقائع سواء داخل فاس او خارجها ؟ لقد بلغ الامتعاض ببعض الناس مبلغا عظيما واصبحت عواطفهم اسود من اي وقت مضى حيال اولئك الذين نالوا من كبيرهم وصغيرهم وكانوا سببا في تعطيل شعيرة هامة من شعائر الاسلام ... وحتما ستكون هذه الفتن من دواعي اغراء بعض المتزعمين على القيام بالدعوة الى تاسيس ممالك بهذا البلد المتداعي ، وبهذا نفسر وجود كثير من الدعاة اواخر دولة السعديين فلقد كنا نسمع شرقا وغربا وشمالا وجنوبا عن ناس نصبوا انفسهم لحماية البلاد من شرور الفوضى والآثام ... وان المتتبع لتاريخ المغرب . ذلك التاريخ الذي يشهد بان الملوك المغاربة كانوا يعاملون المواطنين اليهود بنفس المعاملة التي يحظى بها المواطنون المسلمون اقول ان الذي يتتبع ذلك التاريخ سوف يقف من دون ريب على وزراء ومستشارين وامناء اسرائليين سواء على عهد المرينيين او الوطاسيين او السعديين كذلك ...

وسيسهل علينا بعد هذا ان نرى في جملة اولئك الاقطاعيين الذين لم يروا من باس في الدعوة لانفسهم اقول في جملتهم هرون ابن مشعل اليهودي في قصبته التي لا تبعد عن تازة الا بنحو اثنى عشر كيلومترا ، وهكذا كان من الجائز ان توقع تلك المظالم المتوالية

وتلك الاضطرابات التي استعصى على المسؤولين ان يجعلوا حدا صريحا لها ، كان من الجائز ان تسلم البلاد الى «دولة اسرائلية» في ذلك الوقت المضطرب ، وكان من الجائز ان ينوب المغرب عن فلسطين ! نعم ، ان دولة اسرائيلية كانت بالفعل على وشك ان تقتحم تازة ، ثم تعم فاسا لتنساب منها الى البلاد الاخرى وان السلطة التي كان يتمتع بها ابن مشعل سواء من حيث المال او العدة كما ان السمعة التي خلقها لنفسه والتي كان يضفيها على شخصه كانت تتخلص في انه يريد بالكبار خيرا وبالضعفاء برورا والبلاد استقرارا اقول هذه الاصداء كانت الى جانب سلطته مما قد تدفع المظلومين او الحائرين الى الثقة به، ولكن حادثة وقعت في منطقة ابن مشعل اثارت انتباه هؤلاء «المترددين» ذلك ان ابن مشعل كان مارا ذات يوم واذا به يقف على امراة تحمل طفلا صغيرا وبيدها جرة ماء طلب اليها ان تسقيه وهو يختبر — على ما يظهر — مدى شعورها نحوه — لكنها رفضت ، وهنا طوح بصغيرها .. ! وجمعت الام اشلاء الطفل ورجعت الى القرية لتلهب الناس ضد ابن مشعل ... وفي هذا الوقت بالذات كان الشرفاء العلويون بتافيلالت اخذوا على انفسهم العهد لتطهير البلاد والمحافظة على امنها وسلامها ... وكان المولى الرشيد احد اعضاء هذه الاسرة طالبا اذ ذاك من طلاب جامعة القرويين ... فكان يعيش في « الواقع المغربي » وتحكي كتب التاريخ انه تاثر من تصرفات ابن مشعل بناحية الشرق ... وانه قرر ان ينزل ضربته باقطاعية اسرائيل الفتية : ومن دون ما ان انتشر في الحديث اصل الى « القولة » التي اجمع عليها المؤرخون وهي ان المولى الرشيد توصل الى ابن مشعل عن طريق « الحيلة » هذه الحيلة التي سكت المؤرخون عن افاضة الحديث في تفصيلها ... فماذا كانت هذه الحيلة ؟ هل تنكر المولى الرشيد هو نفسه في زي فتاة مهداة لابن مشعل هل ان اصدقاءه الخمسمائة طالب كانوا مختبئين في صناديق او ازيار ؟ هنا تختلف الحكايات وتتعدد الفروض ... وفي المؤرخين الافرنج من راح يصف حكاياتنا بانها اقرب الى قصص الف ليلة وليلة ! وفيهم من غدا يبحث عن مدى صحة اسطورة ابن مشعل فانطلق يستقصي البقاع ويكلف نفسه عناء الوصول الى الحالة المدنية لهذا اليهودي ... نحن لا نريد في هذه الكلمة القصيرة ان نسافر بكم الى بسيط الكادا وجبال بني يزناسن ولا ان نرجع بكم في التاريخ الى زمن موسى ابن ابي العافية لنقف على جد ابن مشعل .. ولكن الشيء الوحيد الذي تتفق عليه جميعا هو ان المولى الرشيد وصل فعلا الى جعل حد لنشاط الاقطاعية في شرق المغرب عن طريق الحيلة ... وان الطلبة من القرويين ... هم الذين شاركوه في هذه المبرة ، ترى بماذا كافا به المولى الرشيد رفاقه الطلبة ؟ كانت مكافاته ، لشهامتهم تتجلى في ثلاثة امور : اولا : شيد لهم مدرسة داخلية اقامها الى جانب المدارس المرينية العتيقة وكانت بحق من اروع المدارس وهي ما تزال الى الآن تعرف بالمدرسة الرشيدية براس الشراطين جوار مسجد القرويين ... ثانيا سن عطلة الربيع بالجامعة بعد ان كانت القرويين منذ ايامها الاولى لا تتوفر الا على عطلة الصيف والاعياد الشرعية كما يذكر ذلك المؤرخ الحسن بن محمد الوزان المعروف لدى الغربيين تحت اسم ليون الافريقي ... ثالثا نظم هذه العطلة على شكل بديع ومغري ... ذلك انه اراد ان يرمز دائما الى تلك الايام التي تمكن فيها من السيطرة على الشرق فتنصب عليهم سلطانا كل عطلة ربيع حسب فولكلور خاص يعرفه من عاش بهذه الديار ، تقدم فيه الجالية الاسرائلية هداياها المضحكة ، وتشارك السلطة المركزية العليا على — الدوام في اقامته بل وفي الحضور فيه ، وكان المولى الرشيد والملوك العلويون من بعد ، يحرصون على ان تظل العائلة المالكة دائما على صلة بهؤلاء الطلبة الذين تضمهم القرويين من مختلف جهات المغرب احياء لتلك الصلة القديمة التي مكنت من الانتصار على البغي والاضطراب ولقد ظل التاريخ ينقل ان العاهل او نائبه كان في هذه المناسبة يباسط الطلبة وينزل معهم الى ميدان الفكاهة والمرح ... واذا كانت الحفلات الجامعية في اوربا مثلا تشهد نوعا من التسليات المصطنعة فانها محرومة دون شك من الطهارة والعفة التي تطبع هذه التسليات في حفلات سلطان الطلبة على مختلف العصور، فهي تظل محتفظة بروح من المرح البريء الذي لا يتعرض بحال لما قد يتعرض له الحي اللاتيني في حفلات كهذه ...

وبعد فان هذه « الحيلة » التي ظل « التاريخ المكتوب » محتفظا بسرها والتي ظل «التاريخ الشفوي» ينقلها من الاجداد الى الاحفاد ، اقول ان هذه الحيلة كانت مثار انتباه المستشرقين والاجانب فالفوا فيها تارة بالاعجاب والتحبيذ ، واخرى بالتعليق والتحليل ، وتارة بالنقد والتزييف ... اريد ان اقول انه اذا كانت المصادر التاريخية العربية كسلت عن الحديث حول هذا الفولكلور فاننا لم نعدم الحديث عنه في المصادر الاجنبية او سمعتم عن موضوع كهذا تناولته بالحديث ازيد من ثلاثين مؤلفا ما بين الفرنسي والانجليزي والاسباني والعبري كذلك !

حقا لقد احسن مولانا صاحب الجلالة صنعا اذ اذن باحياء هذه العادة الكريمة التي كانت تسير الى الفناء فاننا نرى اليوم الدول الراقية المتحضرة تعهد الى لجان خاصة بالبحث عن العادات القديمة في حياتها ومتى لم تجدها فانها تنيط بآخرين امر « خلق »عادات من شانها ان تميز تلك البلاد عن غيرها ولنا نحن المغاربة عادات نبيلة وممتعة احيانا وترمز في بعض الاوقات الى تاريخ مجيد فخير اذن ان تتضافر الجهود على الاحتفاظ بالتراث وخير جدا ان لا تتنكر لهذا التراث بالخصوص فنجعل منه درسا لجيلنا الطالع !

جولات قصيرة في تاريخ المغرب :

الآن علمت أنك لي

بقلم : عبد القادر الصحراوي

لم يكن الذي قال هذه الكلمة شاعرا من شعراء الغزل الحالمين ، ولم يكن صبا مدنفا افقده الهوى رشده ، وشغل عليه قلبه وعقله ، واطلق لسانه بالآيات المجنحة عن الليل الساجي والنجوم اللامعة والنسيم العليل والحب القاتل ؛ وانما كان الذي قالها شيئا آخر غير ذلك كله ، كان اميرا مغربيا ، قضى حياته كلها يتنقل من حرب الى حرب ، يتجرع مرارة الهزيمة حينا كما يتذوق حلاوة الانتصار حينا آخر ، ويعمل دائبا على تدعيم مركزه وضمان مستقبله ، وحفظ وجوده بين التيارات المتضاربة من حوله ، لا يبالي ما يكلفه ذلك من جهد او يستلزمه من مشقة .

ذلك هو الامير البربري المغراوي : **زيري بن عطية**

*

ولم تكن التي قيلت فيها هذه الكلمة « **ليلى** » من اللواتي تعود الشعراء ان يوجهوا اليهن اعذب الكلام ، وان يسبغوا عليهن اجمل النعوت واحلى الصفات ، بل انها لم تكن بشرا على الاطلاق ـ وكل يغني على ليلاه ! ـ وانما كانت بلدا في اقصى نقطة من شمال المغرب ، كانت ـ ولا تزال ـ مدينة جميلة تهفو اليها النفوس وتعشقها القلوب ، وتغري الخيال بأن يتفنن فيما يحيك حولها من القصص والاساطير والمبالغات .

تلك هي (**طنجة**) عروس المغرب الضاحكة المشرقة ، مدينة البحر والشمس والاسرار ، المدينة التي يصدق فيها الحق ما قاله المتنبي : لو سار فيها سليمان لسار بترجمان ! .

*

وليس الذي يهمنا هنا هو الموقف الشعري الذي اوحى لاميرنا المغربي بكلمته هذه ، ولا ان نعرف انه كان مخطئا في الحساب ، نوعا ما ، عند ما ظن ان طنجة، او ان المغرب بصفة عامة ، قد اصبح له خالصا من غير منازعة ، وانما الذي يهمنا في الدرجة الاولى هو ان نتوسع بقدر الامكان في شرح الظروف التاريخية التي احاطت بهذا الموقف الشعري ، والتي اوحت لزيري بن عطية بهذا الكلام .

وسنكون مضطرين لكي نستطيع ان نتفهم هذه الظروف ، ان نتنقل قليلا بين المغرب والاندلس من جهة ، وبينه وبين الجزائر وتونس ومصر من جهة اخرى ، فقد كانت الاحداث التاريخية في هذه البلاد جميعا خلال هذه الفترة التاريخية متداخلة مترابطة ، وكانت حساسية كل كل قطر منها بما يجري في الاقطار الاخرى بالغة منتهاها الذي لا مزيد عليه .

*

كان ذلك في الربع الاخير من القرن الرابع للهجرة .

وكانت الدولة الادريسية بالمغرب قد لفظت آخر انفاسها بمقتل آخر ملوكها (**الحسن بن كنون**) في سنة 375 هـ (985 م) كما كانت الدويلة التي اسسها (**موسى بن أبي العافية**) في اواخر عهد الدولة الادريسية ـ وظلت تنازع دولة الادارسة على سلطان المغرب ـ قد انتهت هي الاخرى قبل ذلك ـ بسنين قليلة ـ بالرغم من ان بعض زعمائها المتاخرين ظلوا يتمتعون بشيء من النفوذ والسلطة في اطراف المغرب الى ان قضت عليهم دولة المرابطين .

*

اما في الاندلس فقد كان الخليفة الاموي في هذه الحقبة من التاريخ شابا تافها جاهلا متخنثا مشغولا طول يومه بالجري في حدائق القصر بقرطبة ، وبالحديث

الى الجواري والخصيان ومشاركتهم في لهوهم وعبثهم ومجونهم . تحكم الاندلس باسمه ، ولا يكاد هو يعرف شيئا عما يجري فيها من الامور العظام .

كان هذا الخليفة الشاب هو (**هشام المؤيد**) الذي خلف اباه (**الحكم المستنصر**) على كرسي الخلافة الاموية بالاندلس وهو غلام يافع في الثانية عشرة من عمره ، فكان ضحية صغره وتربيته الفاسدة من جهة ، كما كان من جهة اخرى — وهذا هو المهم — ضحية لمؤامرة فريدة من نوعها في التاريخ ، بين والدته «**صبح**» وبين صفيها من رجال الحاشية والبلاط (**محمد بن ابي عامر**) الذي عرف من بعد باسم (**الحاجب المنصور**) مؤسس الدولة العامرية التي حكمت الاندلس باسم الخلافة الاموية ردحا من الزمان .

ولن نكلف انفسنا عناء الجري كثيرا وراء البحث عن حقيقة العلاقة التي كانت تربط بين (**صبح**) ام الخليفة الصبي ، وبين حاجبه (**محمد بن ابي عامر**) ويكفي ان نعلم انها كانت علاقة مبنية على الاعجاب المتبادل والمصلحة المشتركة ، وان كانت هناك قرائن قوية تدل على انها كانت مبنية على حب عنيف ، ربما كان متبادلا بين الطرفين ، ولكنه من غير شك كان يعمر قلب الملكة الام ، فقد كانت في ريعان الشباب والفتوة ، عندما توفي عنها زوجها (**الحكم المستنصر**) عن اربع وستين سنة بعد انهكه المرض والاعياء ؛ كما كان صاحبها (**محمد بن ابي عامر**) رجلا في تمام الفتوة والنشاط ، يتمتع بكثير من الخلال التي تضمن لصاحبها النجاح والاعجاب .

على ان هذه العلاقة بين (**صبح**) وبين (**محمد ابن ابي عامر**) كانت قد نشأت من قبل في حياة زوجها نفسه ، وكان زوجها (**الحكم**) ربما استشعر شيئا من ذلك ، وربما انتحل بعض الاسباب للتنكيل (**بمحمد بن ابي عامر**) ، ولكن ذلك لم يتم له على الوجه الذي كان يريد

كان (**محمد بن ابي عامر**) شابا من عامة الشعب وان كان ينتمي الى اسرة عربية عريقة ، نشأ طالبا للعلم ، طموحا ، مؤمنا بالمستقبل الزاهر الذي ينتظره . ولم يلبث عمله وكفاءته ان شقا له الطريق الى وظائف الدولة ، فاتصل بقصر الخلافة في قرطبة على عهد (**الحكم المستنصر**) نفسه ، والد (**هشام المؤيد**) ، مشرفا على الاملاك الخاصة بولي العهد ، ثم لم تلبث صفاته الاخرى ان تكفلت بالباقي ، فقد اعجبت به (**صبح**) ام ولي العهد ، ومحضها هو نصحه وخدمته ، وابدى في الاعمال المختلفة التي اسندت اليه بعد ذلك ، من الكفاءة وضروب النشاط ، ما كان خليقا ان يزيد في نفوذه وعلو مكانته .

وتوفي الخليفة (**الحكم المستنصر**) مخلفا وراءه ولي عهد صبيا في الثانية عشرة من عمره ، فكان على (**محمد بن ابي عامر**) ان يلعب دورا خطيرا جدا وحاسما في تثبيت الخلافة لولي العهد ، وفي القضاء بالقتل على عمه الذي كانت بعض القيادات في الجيش ترشحه للخلافة . وكان من الطبيعي ان يرفع كل ذلك من قدر (**محمد بن ابي عامر**) وان يمكن من سلطانه ، كما كان من الطبيعي ايضا ان يقربه ذلك اكثر من ذي قبل ، الى قلب (**صبح**) زوج الخليفة الراحل ، وام الصبي (**هشام المؤيد**) ، الخليفة الجديد .

ويدخل عامل المصلحة المشتركة في الميدان ليزيد من متانة العلاقة بين (**صبح**) و (**محمد بن ابي عامر**) ، فكل منهما طموح اشد ما يكون الطموح واعنفه للحكم والسلطان واستعمال النفوذ ، ومن مصلحة كل منهما ان (**يعتقل**) الخليفة الصغير في القصر ، وان يحال نهائيا بينه وبين الناس سواء كانوا من عامة الشعب او من رجال الدولة المسؤولين .

ويكبر الخليفة شيئا فشيئا ليكبر معه جهله وعجزه وتفاهته ، وليكبر في نفس الوقت نفوذ (**صبح**) وصاحبها (**محمد بن ابي عامر**) .

وينجح (**ابن ابي عامر**) في القضاء نهائيا على كل منافسيه ، ليصبح حاجب الخليفة والحاكم الفعلي للاندلس ، والمدافع عن حماها . وبمرور الايام يبدا الاحساس بالخطر يخالج قلب (**صبح**) على مركزها ومركز ولدها الخليفة (**هشام المؤيد**) . وتتحكم الجفوة بينها وبين (**محمد بن ابي عامر**) ، ولكن هذا يعرف بما علم عنه من قوة وصرامة كيف يوقفها عند الحد الذي لا يريد لها ان تتجاوزه ، وكيف يدفع بها الى الصفوف الخلفية ، وكيف يستأثر وحده بالسلطان .

وهكذا اصبح (**محمد بن ابي عامر**) هو القوة الوحيدة في الاندلس يتزيى بزي الخلافة وينتحل مظاهرها كلها ، وكان في امكانه — لو اراد — ان يطيح باسم الخلافة الاموية ، وان يؤسس في الاندلس دولة اخرى جديدة . ولكن حكمته املت عليه الا يفعل ، نظرا لظروف واعتبارات متعددة . فاكتفى بان يكون خليفة بالفعل ، وان يتخذ لنفسه لقب (**المنصور الحاجب**) وان يترك اسم الخلافة (**لهشام المؤيد**) ، الذي كان بالرغم من تقدمه في العمر وبلوغه سن الشباب ، في شغل

شاغل عن الخلافة ومتاعبها بالعابه وتفاهاته مع الجواري والخصيان في حدائق القصر بقرطبة .

وقد اتيحت الفرصة كاملة (**للمنصور الحاجب محمد بن ابي عامر**) ليبرهن على انه رجل الساعة ، فقد كان رجل حرب كما كان رجل سياسة وحكم ، وقد بلغت حروبه مع النصارى في شمال الاندلس ما يزيد عن الخمسين معركة – كما تروي جميع كتب التاريخ المغربية والاندلسية التي تحدثت عنه – لم ينهزم في واحدة منها . ويروي التاريخ انه كان عند رجوعه من كل معركة يجمع الغبار الذي يعلق منها بثيابه ، وانه قد اجتمع له من ذلك اناء ممتلىء غبارا ، امر ان يدفن معه في قبره .

ويكفي لكي تكون فكرة مجملة عن قوة (**المنصور**) وحروبه وانتصاراته ، ان تنقل هنا هذه الفقرة الطريفة عن صاحب (المعجب) اذ يقول عن المنصور : (**.. وملا الاندلس غنائم وسبيا من بنات الروم واولادهم ونسائهم وفي ايامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ، وذلك لرخص اثمان بنات الروم ، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكر ، ولولا ذلك لم يتزوج احد مرة . بلغني انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة – وكانت ذات جمال رائع – فلم تساو اكثر من عشرين دينارا عامرية**) .

هذا هو (**المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر**) رجل العلم والحرب والسياسة والمكر والدهاء ، رجل العنف والقوة والصرامة . الرجل الذي لم يتردد مرة ؛ في ان يقدم عنق ولده للسيف عند ما كاد هذا ان يصبح خطرا على المصالح العليا للدولة .

ثم هذا هو (**محمد بن ابي عامر**) الذي كتب على اميرنا المغربي المغراوي (**زيري بن عطية**) ان يكون خصمه وطلبته ، بعد ان كان حليفه والحاكم باسمه في المغرب . ولذلك قصة سنعود الى شرحها بعد قليل ، بعد ان نفرغ من تفهم الظروف السياسية والعسكرية التي صاحبت هذه القصة ، وبعد ان نتعرف بقدر الامكان على حقيقة الاوضاع في الجزائر وتونس ومصر، لما لها من علاقة وثيقة بالموضوع .

*

كانت الدولة الفاطمية التي اسسها (**عبيد الله المهدي**) بتونس قد انتقلت بالفعل الى مقرها الجديد بمصر على يد الخليفة (**المعز لدين الله الفاطمي**) ، بعد ان مهد لهذا الانتقال القائد العسكري الكبير للدولة الفاطمية (**جوهر الصقلي**) الذي اختط مدينة القاهرة، وبنى بها الجامع الازهر ، ليكون مسجدا ومعهدا لدراسة الفقه الشيعي بمقر الدولة الجديد .

وتوفي (**المعز**) فخلفه على كرسي الخلافة الفاطمية في مصر ولده (**العزيز بالله**) .

والذي يعنينا هنا من ذكر الدولة الفاطمية سواء قبل انتقالها من تونس الى مصر او بعد انتقالها اليها وانشغالها بالحروب والمنازعات والتوطيد للمذهب الشيعي في الجناح الآخر من بلاد العروبة ، انها لم تغفل قط امر المغرب ، وانها ظلت تعمل من اول يوم على بسط سلطانها عليه ، وحكمه بطريقة مباشرة – اذا امكن ذلك – او بواسطة زعماء وامراء من البربر تصطنعهم وتحميهم وتمدهم بالاموال والمساعدات وتدافع عن نفوذهم .

والواقع ان الدولة الفاطمية ظلت تحكم تونس حتى بعد انتقالها الى مصر بواسطة عمالها من الزعماء والامراء البربر . واذا كان سلطانها في الجزائر لم يكن مستقرا استقرارا كاملا ، فانه كان اقل استقرارا منه في المغرب ؛ وذلك بالرغم من ان (**جوهرا الصقلي**) **كان** قد وصل مرة في حملة عسكرية قوية استغرقت ثلاثين شهرا الى المحيط الاطلسي في الجهة الغربية من بلاد المغرب ، وانه حاول ان يؤكد امتداد نفوذ الدولة الفاطمية الى حدود المحيط نفسه بطريقة رمزية ؛ ذلك انه اصطاد من المحيط سمكا، وبعثه في اواني مملوءة ماء الى الخليفة (**المعز لدين الله**) بعاصمته المهدية بتونس، لان ذلك كان قبل انتقاله الى مصر .

كانت الدولة الفاطمية – فيما يبدو – ترغب في بسط سلطانها الكامل المستقر على المغرب . لكن بعده عن مركز الخلافة الفاطمية من جهة ، وصعوبة اهله ومناعتهم وتشبثهم بالحرية من جهة اخرى ؛ كل ذلك حال بينها وبين تنفيذ هذه الرغبة على الوجه الذي تريده ؛ يضاف الى جميع ما تقدم ان الدولة الاموية بالاندلس ، والحاكم باسمها في العهد الذي نتحدث عنه (**المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر**) كانت تعتبر المغرب خط دفاعها الامامي ، وكانت تعلم عن يقين ان المغرب كان دائما هو المعبر الى الاندلس ، وان استقرار نفوذ الدولة الفاطمية الناشئة الفتية في المغرب ، معناه بالحرف : ان الاندلس اصبحت على ابواب خطر اكيد .

لذلك كان من الطبيعي جدا ان تهتم الدولة في الاندلس كثيرا بامر المغرب، وان تعمل — اكثر مما ذي قبل — على بسط نفوذها المادي والمعنوي عليه .

وهكذا كان المغرب في هذه الفترة من التاريخ منطقة تنازع نفوذ، بين الخلافة الاموية في قرطبة بالاندلس، وبين الخلافة الفاطمية بتونس ثم بمصر .

وقد كابدت دولة الادارسة المرائر قبل انقراضها من هذا التنازع، وذهب كثير من امرائها ضحيته، وكان آخرهم (**الحسن بن كنون**) الذي كان دائم التنقل بولائه بين الامويين والفاطميين، الى ان قتله (**المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر**) الحاكم باسم الخلافة الاموية في الاندلس، في قصة طويلة شيقة مليئة بالفواجع والمفاجآت .

*

وبعد انقراض دولة الادارسة قامت بالمغرب دولة مغراوة وبني يفرن، وكان على راس القبيلتين العتيدين (**يدو بن يعلي**) اليفرني، الذي كان يعتبر عميلا كبيرا للخلافة الفاطمية، و (**زيري بن عطية المغراوي**) الذي كان خالص الولاء للخلافة الاموية بالاندلس، والذي توصل بعد حروب كثيرة الى القضاء نهائيا على ابن عمه (**يدو بن يعلي**) وارسال راسه الى (**المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر**) .

على ان (**المنصور الحاجب**) كان قد حاول من قبل ان يستميل اليه زعيم اليفرنيين (**يدو بن يعلي**) وان يكسب ولاءه ويصطنعه كما فعل مع (**زيري بن عطية**) وبعث اليه بالفعل يستقدمه الى الاندلس، فكان جواب (**يدو بن يعلي**) ان قال كلمته التاريخية الحاسمة :

متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة .

*

كان (**زيري بن عطية**) زعيما في قومه، دائم الولاء للخلافة الاموية بالاندلس . وقد قام بدور فعال في الحملة العسكرية الاخيرة التي جهزها (**الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر**) ضد (**الحسن بن كنون**) آخر الامراء الادارسة بالمغرب، تلك الحملة التي ادت الى مقتل هذا الامير، والى القضاء نهائيا على الدولة الادريسية، والى اخضاع المغرب للخلافة الاموية بالاندلس .

وظل (**زيري**) بعد ذلك بمثابة الساعد الايمن للولاة الذين بعثهم من الاندلس الى المغرب (**المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر**) . وقد كانت للمنصور — فيما يبدو — سياسة خاصة فيما يتعلق بالمغرب وسكانه ؛ كان يريد من المغرب — فقط — ان يظل في مناعة من نفوذ الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي، وان يكون معتنقا للولاء لدولة الخلافة الاموية بالاندلس، اما ما عدا ذلك، فيبدو انه لم يكن يرغب في الاساءة الى اهله، بان يفرض عليهم حكما مباشرا تاباه طبيعتهم وما جبلوا عليه من الشدة والاباء، خصوصا وان المنصور كان يعتمد في الاندلس على العنصر البربري المغربي في جيشه وحرسه، وفي كثير من المسؤوليات والمهام الكبيرة في الدولة .

وهكذا لم يلبث (**المنصور**) ان اعاد للمغرب استقلاله الذاتي، واكتفى منه بان يعترف له بنوع من (**الحماية**)، وقد تم كل ذلك عندما عقد (**المنصور**) (**لزيري بن عطية**) على المغرب، بعد ان سحب آخر عماله عليه : (**الوزير حسن بن احمد بن عبد الودود السلمي**) .

*

اصبح (**زيري بن عطية**) اميرا على المغرب، ولم يلبث ان امتد سلطانه الى الجزائر التي كان امراؤها يتأرجحون بين الولاء للفاطميين والامويين، فقضى عليهم، وبعث الى (**المنصور**) يخبره بذلك، وبعث اليه مع الخبر كثيرا جدا من الهدايا النفيسة الغالية، التي ان دلت من جهة على مقدار ما يكنه من الولاء والاحترام لشخص (**المنصور**)، فانها تدل من جهة اخرى على مدى قوة (**زيري**) وغناه، وسعة ذات يده، وامتداد سلطانه .

وقد استدعى (**المنصور**) (**زيري بن عطية**) مرتين للوفادة عليه الى الاندلس، كانت الاولى قبل ان يوليه امر المغرب، وقد مرت بسلام، وظلت العلاقة بين الرجلين بعدها — في الظاهر على الاقل — على خير ما يرجو كل واحد منهما ؛ وكانت الثانية بعد ان ولي (**زيري**) امر المغرب، وبعد ان امتد نفوذه الى الجزائر، وبعد ان اصبح اكثر شعورا بشخصيته وقوته، وبعد ان اصبح يحس احساسا اليما بنير هذه (**الحماية**) المفروضة عليه وعلى بلاده، ويرغب رغبة صادقة في التخلص منها باية وسيلة ممكنة .

استدعى (**المنصور**) (**زيري بن عطية**) للوفادة عليه الى الاندلس للمرة الثانية، فلبى الدعوة، — راضيا

وكارها — ، وقدم بين يديه مرة اخرى شيئا كثيرا من غرائب الهدايا والتحف ، ثم وفد على (**المنصور**) في حاشية جرارة ومظهر ملوكي عظيم، واحسن (**المنصور**) من طرفه استقباله وضيافته والتودد اليه ، واراد ان يزيد في اكرامه فلقبه رسميا (**بالوزير**) ، وهو لقب لم يكن (**المنصور**) نفسه يحظى بارفع منه ، وان كنا لا ندري حتى الآن اكان (**المنصور**) يقصد بهذا (**التكريم**) تنصيب زيري بن عطية (**وزيرا**) للخليفة المحجوب في قصره ، أم (**وزيرا**) له هو نفسه .

مهما يكن ، فان كل مظاهر التكريم هذه لم تؤثر في (**زيري بن عطية**) ، ولم تغير من شعوره الجديد بالرغبة في استقلاله واستقلال بلاده ، والتخلص من **الحماية** المفروضة عليهما ، بل يبدو ان (**زيري**) وقد حنكته الاحداث والتجارب ، وشدت من ساعده انتصاراته المتوالية ، وتفتحت عيناه عن اشياء كثيرة لم يكن يعرفها من قبل ، لم يعد (**المنصور**) يبدو في مثل العظمة التي كان يراه فيها او يتخيله ، يبدو انه وقد اصبح في دخيلة نفسه ينظر الى (**المنصور**) نظرة الند للند ، قد تغير رايه فيه ، وقد تكشفت له عيوبه التي كانت تحجبها عن عينيه من قبل ، نظرة التقدير والاكبار التي كان ينظرها اليه .

ومع ذلك فيبدو ان (**زيري**) قد حاول جاهدا ان يخفي ما في نفسه ، وان يتقبل بالشكر كل مظاهر التكريم الذي اضفى عليه ، بما في ذلك لقب (**الوزير**) .

وهكذا جدد (**المنصور**) (**لزيري بن عطية**) عهد الولاية على المغرب ، وودعه ليعود الى مملكته او (**وزارته**) .

وركب (**زيري**) ليعبر المضيق من الاندلس الى المغرب وقد بيت في نفسه امرا ، لقد ثار على (**الحماية**) و (**الوزارة**) معا، وثار على (**المنصور الحاجب محمد ابن ابي عامر**) ورفض سلطانه ، ولن يكون بعد اليوم في بلاده الا اميرا مستقلا لا نفوذ عليه لاي كان .

وبينما (زيري) يناجي نفسه ، او يصرخ في وجهها بكل ذلك ، والسفن تقترب من الشاطىء الجنوبي للمضيق ، اذ اخذت تبدو لعينيه معالم (طنجة) العروس الضاحكة . ثم لم تلبث ان تجلت له رشيقة ساحرة فاتنة ، تشرح النفس ، وتجلو الفم ، وتبدد الظنون والاوهام .

وملأ (**زيري**) رئتيه من هواء المغرب ، بلاده التي يريده المنصور على ان يظل مجرد عميل له عليها ، مجرد (**وزير**) صغير يحكم باسم (**الوزير**) الكبير المستبد بعرش الخلافة الاموية في قرطبة ! !

واحس (**زيري**) وقد احتوته بلاده بالعزة والمنعة والكبرياء ، ونظر الى (**طنجة**) فضحك لها بدوره وتحسس راسه في ارتياح ، والتفت حواليه ينظر الى كل هذا الملك العريض ، ثم نظر الى (**طنجة**) مرة اخرى نظرة العاشق المدنف ، وقال لها في محبة ممزوجة بالاعتزاز والانفة :

الآن علمت انك لي ! !

❊

ثار (**زيري**) نهائيا على (**المنصور**) وعلى لقب (**الوزير**) الذي تفضل به عليه ، ورفض ان يدعى به ولو على وجه التكريم والاجلال ، ويروي التاريخ انه اجاب في غضب بعض رجاله عندما دعاه بالوزير ، قائلا له في حدة بالغة :

— (وزير من يالكع ! لا والله الا امير ابن امير . واعجبا لابن ابي عامر ومخرقته ! لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ! والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله ، وان له منا ليوما) .

اذن ! ! فهي بداية حرب باردة ، لا تلبث الا قليلا ثم تنقلب الى حرب ساخنة اذا صح هذا التعبير .

❊

وكان (**زيري**) بعيد النظر ، يعلم ان خططه الحربية مهما بلغ اتقانها تحتمل النجاح والاخفاق معا ، وان امكانية الهزيمة لا تقل عن امكانية النصر ، وكانت الامور بفاس العاصمة غير مستقرة الى الحد الذي يبعث على الاطمئنان ، كما انها كانت في هذه الفترة التاريخية مطمع كل ثائر او غاز او متمرد ، يضاف الى ذلك ان موقعها يجعلها غير بعيدة بالقدر الكافي عن متناول (**المنصور**) اذا ما تم له النصر عليه . فلينقل العاصمة منها — بناء على ذلك — الى غيرها ، او ليشيد لنفسه عاصمة جديدة تكون الامور فيها اكثر استقرارا وامنا ، وتكون هي بحكم موقعها اكثر مناعة وبعدا عن متناول المنصور وغيره .

وقد ابتنى (**زيري**) عاصمته فعلا وحصنها واحكم اسوارها ، ونقل اليها خاصته وحرسه ورجال دولته وامواله ، فكانت هذه العاصمة هي (**وجدة**)

المدينة المغربية الجميلة التي تقع على بعد يسير جدا من حدود الجزائر ، بحيث يتمكن (**زيري**) بها من تسيير امور دولته التي كانت تمتد في المغرب والجزائر معا ، كما يتمكن بها ايضا اذا ما كانت حرب مع المنصور، ان يحمي ظهره ويضمن سلامته ويؤمن خط رجعته .

*

وتصل هذه الانباء كلها الى (**صبح**) ام الخليفة المحجوز في القصر ، والمراة البشنية التي كانت تربطها من قبل (**بالمنصور بن ابي عامر**) علائق متعددة ، والتي تموت اليوم كمدا وخوفا على مستقبلها ومستقبل ابنها المحجوز في قصره (**هشام المؤيد**) .

وترى (**صبح**) انها فرصتها النادرة التي ظلت تبحث عنها للانتقام من صاحبها وصنيعتها القديم ، والمستبد اليوم بها وبابنها وبعرش الخلافة (**المنصور ابن ابي عامر**) ، وتشرع (**صبح**) في البحث عن وسيلة للاتصال (**بزيري بن عطية**) تشجعه ، وتعده ، وتمنيه الاماني ؛ وربما استطاعت ان تغريه بالمال او باشياء اخرى ، انقاذا لنفسها ولولدها .

ويعلم (**المنصور**) ــ طبعا ــ بكل ذلك ، فتثور ثائرته ، وتتخلى عنه حكمته وسياسته ولباقته ، ويرسل لسانه بالتهديد والوعيد ، ثم لا تلبث الامور ان تتأزم اكثر من ذلك ، لينقطع ما كان بين الرجلين : (**المنصور بن ابي عامر**) و (**زيري بن عطية**) من صلة وود وثقة متبادلة ، فيسحب (**المنصور**) رسميا لقب (**الوزارة**) الذي تفضل يوما فاسقاه على (**زيري**) ، ويجيب (**زيري**) على ذلك بان يصدر امره الى الخطباء بالمغرب ، ان يقلعوا عن الدعاء في خطبهم (**للمنصور بن ابي عامر**) ، وان يقتصروا فيها على الدعاء للخليفة (**هشام المؤيد**) .

ومعنى ذلك ان (**زيري**) يسحب الاعتراف الشرعي او الرسمي (**للمنصور**) بالمركز الذي خلقه لنفسه ، وحمل الناس على الاعتراف له به بكل انواع الاعتراف واشكاله والوانه ، ومن ضمنها ــ او على راسها ــ الدعاء له من اعلى المنابر كما يدعى للخليفة الشرعي .

وتترتب عن كل ذلك نتيجته المتوقعة المحتملة ، ويلجأ الطرفان معا الى ذلك الحل البغيض الذي ألفت الانسانية المنكودة منذ كانت على وجه الارض ، ان تلجأ كلما استعصى عليها الحل ، او افلتت منها اعصابها .

انها الحرب لا محالة ! يراها (**زيري**) طبيعية وضرورية للدفاع عن استقلال بلاده ، ويراها (**المنصور**) ايضا طبيعية وضرورية لحماية نفوذه ؛ ولتامين سلامة خط دفاعه الاول ضد تسرب المذهب الشيعي الى الاندلس ، على حراب القادة العسكريين للدولة الفاطمية .

وكانت ــ في الواقع ــ حربا عنيفة قاسية بالنسبة للطرفين معا (**بعد العهد بمثلها**) على حد تعبير بعض المؤرخين القدماء . واهتم لها (**المنصور**) اهتماما زائدا فجهز لها جيشا عظيما امده ــ باسراف ــ بكل ما يحتاج اليه من الرجال والاسلحة والاموال ، وصمد فيها (**زيري**) ومن معه من المغاربة صمود الابطال المستميتين ، وكانت نتيجة الحملة الاولى التي استغرقت ثلاثة اشهر ، ان انهزم جيش (**المنصور**) ، وقتل كثير من رجاله ، واضطر قائده الى الانسحاب يطلب الامدادات العسكرية من (**المنصور بن ابي عامر**).

وفتح (**المنصور**) عينيه مرة اخرى ليرى ان الامر جد اكثر مما كان يتصوره . ولم يكن (**المنصور**) بالرجل الذي يخضع للامر الواقع او يغضي على الهزيمة وهو الذي لم يالف في حياته الا الانتصارات المتوالية . لذلك قرر (**المنصور**) **لكي** يستعيد اعتباره ومركزه وهيبته ان يشرف على المعركة التالية بنفسه ، وهكذا غادر قرطبة الى الجزيرة الخضراء عند الشاطىء الشمالي للمضيق ، واتخذ منها مركزا للقيادة يديره ويشرف عليه بنفسه ، وبعث الى المغرب حملة عسكرية اخرى اكبر واقوى من سابقتها ، حشد لها كل جيشه وضباطه وقادته العسكريين . ويذكر المؤرخون من قدامى ومحدثين انه جعل على راس هذه الحملة ولده (**المظفر**) ، وان كان هناك مؤرخ مستشرق ينفي ذلك ، استنادا الى ان سن (**المظفر**) في تاريخ هذه الحملة كانت اصغر من ان تسمح له بقيادة حملة عسكرية كهذه ، تضم كل جيش الاندلس او معظمه ، وتضم كثيرا من كبار القادة والضباط .

مهما يكن فقد استؤنفت الحرب مرة اخرى ، وصمد فيها المغاربة هذه المرة ايضا كما صمدوا في سابقتها ، وكان من الممكن ان يستمروا في الصمود والمقاومة حتى يحققوا لانفسهم انتصارا آخر ، يطردون به العدو المغير ، او يحدون على الاقل من اطماعه وغلوائه ، لولا ان دخل في المعركة عامل جديد ربما لم يكن متوقعا ، عامل عانى منه كثيرا تاريخ

المغرب القريب والبعيد معا ، ذلك هو عامل الخيانة والغدر !!

وهل تستطيع قوة مهما بلغت ان تعيث فسادا فى امة ، وان تنهكها وتحطمها وتقضي عليها وتشل قدرتها على الصمود والمقاومة كما تفعل الخيانة وكما يفعل الغدر ؟؟

لقد تسلل من صفوف **(زيري)** نفسها **(غلام اسود اسمه سلام)** — فيما تروي كتب التاريخ — يقال ان زيري كان قد قتل اخاه ، تسلل من الصفوف واغتنم غفلة من (زيري) فطعنه فى نحره عدة طعنات ظن انه بها قد قتله .

هكذا تروي كتب التاريخ فى بساطة متناهية وفى غير مناقشة ، ونحن لا نستبعد ان تكون محاولة قتل (زيري) قد وقعت على هذا النحو ، ولكننا لا نستبعد ايضا ان يكون لدهاء المنصور ومكره ، او او لدهاء بعض قادته العسكريين الذين يعملون بأوامره يد خفية فى هذه المحاولة . وقد يؤكد هذا الافتراض ويدعمه ، ان كتب التاريخ تروي فيما تروي ، ان **(سلاما)** هذا الذي حاول قتل (زيري) ، وظن انه بالفعل قد قتله ، طار فى خفة البرق الى القائد الاعلى لجيش (المنصور) ليبلغه انه قد قتل (زيري) .

اي ليبلغه — فيما نفترض — انه قد نجح فى المهمة الدنيئة التي اسندت اليه .

لم يمت **(زيري)** ، ولكن الشائعات تتوقلت فى جيشه ، يقول بعضها انه قد قتل ، ويقول بعضها انه جريح فقط ولكن الامل بعيد فى حياته ، ويقول بعضها الآخر انه قد جرح فعلا ، ولكن ذلك لن يمنعه من الاشراف على المعركة .

ومن السهل ان تتصور الشائعات تتنقل فى جيش — غير نظامي على الخصوص — ليضيف اليها كل واحد من عنده ما تجود به مخيلته من التهويل والمبالغات ، كما انه ليس من الصعب على من يقرا التاريخ ان يعرف الدور الخطير الذي كان يلعبه شخص قائد المعركة ، وان مجرد اشاعة موته او جرحه كافية لان تخلق البلبلة فى جيشه ، وتشيع الفوضى فى صفوفه ، وتكون مدعاة للهزيمة والنكوص على الاعقاب .

❊

وهكذا تم النصر فى هذه الحملة لجيش **(المنصور)** وطير الخبر اليه فى مركز قيادته .

ونستطيع ان نتصور مقدار ابتهال **(المنصور)** بهذا النصر واحساسه بقيمته ، اذا علمنا انه امر بقراءة كتاب اعلان النصر الوارد عليه من المغرب على منابر مساجد قرطبة وغيرها من جميع بلاد الاندلس ، وانه فيما تروي كتب التاريخ — اعترافا منه بفضل الله عليه فى ذلك — وزع اموالا كثيرة على الفقراء وذوي الحاجات ، واعتق الفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوكة ، الامر الذي لم يفعل **(المنصور)** شيئا منه فى الاحتفال بانتصاراته فى معاركه الكثيرة الاخرى ، وهو ما يدل دلالة واضحة على عنف المعركة التي خاضها **(المنصور)** مع **(زيري بن عطية)** ، وان احتمال الهزيمة عنده فى حملته الثانية هذه لم يكن اقوى من احتمال النصر فيها .

وقد كان الواقع كذلك ، لولا عامل الخيانة والغدر الذي لم يؤد بحياة (زيري) فى حينه ، ولكنه حقق نصرا كاملا لعدوه **(المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر)** .

لم يمت **(زيري)** حالا ، ولم تفت الهزيمة فى عضده ، بل لم يحمله على الياس ان سكان مدينة فاس اغلقوا ابواب المدينة فى وجهه عندما لجا اليها جريحا منهزما ، فحمل نفسه ، ولجا الى الجزائر يضمد جراحه ويستعد فى نفس الوقت لمعركة اخرى مع **(المنصور)** قد تكون اعنف من سابقاتها ، ولكن الجراح التي كان يحملها **(زيري)** معه اينما ذهب ، لم تمهله طويلا ، ولم تلبث ان اودت بحياته .

❊

وهكذا لم يستطع (المنصور بن ابي عامر) الذي غزا اثنتين وخمسين غزوة لم ينهزم فى واحدة منها ؛ لم يستطع ان يقهر الامير المغربي (زيري بن عطية) ، واستطاعت ان تفعل به ذلك ضربة من يد الخيانة ، انبعثت من صفوفه هو نفسه ، ففرقت جيشه ، وظلت تمذبه الى ان اسلمته الى التراب ، وباعت استقلال المغرب — مرة اخرى — بثمن بخس الى الداهية المستبد بعرش الخلافة الاموية فى الاندلس والذي يحكمها بالمعرفة والمكر والحديد والنار ، المنصور بن ابي عامر .

اصطدام الحياة بنفسها

بقلم : محمد الصباغ

اما خطر ببالكم في يوم من الايام الصديقة اليكم ان تفكروا فيما انتم فيه ؟

الا تحسون بالضجر ، والملل ، والسآمة كلما انعمتم النظر في انفسكم ، وحواسكم ، واعضائكم ، وفيما تقوم به من اعمال ، وحركات ، واشارات ، وايماءات ، تعيدها وتكررها ؟

الا تشعرون بالوحشة والشوق كلما فكر كل واحد منكم بانه هو هو ، هو في الصباح وفي المساء ، هو في الليل وفي الفجر ، هو نفسه في هذا اليوم وفي الغد ، هو ذاته في هذا الشهر ، وفي هذه السنة ، وفي السنوات التي تليها . يلتقي بذاته حينما يلقي بنفسه على السرير فيصطدم بها في احلامه ، فتتهشم غفوته ، وتدمى نشوته ويعثر بها في طريقه ... وفي طريق خياله الذي يسلك به الى العوالم المبثوثة في طيات الغيب السحيق ، فيهوي كبرياء احساسه شظايا نبضات ونجوم .

لقد خطر ببالي هذا في صباح اليوم ، عندما استيقظت من نومي فوجدتني مهشما ، مكسرا ، محطما ، لا اقوى على النهوض على اثر اصطدامي بذاتي في غابات ، وجبال ، وسهول ، وسماوات ، وربوات احلام ليلتي الماضية . القيت نظرتي على يميني فانتصب لي باصابعه الخمسة الدائمة وهي مخضلة بالرماد ... وحسبت ايام الاسبوع فوجدتها سبعة ، وبصوت مرتفع كنت اكررها هكذا :

احد ، اثنين ، ثلاثاء ، اربعاء ، خميس ، جمعة ، سبت ....

وكان حسابي دائما وابدا يبتدىء بيوم احد ، وينتهي بيوم سبت . وان كنت في ريب مما اقول ، فارجوكم ان تحسبوا معي فصول السنة بصوت جهير مرة ومرات هكذا :

ربيع ، صيف ، خريف ، شتاء ...

الا تحسون من تكراركم لاسماء فصول السنة



باصطدام الحياة بذاتها ، وباصطدام كل ما فيها وما عليها بنفسها ؟

فالشمس تصطدم بذاتها كلما اتمت دورة من دورانها ، وكذلك الشأن في القمر والارض والافلاك الاخرى . وما هذا الغليان والفوران ، وما هذه الثورات التي تشاهدها في الطبيعة — من بحار تزمجر ، وعواصف تعوي وتعصف ، وبراكين تثور وتندلع ، وبروق ورعود تصفر وتلعلع ، واراض ترتفع واخرى تنخفض — سوى اصطدام الحياة بذاتها في المدى الخفي عنا ، وعن ابصارنا الكليلة .

وهذا الربيع ، وهو احب الفصول الي واليكم ، نراه يتم رحلته السنوية ، فيسرع ليلحق ذاته التي نفرت منه زهاء تسعة اشهر ، وما يكاد يلحقها حتى يصطدم بها ، فيسقط على الارض اشلاء بوح ، وفوح ، وزهر ، ونغم ، واذا بهذه الاشلاء تلتئم ، وتندمل ، وتجمع قوتها ومناعتها ، حتى اذا ما بلغت اشدها راحت تفتش عن ذاتها فتصطدم بها ، فتجري اودية في الروابي ، وخضرة في ذوائب العشب والدوالي ، وزقزقة في حناجر الاعشاش والسواقي ، وعبيرا في جيد الاصائل ، وخصر الاسحار .

هي الحياة تبحث عن ذاتها في كل مظهر من مظاهرها ، وحلقة من حلقاتها الخفية عنا وغير الخفية ، حتى اذا ما عثرت على ذاتها تكسرت عليها ، فتمتلىء الارحام بالاجنحة ، والاخصاص بالزغاليل ، والاغصان والاكمام بالثمار والاريج ، والبحار بالحيتان وفواكه الماء وعبير الامواج . وتنفلق من كل قطرة ماء قطرة اخرى او قطرات، وتفور من كل ذرة ذرة اخرى اوذرات، ويجنح من كل حمامة سرب حمام او اسراب ، وتنقسم كل حطبة عن حطبات تكتسي بها الف غابة وغابة .

اولا تنظرون الى هذا الكون وقد اتخذ بكل ما فيه وما عليه اشكالا مستديرة يدور فيها وعليها دورات لا نهاية لها ولا قرار . وما نراه بأعيننا المجردة في بعض الاحيان من اشكال مسطحة ، او مثلثة ، او مربعة ، او ما الى ذلك من الاشكال اللامستديرة فما هو الا من خداع العين فحسب .

هذا الشعاع الذي ينطلق من الشمس فيكسو الارض ، نراه ملاءة شقراء تترجرج فوق الجبال ، والبحار ، والخلجان ، وتتمايل وتهتز بين اغصان الاشجار والازهار وذؤبات النسيم ، نراه على هذه الاشكال التي يتقمصها فيتخذ من كل شكل شكلا له ، ومن كل جسم جسما له ، فهو على سلسلة الجبال تضاريس من نور ، وفوق البحار مويجات ذهبية ، وهو في الندى حبات قمح رشت من سنابل الصباح . نرى الشعاع يكسو الارض على هذه الاشكال التي يصعب حصرها ، وفي الحقيقة ما هو الا دوائر عديدة تركب على ذاتها فتجري وتدور بسرعة تتجاوز حدود الظن والحدس ، والاحتمال لتلحق ذاتها في امها الشمس فتتكسر عليها .

فما انت وانا ، وهذا ، وذاك ، وتلك الجماعة ، وهذه الشجرة ، وذلك القصر ، وما يحويه من حجر . وما في هذه الحجر من اثاث وملابس ، وثياب سوى دوائر تدور على نفسها وعلى محيطها دورات سريعة .

انا وانت دائرتان تدوران في محيط الزمان والمكان اللذين يدوران بدورهما معنا دون ان نشعر بهما وفي كل دورة من دوراتنا نصطدم بذواتنا فتودع دنيا قديمة ، ونستقبل اخرى جديدة .

وكما ان كل موجة من امواج البحر تدفع اختها وتجدد نفسها فيها كذلك هي حياتنا باطوارها ، وادوارها ، وحلقاتها المتسلسلة في بحر الحياة .

اما وقد وصلنا الى هذه النتيجة فلا يتملكني الاستغراب عند ما امعن النظر في حواسي واعضائي وفيما تقوم به من اعمال وحركات كنت احسبها هي هي

اذا لا غرابة في ان احسب اصابع يدي فاحسب معها جميع ايدي الناس الذين ولدوا وماتوا ، والذين سيولدون ويموتون ، كما لا غرابة في ان ارى ذاتي فاراها تشتمل على ذات العالم وما يحويه من بشر ، وحيوان ، وجماد ، ونبات ، ومما نراه منه ، وما لا نراه، وما نلمسه ، وما لا نلمسه .



الاهـرام والنيـل

قصة

المرحومة

بقلم : إبراهيم الهواري



كانت المدينة الصغيرة تنهض متثاقلة من سباتها العميق فقد هل الصباح وان حجبت خيوطه الفضية جلابيب الضباب الرمادي الذي تساقط على الازقة فاخفى العمال والتجار والطلبة وهم يتدافعون الى حقول عملهم . وكان عسيرا على الرائي ان يتبين ذلك الرجل السائر بخطى وئيدة متثاقلة فقد كان احمد عبد العزيز يبدو من بعيد وكانه طيف يسبح في اعمدة من بخور حتى اذا تغلبت اشعة الشمس على طبقات الضباب ونفذت الى قلب الطريق اجلت قسمات احمد: عينان سوداوان اجهدهما الحزن والسهر ، فم صغير كانه جرح في وجهه يعلوه شارب كث اسود تحسبه من بعيد كانما استقر على فمه ، قامة متوسطة نحيلة رشيقة لولا انحناءة في اعلى الظهر لا ريب انها نجمت عن جلوسه الطويل مشدودا الى الكرسي في وظيفته بالبلدية ... لكن الاشعة سرعان ما تتوارى فيختفي الرجل على اثرها وكانهما على ميعاد ...

فمنذ ساعتين واحمد عبد العزيز يضرب في الطريق المعتم بعد ان غادر منزله وقد خلص فيه بعد نقاش طويل مع نفسه ان يتزوج مرة ثانية بعد وفاة المرحومة زوجته الوفية : ان مجرد ذكراها يثير في نفسه شجوا غائرا والما وجيعا وكيف وكل ما في البيت يذكره بها ؟ فهي وان كانت قد ودعته الى الابد منذ سنوات ستة فقد ابقى على كل صغيرة وكبيرة في البيت حتى ادوات زينتها ، انه يدرك تماما ان حياته بعدها اصبحت يبابا لا بهجة فيها ، ولولا ذلك الخيط النوراني الذي خلقته بعدها ليشده الى دنيا الناس لكانت لحياته هذه شان آخر ؛ لو لا تلك الفتاة اللطيفة الشوش دائما ذات الشعر الاشقر والعينين الخضراوين واليدين الصغيرتين البضتين ، لولا ابنتهما نعيمة لما فكر هذا التفكير الجديد ، التفكير بالزواج فالبناء بامراة اخرى محال ان يسعد به ، لكن من يعنى بالبنت وقد اوفت على السابعة من عمرها وهو الموظف النظامي الذي لا يقوى على مبارحة مكتبه الا في الساعات القليلة المحدودة بصرامة ؟ ! ..

وتمتمت شفتاه بكلمات خافتة واغرورقت عيناه وهو يمد بصره الى الطريق الطويل ، وداخله شعور حاد بالندم وكانه مقدم على جريمة لا تغتفر ، وهم ان يعود ادراجه لياخذ بنته بين ذراعيه ويبكي مستغفرا مكفرا لكن شعوره الجديد الح عليه ملقيا في نفسه عبارات العزاء والتشجيع موحيا اليه ان عمله هذا ليس الا وفاءا لروح المرحومة ... اليست نعيمة ثمرة عشرتهما السعيدة طيلة عشر سنوات ؟ اليست هي السلوى والذكرى الغالية في نفسه ؟ لماذا اذن يحاول ان يحشرها في دنياه المتجهمة القاتمة ؟ ماذا جنت هي حتى تحرم من حنان الام والاب ؟ ...

واخذ يسرع الخطى الى الطبيب الذي سيكشف على جسمه ليقرر سلامته من الامراض فهو حريص ابدا على الخير ومحبة الناس ، وزاد في سرعة خطوه خشية تغيير رايه لكن ترى ماذا ستقول عائلة المرحومة؟ الم تكن له خير عون ؟ انه وهو الموظف المتوسط الحال لم يكن قط بقادر على شراء كل ما تتوق اليه زوجه ، ولكنها كانت تحبه وتراف به فلا تثقل كاهله بطلباتها

وانما تقوم بزيارة اهلها الميسورين حتى اذا ما عادت ارته ما جلبته من زيارتها من فساتين او مجوهرات ثم انحنت عليه تقبل عينيه وجبينه في مرح وجذب .

وطفق احمد عبد العزيز يبطىء في خطوه وكأنما استلذ الذكرى وقد عاودته فاخذ يحاور نفسه : لله ما كان اروعها ! ما الزواج الا لعبة رهان نخسره فيحطم كياننا او نربحه فنعيش في نعيم مقيم ، وقد عشت في هذا النعيم مع زوجتي المرحومة ، كنت سعيدا بحبها وكانت سعيدة بحبي اياها فعاشت حرة وفية ...
واعتراه الشعور بالندم من جديد ـ اذا هو تزوج لكن ما لبثت فكرة جديدة ان برقت في ذهنه احس معهـا بارتياح كبير فمضى يقنع نفسه بها : لاذهب الى الطبيب فمن ادراني ان هذا الجسم المتعب الذي اناخت عليه احزان ست سنوات ما زال سليما ؟ انني لا استطيع حتى الجزم بان الدم الذي يسري فيه لم يتحول بعد لونه القاني الى زرقة او سواد ؟ لا محالة اذن ان الطبيب سيقرر عدم صلاحيتي للزواج فافوز برضاء نفسي الدائبة لاسعاد ثمرة حبي لزوجتي الغالية واريح امينه الارملة الطيبة التي ارتأى اصدقائي مواساة لي ان اتزوج بها .

وخب السير في الطريق الطويل الذي بدا الضباب ينحسر عنه رويدا رويدا حتى بلغ واجهة العيادة فدلف بسرعة وحمد الله ان دوره بعد واحد فقط فرواد العيادة لم يوافوها بعد ، واتى دوره فدخل وهز يد الطبيب ثم افهمه انه يريد فحصا عاما لجسمه ليتأكد من سلامته بغية الزواج ، فتهللت اسارير الطبيب وقال : مبروك .. مبروك . وبعد الفحص شد على يده ثانية وهو يردد : مبروك .. مبروك . واحس احمد بشعور متناقض مبهم اذ هو حقا يريد لجسمه ان يكون صحيحا معافى ، فالعقل السليم في الجسم السليم ، لكن الطبيب ما برح ان قال مبتسما :

ـ اظن انك لا تهتم يا سيدي بالاطفال ما دمت تحب من ستتزوجها ؟

فرد احمد متسائلا :

ـ لست افهم ما تعنيه يا سيدي
فاستطرد الطبيب مجيبا :

ـ ان الكشف عنك اثبت ان المرض الذي كان بك منذ صباك قد زال نهائيا الا انه ابقاك عاقرا . واني استبعد ان يكون لك اطفال !

ولم يسمع احمد كلام الطبيب فقد اندفع كمن به مس ومضى يعدو في الطريق المشمس مضطرب الخاطر وكان الضباب ما فتىء يلفه .



قرية ارفود بتافيلالت



القضية الجزائرية في شهر

بقلم . المعدي البرجالي

الوضـع السياسـي :

ما حقيقة الاتجاه الـذي يتبناه الراي العـام الفرنسي حيال قضية الجزائـر ؟

سؤال قد يبدو الجواب عنـه بسيطا بعـض البساطة ، ولكنه في الواقع ليس بذلك الى حد بعيد فقد برهنت الوقائع التي تتالت في مدى فترة ما بعد الحرب على ان ما يمكن ان ندعوه بالراي العام الفرنسي، لم يتخذ بعد طريقه لكي يصبح عنصرا اساسيـا في الحياة السياسية الفرنسية وطاقـة موجهـة لها ، وامثلة الهند الصيني (54/46) والمغرب (55/53) هي من بين البينات على ذلك .

على انه كان من المفروض ان تغـدو الجزائـر ـ على الاقل ـ وهي في عنفوان ثورتها الوطنية الحالية ـ عاملا حتميا يساعد على نمو اسباب القوة التوجيهية التي تعوز الراي العام الفرنسي ، وذلك باعتبار مـا للقضية الجزائرية من ارتباط متين بالمشكلة التوسعية الفرنسية العامة ، وانعكاس قوي على كثير من جوانب الحياة السياسية في داخل فرنسا وخارجها . ولكن الواقع كان صورة معاكسة لذلك في كثير من الاحيان ، فقد امكن لنا ـ في غضون هذه السنوات الخمس التي عاشتها الثورة الجزائرية ـ ان نلاحظ مدى السلبية الرخيصة التي غدت تميز مواقف الجماهير الفرنسية حيال مأساة الجزائر ، في الوقت الذي توجد فيـه هذه المأساة اساسا لمركب المعضلات التي تكتنف فرنسـا .

ولم يكن لهذه الظاهرة ان تمر دون ان يستثمرها الغلاة وانصار السيطرة ، لصالح الرجعية السياسية التي يدينون بها ، ولهذا ما فتيء هؤلاء الغلاة ـ منذ نشوب الثورة في الجزائر ـ يغتنمون كل سانحـة لامتلاك زمام الراي العام في فرنسـا وضمان استمرار هيمنتهم على توجيه هذا الراي .

ولم يتورعوا في سبيل ذلك عن اقحام الشعارات العنصرية وحتى الدينية في الميدان ، حتى يكون لهم من ذلك منفذ الى استثارة النعرات التهوسية على اوسع نطاق ممكـن .

ومن شان ذلك ـ كما تحدده طبيعة العقلية التوسعية ـ ان يساعد على تزييف صـورة الثـورة الوطنية الجزائرية في فرنسـا والخـارج ، ويسهـم في ابرازها ضمن اطار من التعصبية المطلقة غير الهادفة .

والواقع ان مثل هذه الاساليب لـم يكن لها ان تستنفذ اغراضها الى ابعد الحدود ، ولكنها ـ مع ذلك ـ كانت من بين العوامل التي نشات عنهـا هذه الحالة من التاثر والانقياد ، مما ينعم به الغلاة علـى حساب الوعي الشعبي الفرنسـي .

وقد يسر لهم ذلك سبيل الايغـال في تحقيـق هذه المظاهر من الاحتكار في القيادة والتوجيه ، فكان من ذلك نجاحهم في تدبير انقلاب 13 مايـو والاطاحة بالجمهورية الرابعـة الموءودة .

وقد شاهدت الاشهر التي تلت ذلك مظاهـر اساسية من هذا التجاوب الحاصـل بين الجماهيـر والغلاة ، وذلك الى الحد الذي غدا فيه هؤلاء وهـم يكادون يسيطرون على مجموع الحكومـة والبرلـمان وغيرهمـا .

ولكن الاسابيع الاخيرة ما لبثت ـ بعد كل هذا ـ ان بدات تسجل آيات انتكاث في حبل هذا « التفاهم » الغريب . وقد كان لهذه الظاهرة انعكاسات عميقة في

الصحافة الدولية والعالمية ، وقد كانت مجلة «نيوزويك» (انباء الاسبوع) الامريكية من بين المصادر التي تلاقت عندها بعض هذه الانعكاسات .

كان ذلك حينما نشرت في احدى طبعاتها الاخيرة تفاصيل استفتاء سياسي اجرته اخيرا في فرنسا ، واكدت انه يمكن ان يكون مرآة تقريبية لموقف الراي العام الفرنسي — حاليا — من مشكلة الجزائر . وقد كانت نتائج الاستفتاء — في الواقع — غريبة بل ومذهلة ولم يكن لها الا ان تؤكد ظاهرة انعدام الاستقرار الاتجاهي التي يتميز بها الراي العام الفرنسي في الحقبة الاخيرة .

فقد اعلنت الاحصائية التي تشكل نتائج هذا الاستفتاء ان 43 في المائة من الفرنسيين يساندون بادرة التفاوض مع رجال الثورة الجزائرية ، وكان ذلك في شهر سبتمبر الماضي ، الا ان هذا الرقم قد تعدل بعد ذلك كثيرا ، فقد اكدت الاحصائية التي امكن الحصول عليها في شهر يناير ان عدد المحبذين من الفرنسيين لمبدا التفاوض مع الثورة الجزائرية قد غدا يمثل 53 في المائة من مجموع الراي العام الفرنسي، اما في اواسط مارس فقد ارتفع الرقم الى 75 في المائة .

فما مفهوم كل هذا ؟ هل من الممكن النفوذ منه الى استكناه حقيقة الفكرة الصحيحة التي غدت تمثل الاتجاه الشعبي الفرنسي ؟ هل من الجائز ان يكون الامر عكس ذلك تماما ؟

الواقع ان ايا من الاحتمالين ليس له ان يضبط واقع التفكير الشعبي الفرنسي وانفعالاته حيال ماساة الجزائر ، اما العلة فبسيطة ، وهي ان هذا الصنف من التفكير الموضوعي المجرد عن المؤثرات والهالات لم تتوافر اسبابه وعوامله بعد ، وليس من المقدر ان يتم ذلك عاجلا ، ولهذا فان الامكانيات السياسية المدهشة تلك التي تعبر عنها هذه الارقام لا يجوز ان يطمان الى صلاحيتها كثيرا ، لانها تعكس حالات انفعال طارىء وموقوت ، وليست في اية صورة من الصور ثمرة تركيز فكري عميق ، او اتجاه اساسي سليم . ولعل الرجات الاقتصادية التي يعاني منها النظام الحالي توجد من بين العوامل الرئيسية الموجبة لنشوء هذه الظاهرة الاتجاهية التي يعكسها الاستفتاء، ولهذا فانه سوف يكون من الميسور كثيرا للغلاة ان يستعيدوا زمام المبادرة في هذا المجال ، وذلك عن طريق مضاعفة المجهود السيكولوجي الذي يعتمدونه كثيرا في ضمان استمرار قدرتهم على «توجيه» التيارات الشعبية في فرنسا .

على ان هذه الاحصائيات بالرغم عن تفاهة المدلول السياسي الذي تعبر عنه ، فانها مع ذلك قد تسوغ كدليل على مدى ما يحدثه الوضع في الجزائر من ارتجاجات نفسية عميقةتقلب اوضاع الراي في فرنسا قلبا متعاقبا. والواقع ان هذه الارتجاجاتالسيكولوجية لها ما يبرر وجودها من الاسباب والعوامل ، فقد اخذت اخطر النذر والاحتمالات الرهيبة تلوح في افق الجو السياسي الفرنسي ، الامر الذي قد يقضي — في المحط الاخير — الى انقلاب الوضع بالبلاد وانتصاب نظام تحكمي صرف ياتي على التقاليد الدستورية والنيابية ويعفي على المؤسسات الجمهورية القائمة وليس هناك من سبيل للاعتقاد بان هذه الاحتمالات قد يجوز ان تكون مجردة عن الامكان والواقعية ، فقد اتخذت طريقها بالفعل الى البروز بشكل سافر وواضح ، وقد تعددت صورها وتنوعت ، الى القدر الذي باتت فيه تؤرق جفون الغيارى على مستقبل النظام الديموقراطي بفرنسا .

وقد عكست هذه المخاوف التي تستبد بالكثيرين صحيفة « طيمواتياج كريتيان » حيث اشارت في بعض طبعاتها الاخيرة الى « **انه ليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بان امتداد الحرب في الجزائر قد لا يفضي الا الى انزلاق البلاد نحو محاذير نظام يسوده الاستبداد وتتحكم فيه الرجعية ..** » كما تحدثت عنها «لافرانس كاتوليك» حينما اكدت اخيرا « **انه منذ ثالث عشر مايو 1958 والفرنسيون يعيشون في جو من التحكمية المطلقة ، فالمؤسسات الجمهورية لم تعد لها فعاليتها السابقة ، بل اننا — تؤكد الصحيفة — لم نعد نعرف كيف سيتم سير الجهاز الذي يضمن الاتصال الضروري بين الحاكمين والمحكومين ...** »

ولم يفت الصحافة الدولية ان تلاحظ نفس هذه الظواهر الفرنسية القائمة ، فقد اشارت الجريدة الالمانية المستقلة « دي ولت » الى ان فرنسا « **كانت تتوفر على حظ كبير حينما انقذها الجنرال دوكول من هاوية الانحلال والتدهور ، ولكنه على الرغم من ذلك فان المشكلة الجزائرية لا تزال بكل تعقداتها تجثم على الجمهورية الخامسة كما كان الشان بالنسبة للجمهورية الرابعة ، وطالما استمرت هذه الحرب القاسية فانها ستبقى تهديدا مباشرا لنظام الجنرال دوكول ..** »

وقد عبرت عما يقارب هذه الآراء الجريدة الاشتراكية الالمانية « فرانكفورتر راندشو » وكثير غيرها من وحدات الصحافة الدولية والعالمية .

وهكذا فان الوضع في الجزائر قد غدا ينطوي على كثير من الامكانيات الانفجارية المهولة ، وليس من ضرورة للقول بان هذه الامكانيات — اذا ما انطلقت من عقالها — فانها قد تفضي — كما رأيناه سابقا — الى احتمالات تبرر الظنون التي تساور حتى الرسميين في فرنسا .

ولعل هذه التخمينات الصحيحة كانت من بين ما اقتاد الجنرال دوكول الى الانفكاك قليلا من نطاق الغموض والابهام الذي كان يصطنعه ، والافصاح يسيرا عن حقيقة آرائه في « حل » المشكلة الجزائرية . ولم تكن نظرية الرئيس الفرنسي — من قبل — تتناءى كثيرا — كما ألمعنا اليه سابقا — عن النظريات التي يتبناها الغلاة ، ولم يكن بين النظريتين من عوامل التباعد الا ما يرتبط بنوعية الوسائل وطبيعة الاساليب ولهذا لم يكن عسيرا على الجنرال ان يعود فيعبر عن تبنيه بصورة علنية — لآراء الغلاة في الادماج والتآخي وغيرهما .

كان ذلك في الثاني من مايو الماضي عندما ادلى رئيس الجمهورية الفرنسية بحديث طويل له الى « ليكو دوران » وقد عالج الرئيس الفرنسي في حديثه كثيرا من النقط الهامة التي تتصل بمواضيع الساعة في القضية الجزائرية ، ولم يكن في الحديث من عناصر الجدة والمفاجأة شيء هام ، ولكن — مع ذلك — كان ينطوي على اعتراف هادف وغريب ، ولم يكن من شان ذلك الاعتراف الا ان يؤكد ما لحظناه سابقا من متانة العلاقة الموجودة بين نظريات الغلاة في الادماج وبين المناهج الدوكولية الحالية .

فقد اشار الجنرال في استجوابه مع الصحفي الفرنسي الى ان سياسته الجزائرية ليست — في جوهرها — الا تكريسا لنظرية الادماج وتجسيدا لمضامينها ، وقد قال في هذا الصدد : « **ماذا يراد بالمفهوم السياسي لكلمة الادماج ؟ هل يراد به ان « الجزائر فرنسية » وهل من الضروري ان نردد ذلك على السنتنا ؟ اليس ذلك موجودا بالفعل؟ ..** » (1)

وبهذه الطريقة البسيطة يجد الجنرال نفسه قد تناءى كثيرا عن مواقف المتاثرين بالغلاة والمكرسين لاراداتهم من المسؤولين الفرنسيين القدامى ، وعلى هذا فان « الكولية » تبدو الآن وهي اعمق تأثرا بالنظريات الالحاقية من « المولية » ولو في اكثر صورها غلوا ورجعية .

ويبدو من استقراء الوقائع ان الحديث الذي اذاعته « ليكو دوران » لم يكن في منشئه او في شكله ذا بواعث تلقائية واعتباطية ، بل انه بدا وكأنه حلقة اولى في سلسلة اخرى من التجارب السيكولوجية الجديدة التي تسهر على تنسيقها مصالح الغزو المعنوي في الجزائر ، ويعتمدها الجيش الفرنسي كثيرا في حربه مع الشعب الجزائري ، وآية ذلك ما تردد في الاسابيع الاخيرة من اصداء (مصدرها في الغالب مصالح الحرب السيكولوجية في الجزائر) من ان الكثير من اعضاء الحكومة الجزائرية المؤقتة قد يكونون اعربوا عن رغبتهم في تقبل سلام غير مشروط طبقا لعروض الجنرال دوكول !! وقد سجل بيان « رويتر » في هذا الصدد ما يلي :

« لقد كان القادة الجزائريون في القاهرة يرفضون كل احتمال لقبول عرض الجنرال دوكول ، وكانوا يصرون على ان كل حوار سياسي يتعين ان يتم اجراؤه في بلد محايد ، وذلك ما لم تكن الحكومة الفرنسية تتنازل لقبوله باية صورة من الصور ، اما الآن فيبدو ان اغلبية الوزراء الجزائريين يعتزمون القدوم الى باريس على الرغم من انه لا يتضح الآن هل هم مستعدون فقط لقصر التفاوض على مسألة وقف اطلاق النار ... »

الا ان الحكومة الجزائرية ما لبثت بعد ذلك ان اكدت للعالم تفاهة هذه المدعيات التي تندرج كسابقاتها ضمن اطار ستراتيجية الغزو السيكولوجي الفرنسي .

على ان هذه السلبية الجزائرية — المتجسدة في رفض اجراء « التفاوض » — لا تعني غموضا مذهبيا او تهوسا قوميا قد يخال انه يهيمن على عقلية الوطنيين . لقد كان من الممكن ان تتسرب مثل هذه الاتهامات الى الذهن لو ان القادة الجزائريين كانوا يناوئون مبدا التفاوض مع فرنسا على اساس

---

1) من حديث الجنرال دوكول الى جريدة « ليكو دوران » .

القاعدة السياسية والقومية للمشكلة ، ولكن الوقائع تؤكد عكس ذلك تماما ، فقد عاد الرئيس فرحات عباس فى 3 مايو المنصرم الى الاعراب مرة اخرى عن رغبة حكومته والشعب الجزائري فى ايجاد قاعدة صالحة لانهاء الصراع الحالي ، وقد عرض فى سبيل ذلك استعداده للاجتماع بدوكول او اي مندوب يعينه الرئيس الفرنسي على ان يتم ذلك فى ارض محايدة او شبه محايدة .

واذا ما استوعبنا مضامين التصريح الجزائري فى هذا الصدد فاننا نلفيه مجردا عن كل عناصر تطرفية او تهوسية ، فلم يحدد الرئيس الجزائري مقتضيات اخرى — لامكانية التآم المؤتمر — الا ان يتم ذلك فى بلد محايد ، وهذا شيء طبيعي ومعقول ، وتبدو معقوليته اكثر وضوحا اذا ما وضعنا فى الاعتبار تغاضي الرئيس عن اقتضاء تحديد جدول اعمال معين .

وعلى هذا فان الاجتماع المفترض لم يكن ينطوي — بالنسبة للفرنسيين — على اية عناصر ارغامية او قسرية كما كان عليه الامر بالقياس لمؤتمر جنيف فى قضية الهند الصيني ، بل انه كان — فى حالة ما لو تم انعقاده — اداة قد كان يمكن ان يتوسل بها فقط الى سبر اغوار الامكانيات التفاهمية بين الطرفين المتضادين، وليس من شان ذلك الا ان يضفي على قضية اختيار المكان اللائق للمؤتمر اهمية بالغة الخطر ، والامر هنا له ارتباط بجوانب سياسية لها اعتبار كبير ، ذلك ان اقدام الرئيس الجزائري على الانتقال الى باريس لاجراء محادثات غير مقيدة بجدول اعمال محدد لم يكن له — فى كثير من الجوانب — وعلى الاخص بالنسبة للراي العام الفرنسي — الا ان يعتبر استسلاما مجردا ، وعلى اعتبار ما قد يجوز ان يكون تمت من جدية فى الضمانات الشخصية التي قيل انها منحت للوفد الجزائري ، فان المؤتمر لم يكن من شانه ان يفضي — فى هذه الحالة — وخاصة اذا انتهى الى اخفاق — الا الى تعزيز المكاسب « النفوذية » التي كم يحرص الجنرال دوكول على توفير اجوائها واسماء اسبابها ، وبالتالي ، فان القضية الوطنية الجزائرية سوف لا تكون حينئذ قد احرزت على اي تقدم ايجابي ومعقول ، على ان الاوضاع فى الجزائر لم تكن على نحو يجبر الوطنيين الجزائريين على التهالك — بهذه الصورة — على مفاوضات من هذا الصنف .

ويتجلى ذلك كثيرا عندما نضع فى الاعتبار قصة الانتخابات البلدية التي تم اجراؤها بالجزائر فى غضون الاسابيع الاخيرة ، والتي تكشفت عن حقائق سياسية هامة جدا .

فقد امكن للمراقبين السياسيين ان يلاحظوا صحة التنبؤات المتشائمة التي كان يدلي بها الكثيرون حول نتائج هذه الانتخابات .

وقد كان من السيد « كورجو » رئيس لجنة المراقبة ان اعترف صراحة بجزئية نتائج هذه الاستشارة وانحصار مجالاتها فى مناطق من الجزائر دون اخرى ، وقد اشار — فى هذا الصدد — الى ان 260 مركزا انتخابيا لم يتم لها ان تشارك بالمرة ، وذلك بالنظر لانعدام الجو الملائم لذلك ، بينما توجد مراكز اخرى فى مناطق كالاصنام و «باطنة» و«عنابة» و«سطيف» لم تندرج ضمن القطاعات الانتخابية لانه لم يتوفر لها مرشحون لصحة اجراء ذلك .

والواقع ان سلبية موقف الغلاة من الترشيح والتصويت كان ذا اهمية بالغة ، ولكن مقاطعة الجماهير الجزائرية لها كانت القاعدة الاساسية التي نشأ عنها — كما يعترف به كثير من المراقبين — الاخفاق العام لهذه الانتخابات .

وقد تم بالفعل بذل اشق المجهودات لابرازها فى اطار معين ومحدد ، وقد حصل اللجوء فى سبيل ذلك احيانا الى الاساليب القسرية المباشرة كما امكن لكثير من المراقبين ان يلحظوه .

اما الاسباب الموجبة لكل ذلك فيبدو انها تتركز فى النقط الآتية :

1) منح الانتخابات مضمونا سياسيا معينا .

2) استثمار ذلك المضمون لتحقيق هدفين اساسيين :

ا — على الصعيد الداخلي : تعزيز اساليب الحرب السيكولوجية .

ب — فى الميدان الخارجي : تزويد الملف الفرنسي بمستندات ضرورية واساسية .

وعلى ضوء هذه التقديرات يمكننا ان نقدر مدى المفهوم السياسي العميق الذي كان من شانه ان ينشا عن سلبية نتائج هذه الانتخابات ، وقد لمحت الى هذه الحقيقة — فى شكل من اشكال المنطق التوسعي —

جريدة « ليكو دوران » وذلك حينما اكدت ان « مقاطعة الاستفتاء لم تكن نتيجة لاحتذاء اسلوب انتخابي معين ، بل كانت وليدة عوامل اخرى اكثر اهمية واعمق خطورة ، ومن بين ذلك : الهوة السحيقة التي غدت تفصل بين الجماهير الاسلامية وبين الساسة المنحدرين من اصل اوربي ... »

*

على ان هذه المبادرات السياسية التي تتمثل في الانتخابات وغيرها لم يكن من شانها ان تغير من طبيعة الاوضاع الناشزة التي تجثم على الجزائر والحقائق المريرة المنبثقة عنها ، تلك التي تصيب الكيان الاقتصادي الفرنسي في الصميم ، ولكن الوعي الصحيح لهذه الحقائق لا يزال يجتاح الكثير من الاوساط والمقامات في فرنسا . وقد تجلت بعض مظاهر ذلك مجددا في المناقشة السياسية التي نظمها اعضاء لجنة الدفاع عن الحريات والسلام في اواخر ابريل وعالجوا فيها موضوعا اساسيا وحيويا : « كيف يمكن توقيف الحرب في الجزائر » . وقد عبر الاستاذ (جان برك) من «كوليج دوفرانس» عن راي كثير من ممثلي الفكر الفرنسي المتحرر، وذلك حينما نوه في خطابه اثناء النقاش **«بالقوة القانونية التي يتوفر عليها الكيان الجزائري** ، وقد قال في معرض ذلك ولكن في شيء من الغموض : **«اذا كان للشعب الجزائري ان يرتضي الابقاء على « روابط » معينة بفرنسا ، فسوف لا يتم ذلك الا اذا كان يرغب فيه ، ولكي يستطيع التعبير عن هذه الرغبة فانه يتحتم ان يعترف له قبل ذلك بالكيان المتميز »** .

وكان الاستاذ « بيير ستيب » من اعضاء الاجتماع اكثر صراحة وواقعية ، وذلك حينما اكد قائلا : **«اننا نؤثر سلما يتم مع (خصومنا) السياسيين على ان نواصل حربا يؤرث نيرانها اصناف من لاكوسط ومولي .. »**

ومن جانب آخر فقد طالب بيان اذاعه اتحاد القوات الديموقراطية — في اواسط الشهر المنصرم — طالب بالاعتراف للشعب الجزائري بالحق الطبيعي في تقرير المصير وبالتفاوض المباشر مع الوطنيين الجزائريين ، لاجل ايقاف النار ، وايجاد تسوية سياسية عامة لمجموع المشكلة الجزائرية ، وقد اشار الاتحاد في مقدمة البيان الى ان **«الامال التي علقت على الجنرال دوكول قد غاضت الآن ، فقد وضح اخيرا ان سياسته تستمد مصادرها من آراء العسكريين ورجال الاعمال ، ولهذا فهي لا تعدو ان تكون سياسة الاعتمادات المالية والاصلاحات الممنوحة والانتخابات الموجهة تلك التي لا تفسح مطلقا للشعب الجزائري مجال التعبير الحر عن ارادته الحقيقية ، وعلى هذا الاساس فانه لا ينتظر ان ينبثق عنها اي نظام قار ومشروع ... »**

*

وفيما تتطور انعكاسات القضية الجزائرية بهذا الشكل على الصعيد الشعبي الفرنسي ، تاخذ الحكومة الفرنسية في مضاعفة المجهود من اجل تحديد النطاق الدولي حول الحكومة الجزائرية ونسف القاعدة العربية التي ترتكز عليها ، وقد اخذت ترتسم في الافق الديبلوماسي الفرنسي ملامح اتجاهات غريبة ترددت اصداء كثيرة لها في اواسط الشهر الماضي ، وقد وضح اخيرا ان الامركان يتصل بعزل الحكومة الجزائرية عن الجمهورية العربية المتحدة بواسطة الاساليب الاغرائية الاستهوائية وقد خالت الديبلوماسية الفرنسية ان كل ذلك ممكن انجازه عن طريق الاتصال بالسيد ثروت عكاشة احد المسؤولين العرب البارزين واغداق الوعود الاقتصادية عليه اغداقا .

وليس هناك من ضرورة للتعليق على هذه الاصداء الديبلوماسية الغريبة ، الا ان الذي يعني اكثر من ذلك هو ملاحظة الالوان من النجاح الذي تحرزه حكومة الرئيس فرحات في المجال العربي وعلى الصعيد الدولي العام . وفي هذا المقام فان الرئيس الجزائري لا يزال يواصل سلسلة التنقلات التي يقوم بها في مختلف البلاد العربية والاقطار الصديقة ، وذلك ضمن اطار مسؤولياته كرئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

هذا وقد اخذت الاصداء تتردد حول اعتزام الرئيس الجزائري القيام برحلة خاصة الى يوغوسلافيا. ومن شان هذا — اذا تم وقوعه — ان يساعد الحكومة الجزائرية على افتتاح آفاق قطاع جديد من قطاعات نشاطها السياسي الدولي . وليس ضروريا ان يتوقف نجاح مثل هذه الزيارات على تحقيق نتائج ديبلوماسية مسرحية كالاعتراف مثلا ، ذلك ان القضية الجزائرية ليست — في جوهرها — قضية سياسية فحسب بل هي الى جانب ذلك قضية انسانية ومثالية ، ولهذا فان هناك كثيرا من الامكانيات لتوجيه مثل هذه

الزيارات توجيها يتلاءم مع استغلال هذه الناحية الهامة ، وعلى هذا الاساس فانه سيكون في وسع الرئيس الجزائري ان يستثمر فرصة وجوده المفترض في يوغسلافيا ليظهر شعوب شمال المتوسط الشرقي على حقيقة المشكلة والعناصر الدراماتيكية التي تكتنفها والسوابق الخطيرة التي تنبثق عن استمرارها بالاضافة الى الامكانيات الانفجارية المهولة التي تنطوي عليها . ان هناك الكثير من المجالات العالمية التي يمكن ارتيادها على هذه القاعدة ؛ ولا اخال الا ان رحلة الرئيس لجنوب شرقي آسيا كانت اساسا لعمل من هذا النوع ، وذلك ما حدا بي الى اعتبارها — في حديثي السابق — نصرا هاما للحكومة الجزائرية على الاخص ولقضية الجزائر على العموم .

الوضع العسكري :

اعلن السيد رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة في احد احاديثه الصحفية الاخيرة : ان الصراع في الجزائر يجوز ان يمتد الى 20 سنة اخرى وان الشعب الجزائري يتوفر على الاستعداد المادي والنفسي لمواجهة هذا الاحتمال العسكري الضخم .

ومن الجلي ان هذا التصريح يكتسي في كثير من دوافعه صبغة سياسية وديبلوماسية واضحة ، وعلى هذا فيجوز ان يقدر على اساس اعتباره ردا حاسما وحازما على المبادرات الاستهوائية الفرنسية تلك التي تستهدف اغراء القادة الجزائريين واستدراجهم الى مضمار التسليم غير المقيد ، ولكنه — في نفس الوقت — ينطوي على كثير من الاحتمالات الجديدة التي ترتبط وثيق الارتباط بالميدان العسكري الصرف .

وقد عنيت الصحافة السياسية الامريكية بابراز بعض هذه الاحتمالات فاشارت الى ما يمكن ان يكون قد تم هناك من اتفاقات مبدئية بين حكومتي الجزائر والصين حول تزويد القوات الوطنية الجزائرية بأحدث فصائل الاسلحة والمعدات الحربية الحديثة . وقد اعلنت « نيوزويك » في هذا الصدد عن امكانية وقوع المصادقة المبدئية بين حكومة الجزائر وبكين حول صفقة هامة من الاسلحة ترقي قيمتها المالية الى 25 مليون دولار وتضم كثيرا من معدات الميدان واسلحة د. ك. ا. وغير ذلك من التجهيزات الحربية الضخمة.

هذا في الوقت الذي يتأزم فيه الوضع العسكري في الجزائر تأزما بالغا طبقا لما تعكسه البلاغات الحربية المنبعثة عن الجانبين المتقاتلين .

وقد عبر عن هذه الحقائق الجنرال «فور» قائد العمليات بالقبائل وذلك حينما اعرب عن شعوره بعدم كفاية القوات الفرنسية المرابطة في المنطقة المواجهة للمتطلبات العسكرية التي يقتضيها الوضع الحالي . كما اعربت عنها جريدة «نيويورك تايمس» الامريكية عندما نوهت بتزايد النشاط الحربي لقوات جيش التحرير واستقرار الاوضاع المتازمة بالبلاد استقرارا مقلقا .

وهذه الحراجة في الوضع بمجموع التراب الجزائري كانت من بين الحوافز التي حدت بالقيادة الفرنسية الى مضاعفة الاعتماد على الواجهة السيكولوجية اكثر من اي وقت مضى ، وقد بدا ذلك في تركزهم العسكريين الفرنسيين على استنزاف اكبر قسط من التاثير المعنوي على العمليات التي قادها الجنرال كامبيز في وهران ، وقد كانت هذه العمليات موضوع كثير من الصخب المصطنع الذي استثارته السلطات العسكرية الفرنسية واختلقت له اسباب الذيوع والنفاق في فرنسا والجزائر على السواء.

ويبدو من دراسة اساليب الغزو السيكولوجي الفرنسي ، ان تلك الهالة التي احيطت بها عمليات وهران كانت تستهدف في المحط الاول الغايات السيكولوجية ذات التاثير المزدوج : تطمين المدنيين الفرنسيين ونسف معنوية السكان الجزائريين بالاضافة الى الانعكاسات الدولية الهامة .

ولكن تطورات الوضع العسكري في مختلف المناطق لم يكن من شانه الا ان يسهم في التقليص من قيمة هذه التقديرات العسكرية التي كانت تفترض كنتائج حتمية لعمليات مقاطعة وهران .

وقد اشار الرئيس فرحات في معرض حديثه عن هذه العمليات الى ان **«الثورات الشعبية العامة لا تتأثر مطلقا بالاساليب العسكرية او غيرها»** .

والواقع ان العسكريين الفرنسيين قد اصبحوا كلفين اكثر من اي وقت مضى بابراز القيمة العملية للتقنية الستراتيجية التي يعتمدونها في ميدان العمليات . وقد اخذ يبدو انهم يتخذون ذلك ذريعة لاقناع الملا بان الثورة الجزائرية هي على عتبة نهايتها المحزنة .

الا انه لم يبرز في مجال النشاط العسكري العام ما يمكن ان يؤيد معقولية هذه التقييمات الجزافية التي يعزون اليها الوانا من الفعالية الخارقة ،

فاساليب « التطويق الدائري » لم تسفر بعد في عمليات وهران عن نتائج مسرحية ـ كما هو المفروض ـ كما ان الاعتماد كثيرا على « فرق المطاردة » لم يقلص من اهمية التخطيطات الحربية التي يعتمدها جيش التحرير ، والتي ترتكز على اساس الوحدات الصغيرة المتنقلة .

والواقع ان غالبية هذه الاساليب العسكرية ـ التي غدت تتركز بواسطتها العمليات الفرنسية في « القبائل » على الاخص ـ تؤول في استعمالها الى حقبة طويلة نسبيا ، ومع ذلك فان الكلف بالاعتماد عليها لم يسهم بصورة جدية في تعديل وجه الحرب بالجزائر تعديلا جوهريا وحاسما ، وهذا ما يتناقض ـ في صميمه ـ مع البيانات الفرنسية المتفائلة كامل التناقض .

اما منشا هذا التناقض فيؤول ـ على ما يبدو ـ الى اساسين اثنين :

1) تقييم النتائج العسكرية تقييما انفراديا بالنسبة الى كل معركة على حدة والاغضاء عن اعتبار ذلك بالقياس الى الوضع العسكري العام .

2) سيطرة الاهداف ذات الصبغة الدعائية السيكولوجية على كثير من البلاغات والبيانات الحربية الفرنسية .

ومن البينات على ذلك قصة « الربع ساعة الاخير » وقد غدا يبدو انها اخذت تفقد فعاليتها التاثيرية ، ولذا فقد ضعف الاهتمام باستعمالها كثيرا في الآونة الاخيرة .

هذا وقد اخذت ترتسم في الافق العسكري الفرنسي من جديد ملامح حركات تراجعية داخل فرق اللفيف الاجنبي ، تلك التي تشكل اطارا عسكريا ضخما ضمن الجهاز الحربي الفرنسي ، وقد اشارت بعض اليوميات الفرنسية ـ في هذا المقام ـ الى امكانية انفصال ثمانية وثلاثين من اللفيفيين عن القوات الفرنسية ومبارحتهم الجزائر تحت اشراف السلطات الوطنية في الجزائر .

هذا بالاضافة الى ما اخذ يلوح من تزايد في الخلافات بين القيادة الفرنسية بالجزائر والمسؤولين في باريس حول التدابير الضرورية لمواجهة اعباء العمليات في مختلف المناطق .

ومن جانب آخر فقد تمكن جيش التحرير من تسجيل انتصارات ستراتيجية هامة ، وذلك عندما تاكد اخيرا ما تم له من نجاح في تدمير كثير من الاجزاء في خط موريس المكهرب .

ولهذا فقد رات القيادة الفرنسية نفسها مجبرة على الشروع في اعادة بنائه من جديد ، ومن شأن ذلك ان يقسر الاستراتيجيين الفرنسيين على اعادة النظر في التخطيطات العامة التي يعتمدونها في حربهم بالجزائر .

واذا ما وضعنا في الاعتبار ـ الى جانب كل ذلك ـ ما بدا يتاكد من تدريب الشبان الجزائريين على الطيران في يوغوسلافيا ادركنا مغزى التاكيدات التي رددها وزير الانباء الجزائري والتي جاء فيها : **« ان جيش التحرير يحتفظ بمفاجآت مذهلة للجنرال دوكول » .**

آراء اجنبية :

جاك بيرك : مع من يتعين علينا ان نتفاوض ؟ مع الخصم بالطبع ! ولا يعني ذلك اننا نعتبره الممثل الرئيسي والوحيد ، ان الشعب الجزائري بكامله هو الذي له ان يحدد مستقبله بنفسه ، ولكن القوة التمثيلية لجبهة التحرير او الحكومة الجزائرية او كيفما دعوناها تعتبر كافية لانهاء الصراع ، وعلى هذا فانه سيكون حتما علينا ان نجري المفاوضات معها .

ومثل هذه المفاوضات ـ بالرغم عن انها لا تستطيع ان تحدد بالضبط سير التاريخ فانها ـ مع ذلك ـ يمكن ان تكون سبيلا لايجاد قواعد معينة وتحديد شروط مخصوصة ، وقد برهنت خمس سنوات من الصراع العقيم انه ليس من الجائز تدمير ارادة التحرر عند الاكثرية الاسلامية كما انه ليس من الممكن اقصاء الاقلية الاوربية .

ان التوفيق بين هذين المتناقضين يبدو صعبا ومعقدا ، ولا يمكن انجازه نهائيا الا بتاثير الزمن اي بالادماج التدريبي للجزائر ، ولكن لا في غيرها من الاقطار بل في ذاتيتها هي (1) وفي وسعنا ان نفسح المجال لمثل هذا التطور عن طريق المفاوضات .

1) أي ادماج الاقلية الاوربية والاكثرية الاسلامية في بعضهما البعض .

وعلينا ان نتصور المفاوضات وسيلة تؤدي الى الاهداف التاليـة :

1) تعيين مبادىء عامة وما يجب لها من ضمانات 2) وقف اطلاق النار ـ 3) تحديد برتوكول لتنظيم انتقالية تتم فيها تهدئـة الخواطر المهتاجـة ـ 4) انتخاب مجلس تأسيسـي جزائري وقيـام الجانب الفرنسي ـ من جهته ـ باتخاذ قانون اساسي نهائي بعد ان يعرضه على الاستشارة الشعبية .

اننا نفترض انه سيجدي فرنسا كثيرا وجود الجزائر مرتبطة بمغرب كبير مشارك لنـا ، فذلك بالطبع اكثر فائدة لها من اجبار الجزائر على تقبل نظام ناشز بالنسبة لجارتيها : المغرب وتونس .

*

تلك هي الخطوط الكبرى لهذا المشروع الذي يمكن تلخيصه فيما يلي :

1) قبول وجود امة جزائرية لها حرية التشارك مع فرنسا .

2) فتح مفاوضات لمعالجة عدد محدود من المبادىء والضمانات .

3) ادماج القضية الجزائرية في قضية مغرب متحد الاجزاء ومتضامن معنا .

وهكذا سيكون في وسعنا ان نعيد اقرار مصالحنا ونضمن استمرار اشعاعنا على شعوب الضفة الجنوبية للمتوسط وبالتالي على جميع الشعوب التي تنطلق من نطاق التبعية او تهفو الى ذلك .

ونحن نقدر اننا سنبقى بهذا اوفياء لتقاليدنا الوطنيـة .

اما هؤلاء الذين يجتهدون في المد من امد الحرب بالجزائر فاننا نشجب اعمالهم لا باعتبارهم محافظين رجعيين ، بل بالنظر اليهم كمدمرين لتاريخ فرنسا» .

جاك ميرسيبي : « تسيطر المشكلة الجزائرية على جميع نواحي الحياة السياسية في فرنسا وهذه المشكلة ليست ـ في الواقع ـ الا سرطانا ينخرنا ويدمرنا ويجعلنا عاجزين عن مساعدة دول الجامعة الناشئة بالنصح او بالعون .

فطالما لم يتم الوصول الى حل مرض للمعضلة الجزائرية فان هذه المعضلة ستبقى هما جاثما على صدور الفرنسيين وموضوعا لتساؤلاتهم ، فالجزائر هي في صميم جميع مشاكلنا فما لم يوجد لها حل فانه سيكون من التافه جدا ان نامل لبلادنا عظمة او سؤددا ، يتناسبان مع مطامحنا الكبرى ، انه ليس من المعقول ان نستمر دائما في تدليل اوربيي الجزائر ، هؤلاء الذين يستبد بهم التعصب ولا يسمح لهم باعتبار اي حل من اي نوع ، هؤلاء الغلاة الذين عرضت عليهم الحلول المختلفة واحدا وراء الآخر ، فلم يرضهم اي منها ، لانهم واقعون دائما تحت تاثير مصالحهم الذاتية ، ولانهم لم يتمكنوا بعد من ان يدركوا ان ثمت شعبا يتطور وينمو ، وان الجزائريين ليسوا اطفالا جانحين او عاقين .

ان اليوم الذي يتوقف فيه الرشاش عن الاطلاق في الاوراس ، ويجتمع الاخوة المتقاتلون للتناقش والتداول ، حينذاك فقط سيمكن لفرنسا ان تحقق خطواتها الضخمة في السبيل الذي سيبيح لها استعادة عظمتها الحقيقيـة » .

بمناسبة الذكرى الاولى لمؤتمر طنجة :

وحدة المغرب العربي هل هي امام امتحان ؟

للأستاذ أحمد مراد

اذا كانت سنة الكون، وطبيعة العمران، تستلزمان وجود هذا الكوكب الارضي لتحيا على ظهره الجماعات البشرية ، فان من الضروري لكل جماعة ، او على الاصح لكل امة من ابناء البشر ، ان يكون لها في هذا الكوكب حيز معين تشغله ، وتعيش داخل حدوده ، وتتولى تعميره بما يتطلبه منها ناموس الحياة في هذا الوجود . اذ في نطاق هذا الحيز تستطيع ان تستكمل نموها الحسي والمعنوي ، وتبرز ميزاتها المتشابهة ، وخصائصها المتقاربة . وبذلك ينطبق عليها المعنى الصحيح لكلمة الامة، ويتأكد لها وجودها الحقيقي بين امم الارض . ويصبح لها حق الاختيار المطلق في اتباع نظام الحياة الذي يتلاءم مع طبيعتها ، واعتناق المذهب الذي يوافق مزاجها ، ويتفق مع واقعها . ولا يكون فيه اي ضرر او خطر على غيرها .

واذا كان هذا التحديد لمعنى الامة ينطبق في عمومه وخصوصه على الامم العربية والاسلامية ، فهو في نظري ينطبق بصفة خاصة ، وبصورة واضحة على امتنا في شمال افريقيا . اذ قد توفرت لها منذ اقدم العصور كل العناصر المادية والادبية والبشرية ، التي

تجعل منها كتلة متراصة البنيان ، وامة واحدة كاملة المقومات ، تقوم شخصيتها ، وينهض بنيان كيانها على دعائم راسخة ، لا يتطرق اليها الوهن ، ولا يحوم حولها الضعف . فهي قد احتلت رقعة ارض في هذا العالم ، تشكل وحدة جغرافية واقليمية لا تنفصم عراها . وامتدت من تخوم القطر المصري شرقا ، الى شاطىء المحيط الاطلسي غربا . واحتضنتها الصحراء من الجنوب ، وعانقتها امواج البحر الابيض المتوسط من الشمال . وتعد سلسلة جبال الاطلس التي تخترقها من الغرب الى الشرق بمثابة العمود الفقري لوحدتها الترابية . فلا يوجد بين اجزائها ما يشبه أن يكون فاصلا طبيعيا ، مثل ما يوجد بين اقاليم وشعوب اخرى . وزاد وحدتها احكاما هذا الموقع الحيوي الحساس ، على ضفة الابيض المتوسط ، الذي جاء وسطا بين الشرق والغرب . فاخذ ابناء هذه الامة من حضارة الاول روحانيته السامية ومثله العليا ، ومبادئه الانسانية ، ومن مدنية الثاني اساليب الجد والنشاط في الاخذ باسباب الحياة العملية . وطبعوا الكل بطابعهم الخاص ، الذي نتج عنه وجود حضارة مغربية ذات ميزة خاصة .

هذه الوحدة الطبيعية ، قد دعمتها واحكمت اواصرها وحدة عنصرية وجنسية امتدت جذورها في اعماق التاريخ مع عشرات القرون ، حيث كان هذا الوطن مستقرا ومقاما لابناء الامازيغ يعيشون في ظله في وحدة متماسكة ، امكنها ان تصارع المحتلين وان تقف في وجه المغيرين الاجانب ، الذين تعاقبوا على ارضهم . اذ استطاع البربر – بفضل وحدتهم – ان يحافظوا على خصائصهم وعاداتهم وتقاليدهم الموروثة . وان يصونوا شخصيتهم من الذوبان والانحلال في شخصية الغزاة الوافدين .

«وهكذا ظل هذا الشمال الافريقي قديما بين المد والجزر في علاقاته مع الاجانب الذين غزوا هذه البلاد من الفينيقيين الى البزنطيين الذين انتهى عهدهم ، وانهارت دولتهم الافريقية المتداعية على يد الفاتحين العرب . ولكن هؤلاء الفاتحين الجدد لم يجدوا امامهم من عنف المقاومة وشدتها نظير ما وجد الغزاة الاولون من الوطنيين البربر الذين تميزوا دوما بشدة الباس والنزوع الى الحرية ، والتشبث باهداب الاخلاق المثلى، كالاباء والانفة والشمم . لان هؤلاء سرعان ما ادركوا ان هذا الفاتح الجديد – اعني العرب – يختلف تمام الاختلاف عن جميع من تعاقبوا على بلادهم من الفاتحين لانه لم يكن من غرضه الاستغلال المادي الجشع ، والاستحواذ على كل ما تصل اليه يده من خيرات الوطن وثرواته. وانما هدفه الوحيد هو نشر الهداية الاسلامية بين البشر ، ورفع علم الاخوة والعدالة والمساواة . والدعوة الى الوئام والاخاء والتسامح ، والتعاون الحر من اجل بناء مجتمع قوي صالح ، تتوافر فيه اسباب الخير والسعادة والحرية .

ولقد كانت هذه المبادىء الاسلامية الخالدة في مقدمة العوامل التي مكنت للفتح العربي بشمال افريقيا، وجعلت اهل البلاد يسارعون الى الانضواء تحت لوائه في اقصر مدة . فاتخذوا من الاسلام دينا ، ومن العربية لغة . وانسجموا مع اخوانهم الوافدين عليهم في وحدة دينية وقومية وسياسية متينة .. ظلت قائمة تغالب الاحداث ، حتى انتهت الينا في وضعها الحالي .

هذه هي الحقيقة الناصعة التي سجلها التاريخ العادل بين صفحاته ، واعترف بها المؤرخون المنصفون للفتح العربي في شمال افريقيا ، بالرغم من ان بعض المؤرخين الاستعماريين المدلسين لم يتورعوا أن يحاولوا مسخ هذه الحقيقة التاريخية ، وتشويه صورتها الجلية ، بغية بذر بذور التفرقة والخلاف بين الاخوة الذين وحدت بين قلوبهم كلمة الله ، تحت لواء الاسلام والعروبة .

ومنذ ذلك الالتقاء التاريخي بين العنصرين ، اللذين يذهب بعض المؤرخين الى انهما يرجعان الى عنصر واحد هو العنصر العربي ، وهو سر الامتزاج والتوافق الذي تم بينهما بسرعة فائقة . منذ ذلك اليوم تكونت هذه الامة العربية الجديدة كثمرة لذلك الالتقاء في هذه النقطة الحساسة من العالم ، فاسست عديدا من الدول العربية الاسلامية ، فرضت نفسها على التاريخ خلال قرون متطاولة ، وحقب مديدة وكانت مصدر الانبثاق حضارة عربية اسلامية ، انتشر نورها ، وسرى اشعاعها في ارجاء القارة الاروبية عن طريق الاندلس . هذه القارة التي ظلت تعيش في ظلام دامس من الجهالة والانحطاط ، حتى بزغت في افقها شمس تلك الحضارة ، فاضاءت امامها الطريق ، واتخذت منها اساسا لمدنيتها الحالية .

ان هذه النظرة العابرة التي القيتها حول الماضي البعيد والقريب لهذه الامة ، ترينا ان وحدة المغرب العربي هي حقيقة واقعة فعلا ، منذ عصور طويلة . وليس ما نسعى اليه اليوم ، وما نعمل بسبيله الا تدعيما لكيان تلك الوحدة وترميما لبنيانها ، الذي دابت معاول الاستعمار الاجنبي على دك قواعده ، وتحطيم جداره على مر الايام . لان الاستعمار قد عمل منذ اللحظة الاولى التي احتل فيها بلادنا على تمزيق شملها ، وتفريق كلمتها ، وتبديد قواها . بما اوجد بين اجزائها من الحواجز المصطنعة ، والحدود الموهومة حتى كاد يسود الاعتقاد بشرعيتها ، والتسليم بانها امر واقع ، لا مجال للتفكير في القضاء عليها ، وازالتها من عالم المحسوس ، كما ازيلت من عالم المعنى في اعتقاد شعوبنا المؤمنة بحقيقة هذه الوحدة ، الوفية لماضيها التاريخي في هذه الارض . والتي تود ان تراها تتمثل في العمل الايجابي لصيانة المصالح المشتركة لشعبنا في المغرب العربي . وكما هي رغبة قادتنا وآمالهم التي اعربوا عنها في غير ما مناسبة ، وعبروا بوضوح عن عزمهم وتصميمهم على ابرازها من حيز الامل الى حيز العمل .

فهل يمكن ان يبقى لدينا اي مبرر لعدم وضع وحدتنا موضع التطبيق الفعلي ، في بعض المجالات الممكنة ، ما دامت حرب الجزائر تحول دون تطبيقها في جميع الميادين .. ؟

ان هذا هو ما يطمح اليه ابناء المغرب العربي ، وما يتشوقون الى المبادرة بتحقيقه ، ارضاء لعاطفة اخوية وقومية كامنة في صدورهم ، وتلبية لرغبة ملحة، تفرضها الاوضاع السياسية والمطالب الوطنية في هذا العصر . الذي يزداد فيه الاهتمام ببناء التكتلات الاقليمية والسياسية ، بين بعض الدول والشعوب ، التي قد لا يكون هناك من داع لتكتلها غير حب الهيمنة والتوسع ، نظرا لافتقاد المقومات الاساسية ، التي تقوم عليها الوحدة الطبيعية السليمة بينها. وانما هي الاطماع السياسية والاقتصادية وبعض الدول الكبرى في فرض استعمارها (بشكل جديد) على بعض الامم والشعوب الصغيرة . كما تريد فرنسا ان تصنعه مع بعض شعوب افريقيا .

في الوقت الذي تقف فيه هذه الدول ــ بمؤازرتها لفرنسا في حرب الجزائر ــ حجر عثرة في طريق انجاز وحدة المغرب العربي . تلك الوحدة الطبيعية التي وضع صرحها على دعائم راسخة ــ كما اشرنا ــ من الدين واللغة والتاريخ والجغرافية . وترتبط اجزاؤها برباط وثيق من المثل والاخلاق والعواطف المتجاوبة ، وكلها عوامل منطقية سليمة ، ذات اثر وفاعلية بالغة ، استطاعت معها ان تقف صامدة في وجه القوة الباغية وان تحبط جميع الخطط التي اختطها الاستعمار لتحطيمها وجعل ذراتها تغدو هباء منثورا في مهب الرياح . ولكنه باء في مسعاه بالفشل ، وحاق به البوار والخسار .

ومن الادلة البينة على عمق وحدتنا وصلابة عودها ، ورسوخ اقدامها ــ ان كان ذلك يحتاج الى دليل ــ هذا التجاوب المتبادل ، وهذا التفاعل العميق بين الحركات القومية التحريرية في اقطار المغرب العربي . فقد وحدت بينهما الآلام قبل الآمال ، واتحدت في كفاحها وسيرها نحو بلوغ اهدافها . وساندت بعضها بعضا في السراء والضراء ، وبدت في جميع ظروفها النضالية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . الى ان اعترف الاستعمار باستقلال جناحي المغرب العربي ، واحنى راسه امام بطولة ابنائهما المكافحين . وما انفك الابطال الذين يخوضون معركة القلب يواصلون كفاحهم بعزم وايمان ، الى ان يحظى مغربنا العربي بكامل سيادته ، وتتحرر جميع اجزائه .

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ، الاشارة الى حقيقة ماثلة للعيان ، ولو ان اعداءنا يحاولون اخفاءها او تلوينها بالوان خداعة . وهي ان هذه الحرب التي شنها الغرب وما زال يشنها على شعوب العالم العربي والاسلامي ، ما هي في حقيقتها وجوهر امرها الا حلقة من سلسلة الحروب الصليبية ، التي ما برح يغذيها الحقد العنصري الاستعماري الاوربي ، ضد الامة العربية والاسلامية . ولكنها تبدو للراي في اشكال متنوعة ، ومظاهر مختلفة ، فهي تأخذ صبغة الحرب الباردة المتجنية ، كما يجري في ربوع الشرق العربي . وطورا آخر تتكشف في طبيعتها الوحشية الفتاكة بصفة سافرة ، نظير ما يمثل على مسرح الجزائر باسم فرنسا ، احدى دعائم الحلف الاطلسي الغربي، الذي يأبى ان يدعناوشأننا نبني وحدتنا في ظلال السلم ، ولا يريد منا الا ان نحقق هذه الوحدة ، ونشيد صرحها على اكوام من جثث الضحايا والشهداء . لكن ــ اذن ما اراد الغرب ، بل ليكن ما قال شاعرنا العربي :

ولا يبني الممالك كالضحايا
ولا يعلي البلاد ولا يحق

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

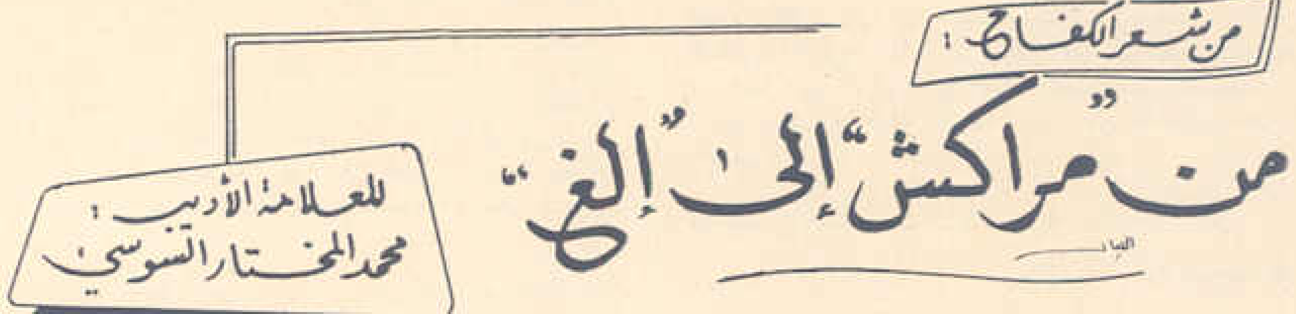
ومن هنا يجب ان نصارح انفسنا ، بانه على الرغم من هذا الرباط القوي ، الذي يشدنا الى بعضنا وبالرغم من توافر العناصر التي تغذي وحدتنا ، وبالرغم من التفاؤل الذي ما برحنا نرضي به عواطفنا . بالرغم عن كل هذا فان وحدة المغرب العربي ما تزال تجتاز امتحانا عسيرا وشاقا ، في ارض الجزائر المجاهدة . وليس امتحانها هذا الا امتحانا للامة العربية جمعاء .

فهل يقدر لها ان تجتاز هذا الامتحان الشاق العسير بسلام ؟

ذلك ما يؤمن به ابناء المغرب العربي وابناء العروبة قاطبة . وذلك ما اجاب به مؤتمر طنجة التاريخي منذ سنة . فيما اتخذه واذاعه على العالم من مقررات . ولكن النجاح في الامتحان ، والفوز بالنتيجة المرضية ، التي نطمح اليها معشر العرب ، ما يزال رهينا بالكفاح الصامد المشترك ، والنضال الفعال الموحد ، والجهاد الشاق العسير ، الذي نبذل فيه الانفس والنفائس بسخاء وكرم .

فبذلك نستطيع ــ بعون الله ــ ان نخرج بوحدتنا من المعركة التي نخوضها ضد العدو المشترك ، ظافرة منتصرة ، تتحدى الطغيان ، وتغالب احداث الزمان . وما جمعته يد الله لا تستطيع ان تفرقه يد الشيطان .





حط الشاعر رحله ـ بعد ما انهى دراسته ـ بالمدينة الجميلة الحمراء « مراكش » وتفرغ للتدريس بها وبث المعرفة من جهة ، وخدمة القضية الوطنية من جهة اخرى ، بنشاط ازعج ادارة الحماية الفرنسية ، وازعج معها صنيعتها الاقطاعي الكبير ، باشا مراكش السابق « التهامي الجلاوي » .

وبعد احداث كثيرة ومضايقات متعددة لم تجد نفعا في الحد من نشاط العالم الشاعر ، تقرر التخلص منه بنفيه من مدينة (مراكش) الى مسقط راسه « الغ » .

ونفذ هذا القرار فعلا ، فحمل الشاعر في سيارة عتيقة بالية من مراكش بعد شروق يوم الخميس 28 ذي الحجة عام 1355 هـ (11 مارس 1937) .

وبالرغم من كون الشاعر نفي الى مسقط راسه ، فقد صعب عليه جدا ان يبعد عن مراكش وعن تلامذته بها واصدقائه وصفوته ومعارفه ، ووجد نفسه غريبا حقا بالرغم من وجوده في مسقط راسه .

واثناء مدة النفي نظم الشاعر قصائد كثيرة ، من بينها هذه القصيدة الطويلة جدا ، والتي عرفت من بعد بين تلامذته ومريديه باسم (القصيدة البرميلية) وذلك لان الشاعر تفنن فيها في وصف السيارة التي حملته الى منفاه مشبها لها ببرميل .

وقد قضى الشاعر في منفاه هذا تسع سنين اذ انه لم يعد منه الا في شهر شوال 1364 هـ (شتنبر 1944) ونظم في هذه المدة عدة قصائد ضمنها كتابا خاصا في عدة مجلدات لم يطبع بعد ، سماه « الالغيات » **(دعوة الحق)**

ارايت الايام كيف تدول ؟ والليالي بالسهد كيف تطول
ويد الدهر كيف تلعب بالحـ ـر ، طلوع طورا ، وطورا نزول

بينما المرء في شروق صباحا … اذ به في المساء عاد الافول
فكان الفتى على منجنون … جائل لم يزل عليه بجول (1)
ينتحي بالاحداث ارسخ ما كـ … ـان فتجتث من ثراه الاصول (2)
تترامى به كريش على الجـ … ـو متى صادمت جنوبا شمول
كم يود القرار ، كيف ؟ وانى … مستقر والنكب بعد تصول ؟ (3)
يقطع البيد بين قطر وقطر … منه نضو بالكارثات ذلول
لا حزون امامه بحزون … لا ، ولا يطحها السهول سهول
والزوايا محنحنات وهل يعـ … ـرف ذلك المرزوء اين الحلول ؟
عتلته مصفدا لقفار … تتضاغى ذئابها والوعول (4)
نبذته في منتاي ليس يدري … اقرار ام كان بعد رحيل
نازحا عن جميع مالوفه لا … دفتر ، لا ، ولا ، اليه رسول
حيل ما بينه وبين الاود … وجذت من قبضتيه الحبول (5)
فارق الصحب والحياة فهل يبـ … ـقى لديه الابكا وعويل ؟
ان يهب النسيم من نحوهم طـ … ـار شعاعا فؤاده المتبول (6)
او يحم حول سمعه ذكرهم جـ … ـاش دموعا كما تجيش سيول
بعد ان كان بينهم ابعدته … يد دهر له عليه ذحول (7)
كان ينكى الزمان حينا فجاءت … يده نحو ثارها تستطيل (8)
فاطاقت به اطاقة خنا … ل وقد يختل الكمي البسيل
قذفته قذف القضوب الى منـ … ـبذ من لا يراد منه قفول (9)
جوف بيداء قفرة حيث لا تفـ … ـكير يلفى ولا يلاقي مثيل
حيث يرمي ابصاره يبصر الغـ … ـربة جرت عليه منها الذيول
لا انيس ولا سمير وان كا … ن حواليه اهله والقبيل
لا ، ولا من يزور حينا كان حـ … ـل برمس ورمسه مجهول
كل اوقاته التفكر حتى … شفه الوجد والضنى والغليل
ان ينم كل من بالغ وطافت … بمنام حلو عليهم شمول (10)
يتلظى اسى وهما وغما … وسط ليل بالذكريات يطول
فتراه كانه جنب مصلـ … ـى على النار والوطيس شعيل

---

1) المنجنون : الدولاب .
2) انتحاه : قصده ، واجتث اصول الشجرة : استاصلها .
3) النكب جمع نكباء : من اوصاف الريح .
4) تتضاغى : تتصايح .
5) جذت : قطعت .
6) شعاعا بفتح الشين : متفرقا .
7) الذحل بالفتح : الثار .
8) نكى العدو ينكي ، كرمى يرمي .
9) القفول : الرجوع .
10) الشمول بفتح اوله : الخمر .

من يمين الى شمال ومن هــ   ـــدا لداكم والهم داء عتيل (11)
لا تقر الجنوب منـه علـى الفـــ   ـــرش كان ضمه مع الاسـد غيل
ليلـه كلـه سهـاد عريـض   واختباط فى الهاجسات طويـل
واذا ما اطـل صبـح فناهـــ   ـــيك بهم فى صدره يستطيل
طلعـة تغمـر الملامـح منهـا   باثارات مـا يعاني ظلـول (12)
اخذ الهـم مـن اسرتـه فـا   لتاح منها تجعد ونحـول
وكان النحـول يـرد عليـه   وشبه صفرة علاها ذبـول
مشيه مشية الذي هو بالتهـــ   ـــيام صـب مولـه متبول
مطرق الـراس دائمـا طرفـه فى   مبدأ الخطو ليس عنه يـزول
طرفـه شاخـص ولكنـه هـل   يبصر الماثلات الا العقـول (13)
ما المآقي سوى مرايا ومـا الـــ   ـــراي اذا مازج العقول ذهول

※

من تحسى من كاس هم فانـي   منهل من كؤوسه معلـول
قد سقاني حتى طفحت وحتـى   ليس لي فى الفؤاد فكر يجـول
اتناجى حينا ونفسي وقد اعـــ   ـــوز مصغ ، فمدرك ما اقـول
فاخوض الشكوك حولي وفكـري   حطمته الاحداث والتنكيـل
فانادي ولست ادري الى مـــ   ـــكة عقل ام انني مخبـول
الناذا من كنت اعرف فى الحمــ   ـــراء فى دسته لـه اكليـل
الناذا من كنت اعرفه بحـــ   ـــرا اليه ومنه تجري السيول
الناذا من كنت اعرفـه عضـــ   ـــبا له بين كل حزب صليـل
ما دهاني وما اعتراني فـدارت   جامعات بارجلي وكبـول
ودواه دهياء قد اغرقتنـي   فى هموم لها على صـؤول
كنت فى نعمة فعادت اخيـرا   نقمة والنعيم قد يستحيـل

※

باغتتني الاحداث تترى كمـا   باغت جيش فى اثره اسطـول
بت امنا فصبحتني رزايـا   كالحات كما تجهـم غـول
ازعجتني من الفراش وثوبـي   بعد فوقي ممـدد مسـدول
فى صباح قد شاه وجها فلاكـا   ن صباح من بعده مامـول
جـاء عون وهل يجيء بخيـــ   ـــر كل عون طربوشه مجدول (14)
فاراني من الحفاوة مـا غـــ   ـــر ومـن لا يغـره التبجيـل
ونثير الحبوب لولاه ما اغتـــ   ـــر بنصب الحبالة المحبـول
فيريني بكل لطف ولولا اللـــ   ـــطف ما كان فى الورى مختول

---

11) عتيل : شديد .
12) جمع ظل كما يجمع بظلال .
13) مثلث بين يدي فلان : قمت امامه منتصبا .
14) هذا العون هو الذي يعرف بعد هذا الحين بالخيلفة ابن العباس ولا يزال حيا .

امر من يبتغي لقائي وحيـــدا   في مهم يقول لي ما يقـول (15)
وهو عذر مهتوك ستر ولكـــن   ما سيجدي لو اجتلاه عقـــول
كل عقل يجدي ولكن اذا ما كـا   ن بغت فكيف تجدي العقـــول
فخرجنا ولا كتــاب وهـــذي   هفوة وقعهـا اخيـرا وبيـــل
كيف عيشي بلا كتاب وانـــي   ينتحي دونـه لـدى سبيـــل ؟
لكن المعجـلات يذهلـــن لا از   عج حرا من بعـده تعجيـــل
فوصلنا دار القيادة والعـــو   ن رقيبي وطرفـــه لا يـــزول
فوجدنا سيارة جد شوهـــاء   هناكم كانها (بـــرميـــل)
فبدا القصد لو يجيل لديهـــا   فكرة تدرك الخبايا مجيـــل
لكن الفكر قلمـا يستبين الســ   ـــبيل نهجا ما لم تعن السبيل
فجلـــنا بعد الدخول وقبض النفـ   ـــس مرخى علي منه سـدول
وشعوري يثور والقلـــب يـزدا   د خفوقا وسحنتي تستحيـــل
كل شيء احجو سوى النفي لكـن   دولب الدهر بالعجيب يـدول
ذاك اني علمت ما كنت اجرمــ   ـــت ولا ساقط ببطشي قتيـل
وانا لست من رجالات ميـــدا   ن المنايا اخوضها فاصـــول
انما صولتي بدرسي وطرســـي   بهما في الميدان مني المصـــول
فمثولي للعلم شغل حياتـــي   او ذنبي الوحيد ذاك المثـــول ؟
فكرتي فكرة الشباب ومـــاذا   يبتغي في الشباب ذاك الدخيل (16)
سؤلهم كلهم وحيد وطبـــع   منهم ان يجيش هذا الســـول
وانا في الرعيل ذيل وغيـــري   هـــوراس فيقتضيه الرعيـــل
ذاك ما كان في اعتقادي وهـــذا   ما بقلبي اذ ذاك وحدي يجـول
فـاذا بالرســول ذاك اتانـــي   او ياتي بالخير ذاك الرســول ؟
فدعاني الى الخـــروج وذاك   اللطف باق ، وذالك التبجيـــل
والسيادات فوق لهجته في كـــ   ـــل حين متى يخاطب تسيـل
فخرجنـا وانني لست ادري   الين امشي كانني مسمول (17)
وضباب الفكر المزيج على مـــر   آة عقلي مطنـــب مســـدول
فاذا بي وجدت ذيالـــك البـــ   ـــرميل قد عد لي عليه الرحيل
وحواليه اســودان اشـــارا   وانقيادي بما يـــراد كفيـــل
فركبنا فاسود جنبـي وهـــذا   قال نحـن بالسود كيف يفيل ؟
ولساني صمت ولكـــن قلبـــي   مستشف لما يكون ســـؤول
سابح الفكر سبح من دهمتـــه   وسط واد بين الشعاب سيـول
لست ادري اين المصيـر ولا ايــ   ـــن بذاك النهار يغدو المقيـــل

---

(15) وهو الباشا الكلاوي .
(16) الدخيل : المستعمر .
(17) سمل العين : فقؤها .

تخبط الراجمات بي الغيب لكن ... ما بدا لي وسط الدياجي سبيل

والمفاجأة تكسف العقل حتـــى ... لا تكاد العقول معها تجـــول

فاثير « البرميل » يقطف والبو ... ق شهيق ممدد او عويـل (18)

ذو دبيب كما يقلقـل بـــرذو ... ن جرى في الكئيب وهـو مهيل

فاستدرنا حتى صمدنا الى البـــ ... ـــاب الجديد الذي اليه نميـل

فجرى الظن اننا قاصدو السجـــ ... ـــن واني لقعره محمـــول

ذا طريق اليه والظن باستنـــ ... ـــتاج ما قـد يخافه مجبـول

كنت من قبل في توقعه حتـــ ... ـــى جرى اليوم منه رزء مهول

فتصورت انني وسط بيـــت ... ضيق لا اكاد فيه اميـــل

ودواهي «السيلون» يجري على المـــ ... ـــجون فيه العذاب والتنكيل(19)

والدياجي غوامر لاسنا شمـــ ... ـــس يرى بينها ولا قنديـــل

لا كتاب ولا عديل وهل يـــو ... جد في القبر دفتر او عديـــل ؟

ونهاري هم وليلي سهـــاد ... والثواني هناك دهر طويـــل

وذواقي جريش طعم ومـــاء ... عكر فيه حمص والفـــول (20)

واناني الوحيد « كرملتي » فهـــ ... ـــي قصاعي واكؤسي والسطول (21)

تتلـوى في « فرصـد » خلق ر ... ث ، عظامي المعرقات النحيل(22)

وجليد القـر الشديد طـوال ا ... لليل في المطبق المهول يسيل (23)

ذاك ما مر مثل بـرق خطـوف ... فوق فكري والفكر بعد يجول

اذ انا قـد ذكرت ما قاله ابـ ... ـن الجهم والذكريات سر جليل(24)

فتجلدت والتجلد في الـــرز ... ء علـى قـوة الفؤاد دليـل

فانا اليوم قد عزمت على الصـــ ... ـــبر فصبر اولى بمثلي جميـل

فـرت بي روح الرجولة حتـى ... لكانـي فحـل نمتـه فحـول

هكذا كاد ابن « الزوايا » تـرى ... منه السجون الطود الذي لا يزول

*

غير اننا ملنا يـــارا فـادركت ... اذن مـــا اليـه ذاك المميـــل

فتيقنت انـه قضـى الامـــ ... ـــر الذي طال فيه قال وقيـل

فتجلـى لناظـري كـل شـيء ... فانجلى باليقيـن ذاك المخيـل

فتجلت « الغ » الكريهة عنـدي ... حيزبونا لاشـم لا تقبيـل (25)

وهناكـم زفـرت زفـرة منكـــ ... ـــوب مجاري الدموع منه همول

---

18) قطفت الدبة على وزن خرجت : ضاق مشيها . والبوق هنا صفارة السيارة .
19) السيلون كلمة فرنسية ، والمراد بها سجن السجن .
20) دققت الشيء فجرشته : اذا لم تنعم دقة ، والمقصود ما لم يطحن طحنا جيدا والحمص والفول هو المعتاد في وجبات المسجونين .
21) « الكرملة » كلمة فرنسية وتطلق على الاناء الذي فيه يتناول المسجون وجبته ثم لا يبقى عنده من الاواني سواه فيستعمله في كل شيء .
22) الفرصد هو الثوب المعروف الذي يتغطى به المساجين ، والنحيل : فعيل
23) المطبق بضم الميم وكسر الباء : السجن .
24) قال علي ابن الجهم في قصيدته المشهورة :
قالوا سجنت فقلت ليس بضائري ❋ سجني واي مهند لا يغمد ؟
25) الحيزبون : العجوز .

مـا زفيـري لثـروة تركت او   حـول جانبـه يمينـي تصـول
فانا مـن درى الحقائـق حتـى   ليـس جـاه ولا غنـى يستميل
انما الصعب ان افارق فى الحمـ   ـراء قطـرا يعز فيـه النزيـل
اهلـه كلهـم لمـن حـل فيهـم   صاحب او مصاحـق او خليـل
منذ عشرين كنت فيهـم فاولوا   ما يطيب اللسان حيـن يقـول
جئتهـم جاهـلا فعلمت حتـى   يهتـدي بالمنـار مني الجهـول
وغريرا فـن فيهـم غـراري   وجلوني حتى انا مصقول (26)
كل مـا نلتـه فذالـك منهـم   فيهم بذر نبتـه والجذول (27)
هذبونـي وشذبونـي الـى ان   ازهرت لـي حدائـق وحقـول
كيف يا قـوم لا يذاب عليهـم   حـسرات ويستـدام العويـل ؟
وتسود الاحزان فى قلب من فـ   ـارقـه منهـم اخـاء اصيـل
فعلـى مثلهـم ومثلـي عهـود   منهـم لا تحـول فيمـا يحـول
تتنزى القلوب فى جانب الصـ   ـدر ويعرو بعد الفراق ذهـول
ثكلتنـي امـي اذا حـن قلبـي   لسواهـم او كان عنهـم يميـل
او ارى لي من بعد اهلا سواهم   فليقولـن مـن ابـى ما يقـول
ارى منهـم جميـلا جـزيـلا   ثـم انـسـى انـي اذن لنذيـل
ها انـذا غربت عنهـم ولاكـن   ودادي ثـاو لـديهـم نـزيـل
ان ازيل الجثمان من بينهم رغـ   ـما فقلبي من بينهـم لا يـزول
طيـر بـى عنهـم وانـي لمعتـ   ـول كاني مسلـل مغلول (28)
غير ان الاعوان اتسوا فـؤادي   وفـؤادي بكـل شـيء كفيـل
فهو بـرق بـه يكون التناجـي   بيننـا واجتماعنـا والوصـول
فتقضي الاغـراض رغم مسيري   هكذا والاعـوان حولـي كبـول
فهـم جلـس امامـي وخلفـي   ويجتبي كما استدارت حجول (29)
سيربى مثل ما يسار بمن كـ   ـان زعيما يخاف منه الصؤول (30)
عتلونـي بكـل حـزم ولاكـن   من يريهـم مـن ذلك المعتـول
مـن يريهـم بانهـم غلطـوا حـ   ـتى كان لا ميز ولا معقول (31)
مـن يريهـم بانـه رجـل الـد   ين واهل الاديان فى اليوم حول
دينهم قصر البصائر والابـ   ـصار حتـى كانـه تضليـل
لا يرى طرفهم سوى جائل بـ   ـين الا ما قي كما يجول الميل (32)

---

26) الغرار بالكسر : حد السيف : وجلوت السيف : صقلته .
27) الجذول : الجذور .
28) عتله : جره عنيفا فحمله .
29) جمع حجل كقفل وحمل : الخلخال .
30)
31) ما له معقول : ما له عقل .
32) الميل العود الذي يكتحل به ، والمقصود انهم لا يشعرون بالشيء من بعيد حتى يخالطهم كما يخالط الميل عيونهم .

ويرون الدين الحنيف سكونا   وانزواء حتى يسود الخمول
ام حجوهم من الرجال كان لم   يعلموا انما الرجال قليل
والالى ينشؤون فى ذلك العقـ   ـل فاني منهم زعيم صؤول
ايكون المختار غير فتى منـ   ـهم فيلفى منه الوديع الذلول
فهو فحل يبدي التقاشق فى الد   رس ولاكن فى الجد نضو هزيل
خشـن فى المباحثات وان جـ   ـد مصاع فبضة عطبول (33)
وجريء ان جال فهم وان جـ   ـالت مواض فمستكين ذليل
لم يخض قط فى زحام واني   خوضه ان يجش وطيس مهول
عمره كله حوار وتنـ   ـقيب ودرس ومبحث مستطيل
وعكوف على براعته ينـ   ـشر منها ما تستطيب العقول
تارة يكتب النثير وحينا   خائض بحر فاعلاتن فعول
فانتشى بالعلوم نشوة سكر   ان اطافت بجانبيه شمول
فيراها حياته ولكل   فكرة فى حياته وسبيل
والبرايا طرائق قدد كـ   ـل له فى مسعاه غاي وسول
انا ذاكم عرفت نفسي وادر   كت الذي قلته وما سأقول
وانا قد جبلت ان اعلن الحـ   ـق وان كانت الدماء تسيل
واشيد الانصاف فى وفى غيـ   ـري فيبدو السمين والمهزول
وانا من عرفت فى الناس انى   لم اكن فوق رتبتي استطيل
قد عرفت استعداد نفسي يقينا   افانى بذات نفسي جهول
وعلمت الذي اجالد فيه   مرهفا لا يحوم حولي فلول
فخططت الحياة طبق ميولي   ونجاح الحياة تلك الميول
فجرت بي فى العلم خيل عتاق   تتلالا غراتها والحجول
الان حازت فيه لي خصل سبق   مذكيات مطهمات فحول (34)
نظرتني شزرا كسالى نمتها   للجهالات عامر وسلول (35)
فتمنوا لي العثار وهل يعـ   ـثر وسط المضمار الا الخيول ؟

---

33) المصاع كالنضال وزنا ومعنى . والبضة الفتاة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد . والعطبول المراة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ، قال عمر بن ابي ربيعة :

ان من اكبر الكبائر عندي   قتل بيضاء بضة عطبول
كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول

34) الخصل بفتح فسكون : ما ياخذه السابق فى المسابقات . والمذاكي من الخيل ما تم سنها وكملت قوتها . والمطهمات منها : التامة الحسن .

35) تلميح الى قول السموءل فى هاتين القبيلتين عامر وسلول :

وانا لقوم لا نرى القوم سبة ❋ اذا ما راته عامر وسلول

واقولا ، وهل يرى لسوى النـ   ـجم وللبدر والشموس الافول ؟
فاتـى الدهر وهـو شيمته الـ   ـفتك بأهل الاقدار والتنكيـل
فانتضى لي عضبا صقيلا ومن ذا   لـم يجلله ذلـك المصقـول ؟
فرمـى بـي مجنـدلا والمعالـي   بـاكيـات والمكرمـات عويـل
ودروسي سـلائب شققت مـ   ـنها جيوب بندبها وذيول (36)
والبراعـات صرخـة بلغ الافا   ق مـن صوتهـا دوي طويـل
ورجال الحمراء شجو على شـ   ـجو سـواء عليمهـم والجهول
وبنو فاس والرباط احتجاجـا   ت، فطمت على القري السيول (37)
هكـذا قـامت القيـامـة حـ   ولي ودقت بمـا عراني الطبـول
كنت في « الغ » رابضا وبنو الشـ   ـهب رسيم فيماجرى وذميل (38)
اعلنـوا مـا دروه منـي وهـم   اشهاد صدق والمرتضون العدول
فـراى بالعينيـن مـن غلطـوا   في بان الاراء منهـم تفيـل (39)
وبـان العيـون دابـهـم الافـ   ـك وخبط العشواء والتضليل
فهموا في الشعوب بين بني الشعـ   ـب وبين السلطات داء وبيـل
لو ازيلوا تعانقت مع بني الشعـ   ـب الحكومات دائمـا لو ازيلوا

*

ليت شعري وقد بدا الصبح للعـ   ـينين هل ذلك القـرار يزول ؟
فارى نضرة الحياة لدى الحمـ   ـراء ايضا حيث المنى والسـول
فاشتياقـي الى مرابعهـا مـ   ـثل قصيدي هذا ، طويل طويل .

---

36) سلائب : ثكالي .
37) القرى بفتح القاف وكسر الراء : مجاري الماء .
38) الرسيم والذميل : نوعان من السير السريع .
39) فال رايه : اخطا

مأساة شاعر

لشاعر الحمراء :
محمد بن ابراهيم

هذه مقتطفات من قصيدة للشاعر الراحل الى عفو الله محمد بن ابراهيم ، عثر عليها مخطوطة فى خزانة (الكلاوي) اثناء العمل فيها تمهيدا لنقلها الى الخزانة العامة بالرباط .

ونحن اذ ننشرها نتقدم الى كل اصدقاء الشاعر الراحل وتلامذته فى المغرب عموما ، وفى مدينة مراكش على الخصوص ، راجين ان يوافونا بما لديهم من اشعاره لنشرها ، تحية لذكراه ، وخدمة للادب المغربي .

صورة لشاعر الحمراء المرحوم محمد بن ابراهيم اخذت له فى شبابه. وقد توفى الشاعر فى سنة 1955 عن حوالي الستين من عمره.

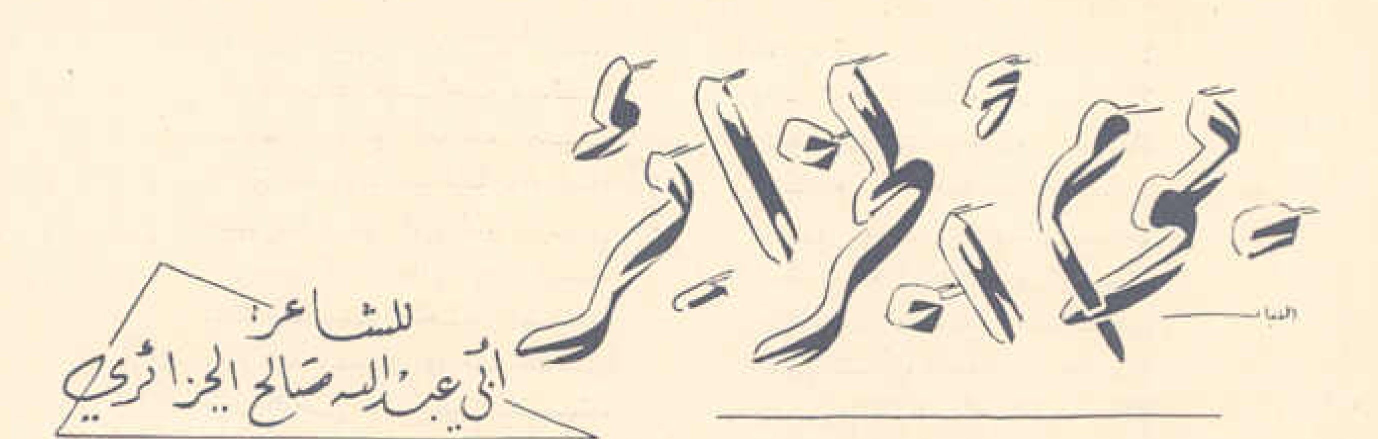
بحقك هل ابصرت اسخف من عقلي ... وهل فوق وجه الارض من احمق مثلي؟!
لكم ادعي علما وحسن ثقافة ... وما جاهل الا ودوني فى الجهل !!
نعم ! انا ذو فضل ، ففطته سيرتي ؛ ... فما انا ذو فضل ، وان انا ذو فضل !!
اذا مر وجه مشرق ورايته ... يطير اشتياقا عند رؤية عقلي
ويذهب طرفي فى تعقب خطوه ... وان كنت فى شغل ، فيا ضيعة الشغل!!
وترتاح نفسي ان اكن قد عرفته ، ... والا فاني فى التفات وفى سؤال

*

وكم مر وقت ، كدت تبصرني به ... وجسمي بلا ثوب ، ورجلي بلا نعل
وبينا يزيد الامر بي فى اشتداده ... ـ وعند اشتداد الامر لم تلق من خل ـ
اذا بي ارى ثغر المنى متبسما ... وقد لاح فجر السعد فى غسق الهول
فانسى الذي قد مر بي من خصاصة ، ... وابلل فى زهو ، واسرف فى البذل
وربتما افنيت ذاك ولم تزل ... ثيابي كما كانت ونعلاي فى رجلي !!

*

وارمي بنفسي فى صفوف اراذل ... ولست لهم شكلا ولا هم على شكلي !!
وقضيت عمري هكذا فى تناقض ... ففي الهزل ذو جد ، وفى الجد ذو هزل!!
قضى الله ان ابقى بلا ولد ولا ... قريب ولا ام حنون ولا اهل
غريب وان فى مسقط الراس مسكني ، ... وحيد وان كانت اخلاي كالنمل !!
فاغضب حتى استحيل جهنما ... واحلم حتى ابدل العز بالذل !!
واغدو الى فعل المعاصي مهرولا ... وان اقصد الطاعات فالقيد فى رجلي !!
فلا عيشة ترضى ولا كسب طاعة ... فلا اكثر الرحمن فى خلقه مثلي !!



حي في (الاطلس) الاشم رجالا   بهم صال في الكفاح وجالا
صنعتهم يد الظلوم ، وقدما صنـ   ـع الظلم قادة ابطالا
ثورة في الظلام اعلنها الشعب فباتـ   ـت بها الليالي حبالى
ومواليدها مواقف احرار تفانوا   بسالة ونضالا
بايعت صاحب البلاد ، وعقت اجنبـ   ـيا اقام داء عضالا
تصبغ الفجر كل مطلع فجر   بدم في العلا اريق وسالا
مقلة الافق كلما انتبه الافق تلقـ   ـت من البرود اكتحالا
كم معم ومخول افقدته   سطوة المعتدين عما وخالا
ودع البيت قائما وابا شيخا   واما دموعها تتلالا
وجد البيت ـ حين عاد يواسي   والديه ـ عليهما اطلالا
اين امي ؟ ابي ؟ اجبني الهي   اي صوت يجيب هذا السؤالا
فاجابت جبال اطلس عنه   برصاص يحطم الانذالا
وستبقى تجيب حتى تراها   في اعتزاز سهولها والتلالا
ذبذبت ساسة الفرنسيين حتى   ورثوا نوبة بها وخبالا
سيق هذا الى السجون ، وذاك   اغتيل غدرا بها ، وذاك استقالا
وبنفط الفلاة جنوا ؛ فهلا   جرعوا سمه فينووا ارتحالا
فانابيبه افاع ترامت   ويح من غره السراب فمالا
فالافاعي تمج ان مسها النذل   لعابا يقطع الاوصالا
واقاموا الحدود بين بلاد   وقلوب توحدت آمالا
او تخشى الاسلاك كهربها النـ   ـور ، لتقصى عن الجزائر آلا
وعروق الاباة اسلاك نار   كهربتها حمية لن تنالا

كان قطرا على الخريطة ميتا   فتجلى دما بها يتلالا
ذرة كان في الفضا وهباء   فارتمى فوق وجنة المجد خالا
وترامى يتيمة في نحور الصحف   ميزت نفاسة وجمالا
وسوارا بمعصم الشرق امسى   وبرجل الطغاة امسى عقالا
اي طرس بحسنه ما تحلى   وكتاب ما صاغ منه مقالا

وعلى الالسن الجزائر كانت ... عثرة فى بيانها لن تقالا
ثم امست فصاحة وبيانا ... وجرت فى الشفاه ماء زلالا
ساجلت صاحب القصيد فغنى ... وتملى بها الخطيب فقالا
يا ابن شعبي . يد الينا ترامت ... تفتدينا شجاعة ونوالا
حيها يا فتى الجزائر بالباس ... وحي الجميل منها نضالا
نيل مصر لو استطاع لجاب البيـ ... ـد شوقا اليك يغزو الرمالا
عله بالنمير يطفي غليلا ... فى يتامى ورضع وثكالى
وحليبا ينساب فى فم طفل ... حرم الثدي فاستمات هزالا
برعم القطن كم يحن لتضميد ... جروح تشكت الاغلالا
وابو الهول لو يطيق حراكا ... كان هولا على العدا ووبالا
ان يكن جاثما ، فما جثمت مصر ، ... وقد عززتك روحا ومالا
(بردى) كم يحن ان لو تراه ... احمرا من دما عدوك سالا
سال شهدا على شفاهك يا شعبي ... وصابا على الطغاة استحالا
وخرير الفرات رجع حنين ... ليتيم بكى ابا مغتالا
كم تمنت ثلوج لبنان لو تخضب ... من جرحك الزكي قذالا
وعلى الكعبة الحرام دعاء ... يا ابن شعبي بنصرنا قد تعالى
وهتافات انفس طاهرات ... يا ابن شعبي بنصرنا تتوالى
انت قلب له (مراكش) و (الخضـ ... ـرا) ضلوع ترد عنك النصالا
واستعن (ليبيا) تجبك بشعب ... قطع العهد فى فداك وآلى
هذه يا جزائري وثبة الاحرار تطـ ... ـوي لنصرك الاميالا
وتخطى اخا هنا عربيا ... تجدي الكون اقرباء وآلا
تجدى آسيا تقر وافريقيا ... يوم كبيت فيه جلالا
يوم آذار ، كم يشير لنصر ... سوف يكسوك خضرة وجمالا
ان جرى اليوم ادمعا ودماء ... فيلقاك انهرا وظلالا
يوم نصر كانه فلق الصبح ولو ظنـ ... ـه الدخيل خيالا
انت عذراء انجبت خير جيل ... خاض حربا فكان فيه مثالا
وصديق الجميع انت بباس ... يهر القلب منهمو فاستمالا
بنت حواء فى هواك تفانت ... ليتها فى هواك حازت مجالا
وتفانت على « جميلة » عطفا ... وهي تشكو من الطغاة نكالا

يا ابن شعبي اليك مني قصيدا ... يورث العزم حدة وصقالا
ان طربنا فنشوة برصاص ... رن فى مسمع الظلام (موالا)
ان بسمنا فللغد المترجى ... بسمة فى القلوب تبعث فالا
واصل الحرب يا ابن شعبي بعشق ... لذة العشق ان يكون وصالا
قد سالنا الاله عونا فكان العـ ... ـون عزم يقلقل الاجبالا
وسالناه فى الحروب نصيرا ... فمشى نحونا الوجود امتثالا
لو تخلى الوجود عنا حمانا اللـ ... ـه منه بقوة لن تنالا



يزرع الناس العطرشة على قبور احبابهم ، لانها خضراء دائما .. ورائحتها زكية .. وهي تستمد غذاءها من رفات نزيل القبر .. وفى الربيع يفتح نوارها اليانع .. معلنا عودة الراحل الى الحياة .

رايتك بين الواقفين على قبري ..
فاحييت قلبا كان قد مات فى صدري
وجددت ذكرى حبنا وبعثتها
كما لم تكن خضراء عاطرة النشر
اعدت الى عظمي الرميم حياته ..
واجريت فى قلبي دما كان لا يجري

رايتك فى حلمي كما كنت طفلة ..
لعوبا الى جنبي على شاطىء البحر ..
تخوضين مثلي غاضب الموج اينما
ذهبت ، وتنسابين خلفي الى القعر !
فاصبحت فى حلمي فتاتي التي بها
جننت ، وانشاي التي الهبت فكري
بما بين نهديك المثيرين من هوى
وما بين عينيك الغريرين من سحر !

اعيدي الى نفسي سكينتها التي
عصفت بها من بعد ما كان من هجر !
اعيدي الى روحي صفاها وامنها
وفرحتها فى عهد ايامنا الخضر
وردي الى قلبي من الدفء ساعة
ارد بها ما كان قد ضاع من عمري

فاحببت حلمي واستفقت اعيده ...
على مسمع الاموات فى ساحة الحشر
على مشهد كالبحر ، لا منتهى له
من الرمم البيضاء والاعظم الصفر !
به عشت عمري ، لا ارى غير جثة
مكفنة بالحزن تسعى الى قبر .. !



الأستاذ حماد العراقي في كتابه:

تاريخ التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد الطنجي

ناولني الاستاذ عبد القادر الصحراوي رئيس تحرير مجلة دعوة الحق كتاب (تاريخ التشريع الاسلامي) للاستاذ المحقق بكلية الحقوق المغربية السيد حماد العراقي حتى اكتب حوله او حول بعض فصوله كلمة تنشر في مجلة دعوة الحق .

فوجدت نفسي امام بحث جامع وترتيب محكم وروح من التجديد ، وتطلع الى فهم النصوص التشريعية على اساس الاوضاع الراهنة التي تجددت في العالم زيادة على الالمام بما جد في التشريع الاداري المغربي بعد الاحتلال وتجزئة القضاء واحداث محاكم فرنسية واسبانية وعرفية الى عهد الاستقلال والاصلاح . وبالجملة فهذا المشروع من المشاريع البناءة في تشييد معالم الجامعة المغربية وهو محاولة جدية للخروج من الركود الفكري والعلمي الذي يشتكي منه كل غيور على وطنه حتى لا تظل هذه البلاد في مؤخرة القافلة العلمية والثقافية بين الامم الناهضة ، ولو عمل كل استاذ جامعي في اي مادة من العلوم التي يدرسها في الجامعة مثل عمل العراقي لاصبحت لدينا مؤلفات مفيدة ولتخرج الطلبة الذين يتلقونها منتجين باحثين على غرار الاساتذة المتضلعين الذين وجهوهم في دراستهم العلمية خير توجيه .

فنشكر الاستاذ حماد العراقي على جهوده ونرجو ان يلاقي كتابه ما يستحقه من تشجيع ورواج.

والاستاذ العراقي ببحثه هذا يعقد اوثق الصلات بينه وبين المجهودات العلمية المعروفة عن البيت العراقي .

واذا كانت لنا بعض ملاحظات عن هذا الكتاب القيم فانها ضئيلة امام كثرة حسناته وانما نريد تسجيلها ليتلافاها الاستاذ عندما يتحقق امله للبحث المطول في كثير من الجوانب التي عالجها في هذه المحاضرة كما يذكر في مقدمة كتابه .

اولا : تكلم المؤلف على لفظة الشريعة فساق لها معاني تطلق عليها في اللغة ومن جملة ذلك موضع على شاطيء البحر تشرع فيه الدواب ، ثم قال والشريعة والشرعة ما سن الله من الدين وامر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر اعمال البر مشتق من شاطيء البحر ومنه قوله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) .

والملاحظة على المؤلف في هذا الاشتقاق من وجهين (اولهما ان الاشتقاق من الكلمة لابد ان يتضمن حروفها الاصلية اما مع الترتيب وهو الاشتقاق الاصغر واما مع الترتيب والتقديم والتاخير وهو الاشتقاق الاكبر ، وقد مثل العلامة اللغوي ابن جني المتوفى سنة 372 هجرية للاشتقاق الاصغر بقوله : كان تاخذ اصلا من الاصول فتقراه فتجمع معانيه ، وان اختلفت صيغه ومبانيه وذلك كتركيب (س.ل.م) فانك تاخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم اللديغ اطلق عليه تفاؤلا بالسلامة وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته .

ثم قال بعد ذلك واما الاشتقاق الاكبر فهو ان تاخذ اصلا من الاصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رد بلطيف الصنعة والتاويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ، وقد قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب من الاشتقاق في اول هذا الكتاب عند ذكرنا اصل الكلام والقول وما يجيء من

تقليب تراكيبها نحو ــ لكلم ــ لكمل ــ مكلل ــ ملك ــ لكم ــ لمك ــ وكذلك ــ قول ــ قلو ــ وقل ــ ولق ــ لقو ــ لوق ــ وهذا اعوص مذهبا واحزن مضطربا وذلك انا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة ، وتقاليب القول الستة على الاسراع والخفة .

فليرجع اليه مريد التوسع فى استيعاب هذه المعاني .

مع ان مؤلف تاريخ التشريع الاسلامي جعل لفظة الشريعة ماخوذا من شاطىء البحر فخالف الاشتقاقين الاصغر والاكبر .

والوجه الثاني فى الملاحظة ان المؤلف خالف راي ائمة اللغة قال فى المصباح والشرعة بالكسر الدين والشرع والشريعة مثله ماخوذ من الشريعة وهي مورد الماء للاستقاء سميت بذلك لوضوحها وظهورها وجمعها شرائع وشرع الله لنا كذا اظهره واوضحه .

وقال ابن العربي فى احكام القرآن : الشريعة فى اللغة عبارة عن الطريق الى الماء ضربت مثلا للطريق الى الحق لما فيه من عذوبة المورد وسلامة المصدر وحسنه .

ثانيا : القرآن ــ تكلم المؤلف على القرآن وتاريخ نزوله الى آخره .

فعرفه كما عرفه السبكي فى جمع الجوامع : كتاب الله المنزل على محمد ص للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته ، وهذا تعريف ببعض خواصه وان كانت التلاوة قد تطلق كما يقول الراغب على اتباع كتب الله بالارتسام بما فيها من امر ونهي وترغيب وترهيب الا ان المتبادر منها خصوص القراءة ، وكان الاولى باستاذنا ان يعرفه بالغاية المحمودة التي انزل من اجلها وهي هداية الناس كافة واخراجهم من الظلمات الى النور ، كما قال الله تعالى فى شأن كتابه : (كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) وكما يقول تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوان سبل السلام) .

اما التعبد بالتلاوة فهو فى الدرجة الثانية بالنسبة للتعبد بالعمل بما فيه من هداية ونور .

وقد المع المؤلف حفظه الله الى ما تضمنه القرآن فى خواص ما تمتاز به السور المكية والمدنية كما اشار الى تلك الغاية عند بيانه لاساس التشريع الاسلامي فى القرآن .

ثالثا : هناك ملاحظة صغيرة حول آخر ما نزل من القرآن فقد ذكر المؤلف ان آخر ما نزل هي آية : (اليم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وذلك فى وقفة عرفة من حجة الوداع .

مع ان المؤلف يعترف بان النبي عاش بعد وقفة حجة الوداع احدى وثمانين ليلة ، فهل لم ينزل فى هذه المدة قرآن ؟ .

اما البخاري فروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا ساقه بسنده فى باب : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وكانه اراد ان يجمع بين قولي ابن عباس كما قال الحافظ ابن حجر : فان الطبري روى عن ابن عباس من طرق ان آخر آية نزلت قوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) وزاد الطبري عن ابن جريج انه مكث بعدها تسع ليال ، اي وتوفى . والآية المذكورة هي معطوفة على آية الربا ، وبها ختمت ، وبذلك يسهل الجمع بين الروايتين .

وفى آخر سورة النساء عن البراء ان آخر سورة نزلت براءة وان آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة .

وعليه فالانسب بالمؤلف الفاضل الا يجعل آية : اليوم اكملت لكم دينكم آخر ما نزل من القرآن .

رابعا : تكلم المؤلف على مظاهر اليسر فى الآيات القرآنية فحمل آية : (واشهدوا اذا تبايعتم على وجوب الاشهاد مع ان هذا الحمل مرجوح وفيه مع ذلك غاية الحرج وذلك ينافي اليسر الذي يتكلم عليه قال ابن العربي فى احكام القرآن : اختلف الناس فى قوله تعالى : (واشهدوا اذا تبايعتم) على قولين : احدهما انه فرض قاله الضحاك، الثاني انه ندب قاله الكافة وهو الصحيح ، فقد باع النبي وكتب وساق نسخة كتابه ثم قال : وقد باع ولم يشهد ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن لخوف المنازعة انتهى كلام ابن العربي .

خامسا : ذكر المؤلف مجمل ما فى القرآن من انواع الاحكام ، وقال فى خاتمتها : وهكذا نرى ان القرآن ليس كتاب عقيدة فقط كسائر الكتب المقدسة التي سبقته ولكنه كتاب عقيدة وشريعة معا . وهذا مما امتاز به على الكتب السماوية الاخرى ولذلك يجعل ابن رشد المتوفى عام 595 هجرية هذه الميزة

معجزة القرآن الكبرى . وعلى المؤلف هنا ملاحظتان: الاولى ان الظاهر من كلام ابن رشد ان الكتب السماوية تشترك فى وضع الشرائع ولكن القرآن يفضلها بكثرة التشريع فانه قال فى كتابه الكشف عن مناهج الادلة : ان كان فعل الانبياء الذين هم به انبياء انما هو وضع الشرائع بوحي من الله تعالى على ما تقرر الامر فى ذلك من الجميع اعني القائلين بالشرائع بوجود الانبياء صلوات الله عليهم ، فانه اذا تؤمل ما تضمنه الكتاب العزيز من الشرائع المفيدة للعلم والعمل المفيدين للسعادة مع ما تضمنته سائر الكتب والشرائع وجدت تفضل فى هذا المعنى سائر الشرائع بمقدار غير متناه انتهى بنصه .

والملاحظة الثانية ان تعرض الكتب السماوية الاخرى للاحكام منصوص فى كتاب الله كما قال تعالى (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون) وقال تعالى (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين الآية) . فلو فرضنا ان ابن رشد قال ذلك لكان هذا القول الصادر منه مردودا عليه بنص القرآن .

سادسا : تعرض المؤلف لتعريف السنة ودورها فى التشريع وكونها عمدة فى بيان مقاصد الشريعة فذكر انها فى الاصطلاح الشرعي العمل المشروع ، وفى الاصطلاح عند فقهاء الشافعية ما كان نقلا عنه صلى الله عليه وسلم ، وفى اصطلاح المالكية ما امر به عليه السلام وواظب عليه واظهره ولم يوجبه هذا زيادة على ما عند الاصوليين من انها اقوال النبي وافعاله وتقريراته . ولم يبين المؤلف اين تلتقي هذه الاقوال واين تختلف وما هو الصحيح من هذه التعاريف مع ان التعاريف الثلاثة متفقة فى المعنى ما عدا تعريف المالكية ، فاذا كانت السنة فى الاصطلاح الشرعي هي العمل المشروع ، فان افعال النبي واقواله وتقريراته تعطي للعمل صفة المشروعية ، وكذلك ما نقل عن النبي عليه السلام ، لان هذا المنقول اما قول او فعل او تقرير لانه عام غير مقيد بواحد من الانواع الثلاثة . اما تعريف المالكية للسنة بانها ما امر به النبي وواظب عليه واظهره ولم يوجبه ، فهذا التعريف فيه قيود زائدة يرد بها المالكية بعض السنة القولية والفعلية والتقريرية اذا لم يصدر بها امر ولم تقع عليها مواظبة: وغرض المالكية بذلك التوصل الى صفة المشروعية لعمل اهل المدينة ، اذا تعارضت فيها احاديث واردة عن الرسول ، حيث يقولون : ان هذا صحبه العمل وهذا لم يصحبه العمل ، وهذا هو المقصود من ذكر المواظبة فى تعريف السنة عند المالكية ، مع ان الحق انه يكفي صدور القول من الرسول لتعطى للعمل صفة المشروعية والسنية فكان من المناسب للمؤلف الذي يحدد المقاصد العليا للتشريع ان يتعرض لهذا .

ومما يلاحظ على المؤلف بصفة عامة انه ينقل احيانا عن كتاب الفكر السامي فى تاريخ الفقه الاسلامي الصفحة واكثر – وان كان يخلل نقله بحذف بعض الجمل – ولكنه لا يشير الى هذا النقل مطلقا ، فمثلا نجد فى كتاب الفكر السامي عوائل الاختصار وتاريخ ابتدائه ص 219 هـ .

ونجد فى كتاب مؤلفنا تاريخ التشريع الاسلامي صحيفة 119 فصلا بعنوان فكرة الاختصار والشرح ، وقد نقل فى هذا الفصل اكثر من صفحة من كتاب الفكر دون ان يشير اليه ادنى اشارة .

وكذلك فعل المؤلف لما تكلم على دخول المذهب الظاهري للمغرب فانه نقل جميع الافكار المسجلة فى كتاب الفكر السامي من غير ان يشير الى الكتاب ، والاولى بالباحث المنصف ان يشير الى النقل الواقع بهذه الصفة وليس ذلك بعيب فى كتاب جامع لعدة محاضرات فاختيار المرء قطعة من عقله كما يقولون ويكفي هذا الاختيار الممتاز هنا .

واخيرا نعيد تهنئة المؤلف على انتاجه القيم وندعو الله ان يوفقه وامثاله من العلماء المتفننين لمواصلة الانتاج العلمي حتى تزدهر المعارف فى المغرب وبسد الفراغ الفكري وتمتلىء المكتبة العلمية والادبية المغربية بانفس المؤلفات والدواوين .

الجاحظ في مخطوط فريد

البرص والعرجان ...

بقلم : عبد الهادي التازي

بالرغم من ان «دعوة الحق» قد خصصت هذه الضلوع لمطالعة ما يجد من كتب وما يفاجىء القراء من آراء حديثة ، فانني مع هذا اختار ان اتناول هنا بالحديث كتابا يرجع تأليفه الى اوائل القرن الثالث الهجري فيما يظهر ، ودون ما ان اطيل على القراء بالتقديمات فسانتقل بهم الى هذا الكتاب الذي نخرته الارضة وكادت ان تأتي عليه الايام ، هو كتاب للامام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ غير رسالة التربيع

والتدوير ، وغير البيان والتبيين وغير كتاب البخلاء وكتاب الحيوان ولكنه كما قرات يتعلق بالبرص والعرجان والعميان والصمان ...

وهكذا فالى جانب موسوعته في الفلسفة والدين والتاريخ والجغرافية والرياضيات نذكر له هذا الاثر الادبي الفريد ، ولقد كتب لهذا المؤلف القيم ان لا تضمه رفوف خزانة في الشرق ، ولكن هنا ببلاد المغرب في « بزو » بين تادلة والسراغنة جنوب شرق الدار البيضاء حيث الزاوية العياشية ... وكان علماؤنا الافذاذ امثال الشيخ البحاثة السيد المختار السوسي قد وقفوا على هذا الكتاب بالزاوية المذكورة منذ 26 من ذي الحجة 1355 ، ولكن الحصار الذي كان يضرب على ابناء المغرب بعضهم من بعض كل يحول دون التمادي في البحث ...

ومضى عهد الكبت الفكري ، لكن المسؤولين في الحكومات المتوالية شغلوا عما تضمه زوايانا من نفائس وكنوز ، شغلوا بالمشاكل التي وضعتها الظروف الجديدة ، ولو انهم – وهذا شيء لا ننساه – ظلوا يتواصون خيرا بها الى ان تحين الفرصة ... وقدر للجاحظ ان لا يخرج من الزاوية العياشية الا عند ما يحل ضيفا على المغرب حضرة الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، فلقد وضع له برنامجا لزيارة المكاتب العامة والخاصة سواء منها التي تتبع وزارة التربية الوطنية او وزارة الاوقاف وكان من تصميم الرحلة زيارة « بزو » حسب اشارة الاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية ...

ووصل صلاح الدين وبمعيته الاستاذ ابراهيم الكتاني المشرف على قسم المخطوطات ... ان الشيخ المختار يتحدث عن اثر للجاحظ هنا فهل ما تزال الخزانة محتفظة به رغم اولئك « السماسرة » الذين قصدوها على عهد الحماية ممن عرفوا بانتهاكهم لحرمة الخزائن ؟ لقد سلم الكتاب من عادية « اولئك » وها هو الآن يجد طريقه نحو المكاتب في الشرق والغرب ... وسوف لا اتحدث لكم عنه حديث شخص يعني بالتنقيب عن المخطوطات بمقارناتها ومفارقاتها ... اذ انني لا ارضى ان اكون متطفلا على ما ليس من اختصاصي سيما واني على مثل اليقين من انه سيكون لكتاب الجاحظ ما يستحقه من التعليق والشرح ، ولكني اريد هنا فقط ان استعرض مع القراء بعض فصول هذا الكتاب كانما خرج من دور الطباعة علنا « نحرك » بذلك رغبة المولعين بالخزائن حتى يدابوا من اجل اكتشاف « جاحظين » آخرين ، فان المغرب – كما يشهد بذلك رجال الفكر والبحث – يشتمل على اسرار ودقائق سيكون في ابرازها خير للعروبة لا يوازى .. وبعد فهذا كتاب البرصان والعرجان الذي يقع في اربع عشرة ومائتي صفحة من الحجم المتوسط ... يشتمل على مقدمة بالاسلوب المعهود للجاحظ ... ولو انها متعبة نظرا للخروم التي اصيبت في بعض الجهات ... انها تدعو لك ايها القارىء على هذا الشكل : « واعاذك من التكلف وعصمك من التلون وبغض اليك اللجاج ، وكره اليك الاستبداد ونزهك عن الفضول وعرفك سوء عاقبة المرء ... »



صورة صفحة من المخطوط . اقرا في السطر الاول : وسئل بعض العلماء عن بعض اهل البلدان ، فقال : « ابحث الناس عن صغير واتركهم لكبير » وسئل عن بعض الفقهاء فقال : اعلم الناس بما لم يكن ، واجهلهم بما كان .

ثم ذكر اصحاب تلك الاوصاف بمن فخر منهم بعرجه وحوله وقرعه وبرصه ، نوادرهم وكناياتهم وانسابهم واقوالهم ... والشاهد على ذلك من الشعر الصحيح ... وخص بعد هذا فصلا للحديث عن الساق العليلة والساق السليمة ومن كان من فرسان العرب ينعت بدقة الساق .

وفي الكتاب باب آخر يعني فقط بمن قطع ارجلهم عند الحروب والمغامرات ... ثم من قتل بالصواعق والعواصف ... ويأتي دور الحدب ومن سقي بطنه (اجتمع فيه الماء فارتخى) من اشراف العرب ، ثم باب الادران (المصابون بالفتق) ثم ما حضره في اللقوة وما يمت اليها بصلة ... ولم يفته الحديث عن

المفاليج والاشجين ، وذوي الخلقات الغريبة ... ثم ما جاء في صغار الرؤوس وكبارها ... والاعناق طويلها وقصيرها ... ويتلخص بعد هذا للصلع والقرع والقزع في حديث ممتع شبيه بما نعهده منه في « البخلاء » ثم ينتقل الى الحديث عن الايمن والاعسر وما قيل في هذا وذاك ... ويختم البحث بحديث حفصة بنت عمر : (كان النبي اذا آوى الى فراشه توسد يده اليمنى وقال : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك) ...

صفحة اخرى من المخطوط . اقرا في السطر الثالث منها : قيل لبعض العلماء من اسوا الناس حالا ؟ قال : « من لا يثق باحد لسوء ظنه ، ولا يثق به احد لسوء فعله ... الخ .

ولا اغفل ان اذكر هنا انه اي الجاحظ لا ينسى ان ياتي على اسماء طائفة العميان والعور والقفم والعرج ممن كان لهم اثر في التاريخ ...

ان الكتاب لا يكفي ان نستعرض جدول فهرسته ، ولكنه جدير بان يبعث من جديد على ايدي طائفة مهمة من العلماء فانه يعتبر بحق « وثيقة لغوية » ما كان احوج المكتبة العربية اليها ... واذا كان لي ما ارجوه هنا فهو التوجه الى هؤلاء الذين انيطت بهم مهمة تراثنا المغربي فلقد حان الوقت ـ بعد ان خذلتنا الظروف احقابا من الزمن ـ اقول حان الوقت لان نترقب منهم عملا يذكر في هذا الصدد ، فما نحن بالذين يقنعون من المشرفين على امر المخطوطات بالتعليق عليها داخل مجالس محدودة وبين طبقات معينة ... بل ان لنا على هؤلاء ـ وهوايتهم بهذا الفن امر مفروغ منه ـ لنا على هؤلاء ان يفكر في اطلاع الجمهور المثقف بصفة سرمدية منتظمة على هذه الكنوز التي تحتويها خزاناتنا العلمية بالمغرب ، فلقد ظلت عذراء كما كانت منذ قرون ... ان هناك كثيرا من الخزائن الخاصة امسى اليوم في متناولنا ... ولكنا لن نعتبرها في « المتناول » ما دام الحديث عنه يقتصر على الندوات الخاصة ، افتراني على حق عند ما ارجو اليكم ان تتحدثوا الينا عن هذا « القديم الحديث » عن هذا « العتيق الطريف » ... وهل تراني على حق اذا ما رجوت الى اصحاب الخزائن الخاصة ممن لا يستفيدون ، او لا ينتظرون ان يستفيدوا منها رجوت اليهم ان يتقدموا بها الى الخزانة العامة حتى يعم بها النفع ويصل صداها الى اطراف البلاد .

اطلبوا امجادكم ايها العلماء ، انها لن تبعد عنكم ... هي في بطون الكتب ... تلك المخطوطات التي كتبها السلف ليعني بها الخلف .. ادرسوها .. علقوا عليها ... لا تهملوها ولخير ان يقال اشتغل واخطأ من ان يقال كان يرحمه الله : حريصا على ان لا يتكلم .



في شعرنا المعاصر

بقلم محمد الأمري المصمودي

- 5 -

لقد كان عيد العرش مناسبة كبرى تتيح لنا ان نقرا ونسمع لشعراء كثيرين ، وبينهم من نستطيع ان نقرا له في غيرها ، واكثرهم لا نلتقي به الا عندما تحل لسنة جديدة ، ثم لا تكاد تمضي حتى يعودوا الى الانكماش واللواذ بالصمت او اجترار الآم واحلام لا يطلع عليها الا الرفاق والصحاب ، وقل ان تتخذ طريقها الى الصحف والمجلات ؛ ولا تكاد تبدو تباشير عيد جديد حتى يهبوا من رقدتهم التي تشبه الموت ، لينفضوا الغبار عن قيثاراتهم التي تكون بحال من الارتخاء والانحلال ، وهي رقدة لا تجد ابلغ في الدلالة عليها من استهلال الحلوي احدى حولياته بهذا المطلع :

افق ايها الشادي فقد طلع الفجر
وولت بقايا الليل يحدو بها الذعر

وان كان الحلوي ليس من اولائك الذين يستغرقهم النوم ، لاننا نقرا له انتاجا متنوعا في غير مناسبة العيد ، ومن ثم استطاعت شاعريته ان تكسب مرونة ونزوعا الى الابداع ، وقد شارفه في حدود الصياغة التقليدية في قصيدته « تحية العيد » (1) التي استطاع ان يدمج فيها بجراة وصراحة ما كنا نعينا اغفاله على كثير ممن ينتجون قصائد في هذه المناسبة ؛ لقد استطاع الحلوي في « تحية العيد » ان يعبر عن كفاح الملك وثباته امام الخطوب :

عركت العوادي وهي جامحة الهوى
فاعجبها الا يهون ابنها البكر

وصارعتها والجو اسود قاتم
وقد دب في الآفاق واندلع الشر

بثاقب فكر تستضيء به الدجى
ونافذ عزم لا يقاومه الصخر

فوات فلول الشر يقتلها الاسى
واوجههم صفر وايديهم صفر

وكم فتلوا حبل المكايد بينهم
لنيل منى احلى مناهلها مر

ولما ارادوها والقوا حبالهم
اليك فالقيت الهدى ، بطل السحر

ولايني ان يعبر في صراحة وجراة كذلك عن آمال الشعب في الحرية والاستقلال وما كان الشعب يعلقه من آمال على محمد الخامس الذي يقوده الى النصر الموعود .

ابا النصر تمم ما ابتنيت فما بقي
لفوزك الا قاب قوسين او شبر

فحقق اماني امة ضاق ذرعها
وارهقها الحامي واثقلها الاصر

تريد حياة تحت تاجك حرة
وتطلب حقا ليس عن نيله صبر

ستبذل في آمالها كل ما اجتنت
قواها فان عزت فارواحها مهر

فان تبغها سلما فللسلم سعيها
وان تذكها نارا ففيها لها جمر

---

1) نشرت في العدد 134 من رسالة المغرب (نونبر 1951) وقد حصلت على الجائزة الملكية الاولى

تقدها الى الشط الامين سفينة
تقاذفها في سيرها المد والجزر

وخصها فعين الله يقظى ونوره
دليل ، ونجواه المعونة والازر

وقل ان جرؤ شاعر في فترة الحماية على ان يتحدث عن تلك الآمال بمثل هذه الجراة ، فكثيرا ما يعمد اكثر الشعراء الى التلميح في بيت او بيتين ، بينما تحفل باقي الابيات باوصاف ومعان مكرورة ليس فيها من جديد ، ولا تجسم بحال سر عظمة محمد الخامس التي تتجلى في كفاحه النبيل ، وهو سر شخصيته الفذة التي تميزه عن الملوك في كل زمان ومكان ، والحلوي نفسه لم نعهد منه مثل هذه الجراة في قصائد الاعياد الاخرى ، كما لم نعهد فيه هذا الاقلال من تلك الاوصاف والمعاني القديمة التي تراها في « تحية العيد » نادرة ، او اضفى عليها حلة جديدة كقوله :

ولما ارادوها والقوا حبائلهم
اليك فالقيت الهدى بطل السحر

وهو قريب من قول ابن زيدون :

مضى نفثهم في عقدة السعي ضلة
فعاد عليهم غمة ذلك السحر (2)

وتحية العيد تحملنا على ان نشهد للحلوي بطاقة شعرية غنية ، ومتمكنة كل التمكن من افانين القول عند الاقدمين :

فولت فلول الشر يقتلها الاسى
واوجههم صفر وايديهم صفر

ويحملها العيد السعيد عرائسا
غلائلها نور وهالاتها نور

شمائلك الازهار فواحة الشذى
ووجهك وجه الروض يغمره البشر

عصامية في نبعة من نبوة
وعزة ملك ملء ابرادها الفخر

واذا كنا نلمس في هذه القصيدة مدى التقدم الذي حققه الحلوي في حدود القالب التقليدي بالنسبة لما سبق ان نظمه في نفس المناسبة ، فاننا لا نلمس شيئا من ذلك عند الشاعر عبد المالك البلغيثي ؛ وكأن شاعريته احست انها من الذروة بالمكان الارفع ، فانعدم فيها الطموح الى المزيد من الابداع ؛ نقول هذا عندما نعرض لقصيدته « من وحي عيد العرش » (3) وقد نظمت وقصيدة الحلوي في سنة واحدة ، ففيها نلتقي بشاعرية البلغيثي كما عهدناها فياضة زاخرة ، متمكنة هي الاخرى من افانين القول عند القدامى ، في دائرة الموسيقى الاتباعية ، والصيغ المأثورة ، ولا نعدم فيها بعض الجراة في الاشارة الى الجانب النضالي عند محمد الخامس بكيفية اكثر حذرا مما راينا عند الحلوي:

لمن الثبات على المبادىء عندما
ذابت عزائم في مواقف تبهر

اوحدا شعبا غزاه تخاذل
وتدابر وتخالف وتعثر

فتناسقت اغراضه وميوله
وغدا بواجبه المقدس يجهر

يا عابرا بالشعب فوق سفينة
لذرى النجاة بعزة لا تكسر

فدع الذين بغير شرعك آمنوا
فهم الذين عن النجاة تأخروا

ومن الذي يرتاب فيك وانما
نظروا باعينهم ولما يبصروا

ايمانك المثل الذي لو يتحدى
بلغوا به ما يستحيل ويعسر

ذكرتهم بالله ثم بوعده
والذنب ذنبهم الذي لا يغفر

---

2) من قصيدته التي يمدح بها المعتمد ويرثي اباه المعتضد بالله ، ومطلعها :
هو الدهر فاصبر للذي احدث الدهر ❋ ❋ فمن شيم الابرار في مثلها الصبر
3) نشرت بنفس العدد الذي نشرت به قصيدة الحلوي (رسالة المغرب) .

فاذا عزمت فكل امرك نافذ
واذا اردت فظافر ومؤزر

هذي الحقيقة والعيان كفى بها
فليومنوا من بعدها او يكفروا

ومع ذلك لا تشعرنا القصيدة باكثر مما كانت تسعفنا به شاعريته فى قصائد اخرى فى نفس المناسبة

وهناك حدث وطني هام ، هو الزيارة الملكية التاريخية لطنجة (4) وهو حدث له دلالته البعيدة ومغزاه الوطني العميق ، لانه حطم تلك الحدود المصطنعة بين اجزاء الوطن ، ولان الملك حدد فيه بصراحة وايمان موقفه من القضية الوطنية الكبرى ، واعلن فيه ان المغرب جزء لا يتجزء من الاقطار العربية والاسلامية ، دحضا لخرافة الوحدة الفرنسية التي جندت الحماية ابواقها للدعاية لها ؛ فهل استطاع شعراؤنا ان يصوروا هذا الحادث العظيم ، ويتعمقوا مغزاه الوطني وقيمته التاريخية ؟ الواقع اننا لا نجد شيئا من ذلك ، فعبد الغني سكيرج مثلا فى قصيدته « ليالي الملك الخالدة بمدينة طنجة » (5) لم يات بشيء يستحق الذكر ، بل اننا نراه فى نحو خمسة عشر بيتا يجتر مفهومات متناقضة عن الشعر ، وقيما جديدة ان صح ان توسم بالقيم :

ولقد هجرت الشعر قبل اوانه
وارحت منه خواطري وجهودي

وتركت راويه وطالبه معا
يجري مع الغاوي وراء الغيد

لم الف من دهري مجازاة على
حب القريض ونظم كل خريد

فتركت قرض الشعر لا اهفو الى
رشا ولا اصبو لهيف قدود

وربات بالنفس الابية وانثنى
مني العنان لطارفي وتليدي

ورجعت لا الوي على نهج الادب
ب ، ولا على منظوم كل مجيد

او كلما شاد المشيد بناءه
شاد الاديب له بناء قصيد ؟

او صاغ رب الحلي تبرا خالصا
صاغ الاديب له نضار خدود ؟

لا يستوي البنيان عند تمامه
شتان بين مسود ومسود !

بعد هذا يقول :

لولا الوفاء لموكب متهلل
متوج بالنصر والتاييد

اغرى الخيال على الغواية والهدى
وعلى الغرام بركبه المحدود

ما كان لي فى الشعر عودة عائد
يوما ولا الوبت فيه بجيد

فاذا عدنا الى ما بقي من ابيات القصيدة ، متعشمين ان يقول شيئا فى صميم الزيارة ، لم نجد اكثر مما ياتي :

ملك اعاد الى البلاد فخارها
ورمى بها فى مطمح التجديد

احيى بزورته البلاد فازهرت
والشعر اخصب قبل ورق العود

احيى البلاد معاملا ومعاقلا
وحبا العباد بنيل كل مفيد

لما وفيت الى البلاد وفت لها
زمر العلى فى المشهد الموعود

---

4) كانت الزيارة الملكية لطنجة بتاريخ 9 ابريل 1947
5) نشرت بالعددين الثامن والتاسع من رسالة المغرب ، وقد صدرا معا فى مجلد واحد (مايو 1948)

احييت فى التجوال سنة من مضوا
آبائك الغر الكرام الصيد

ذكرتنا عهد « الوليد » بزورة
واقمت للاذهان عهد « رشيد »

واقمت فى كل البلاد معاقلا
تدعو دعاء النصر والتاييد

من لم يكن يدري السعادة فهو فى
هذي الليالي الغر جد سعيد

فلتحي فى كل البلاد باسرها
وليحى ذكر من تمام صعود

فاين هذا مما كان يجب ان يقال فى مناسبة فريدة من نوعها كهذه المناسبة الخالدة ؟

وهناك ظاهرة بارزة تمتاز بها هذه القطاعة ، واعني بها ظهور لمحات رومانطيقية وابتداعية عند شعراء هذه الطائفة ، فلقد فسحوا المجال للعاطفة والطبيعة والخلجات الذاتية ، كما برزت النزعة الفردية بشكل مرموق واصبح بوسعنا ان نقرا شعرا وجدانيا وقصصيا ، وروائيا كذلك ، ونعتقد ان ظهور هذه اللمحات راجع الى التاثر باشباهها عند شعراء هذه المدرسة بالمشرق ، ولا سيما من درج منهم فى مدرسة (ابولو) على اننا لا ننكر ان من بين شعرائنا من كان تاثره عن طريق الشعر الاروبي علاوة على ذلك ، ومن ثم كانت هذه اللمحات عندهم اعمق دلالة واوسع خيالا واقرب الى التعبير الحي ، ولنقف على ذلك عند الشاعر عبد المجيد بن جلون فى قصيدته « من انت » ؟

قد نسيت النجوم والبدرا
وجمال المساء والسحرا
نفذت بي هواجس الذكرى

من خلال النجوم والبدر
نحو ماض من الصبا ولى

فاذا بالظلام ينحسر
عن رياض بالنور تزدهر
كل ما فى ارجائها نضر

رقصت بالخيال والسحر
نورها الغض يدد الليلا

لم يبدو نور ليهديني
بين فوح الازهار يرشدني
نحو قصر اشم ادهشني

فاذا بي فى ساحة القصر
مفردا والفؤاد قد ضلا

غير اني سمعت من حيا
فاذا بي رفعت عينيا
شاردا نحو شرفة عليا

انت .. من انت .. ؟ ليتني ادرى
انت شخص عرفته .. كلا (6)

انا طيف نسيت ذكراه
يوم كانت دنياك دنياه
وتلاشى عهد قضيناه

لم يعد للغرام من ذكر
سحره من فؤادك انسلا

فتنتك الحياة عن عهدي
فاذا بالغرام من بعدي
مثل روض للزهر والورد

مزجته الرياح بالقفر
واحالت بهاءها محلا

من انا .. ؟ هل نسيت ايامي ؟
ونسيت السلاف من جامي
حين اسكرت روحك الظامي

وسرت فيك نشوة الخمر
فرايت الحياة من اعلى

---

6) نشرت بالعدد 139 من رسالة المغرب (ابريل 1952) سقت القصيدة بكاملها لبنائها على نحو قصصي

من انا ... ؟ قد شربت من كاسي
شهد حبي وذوب احساسي
وعبيري وعطر انفاسي

كنت ملكا لحبك الشعري
لم اكن احسب الهوى يبلى

ايقظ الوخز قلبي الحالم
وتلاشى خيالها الساهم
فاذا بي على الثرى قائم

كنت ارنو الى سنى البدر
من غيابات ارضنا السفلى

فتن الدهر قلبي العاني
عن وفائي لعهد خلاني
فاغفري لي ... فان اشجاني

فتنت مهجتي فما ادرى
اجنونا ازداد ام عقلا

ولنسق له هذين المقطعين من قصيدة « اللقاء الاخير » (7)

آه ! ومرت ثوان
ونحن منشدهان
قلبان مختلجان
نفسان شاردتان
في عالم روحاني
تضج فيه الاماني

قد كان بالامس يزخر
لكن خبا وتبعثر

وبات مثل الحطام

تبسمت لي اخيرا
حفاوة وسرورا
فعدت طفلا صغيرا
طفلا صغيرا غريرا
بوده ان يطيرا
يهذي ويهذي كثيرا

مسائلا كيف كانت
حياتها منذ بانت

في سالف الايام

ولعلنا في النموذجين السابقين استطعنا ان نلحظ ابعادا وجدانية جديدة ، غنية بالامكانيات خصبتها قيم جديدة ، رغم انها لم تخرج عن اطار التفاعيل المعهودة في الشعر العربي ؛ ورغم ان هذه التفاعيل لم تستغل استغلالا حرا على النحو الذي نلاحظه عند رواد الشعر الحر في الشرق ؛ وان كنا لا ننسى ان الشاعر لم يخضع لضغط القافية الرتيبة ، بل لجأ الى تنويعها وتلوينها كذلك بما يتفق والانفعالات الوجدانية المختلفة في القصيدة ؛ ونفس هذا نلحظه عند (عبد السلام العلوي) في قصيدته « انت » (8) ولنقتبس منها هذين المقطعين :

لحظك الساجي لاعصا
بي هدوء وسكون

انهل الراحة منه
ان امضتني الشجون

وارى فيه رشادي
ان رمت بي الظنون

فاذا غاض شعوري
كان لي منه معين

واذا ما حار لبي
جاءني منه اليقين

انت روح من جنان
ساقها حب طهور

انت لو شئت لغنت
بقوافي الدهور

انت لو شئت لفاضت
دمعاتي كالبحور

انت لو شئت لعادت
لي ايام السرور

---

7) نشر بالعدد 144 من رسالة المغرب (شتنبر 1952)
8) نشرت في رسالة المغرب بالعددين 5 و 6 وقد صدرا معا في مجلد واحد (يبراير 1948)

انت يا انت وما انـ
ـت سوى محض غرور

ومثل ذلك نلحظه في مثل قصائده التالية : « عند الفجر » (9) و « الشبح الابيض » (10) و « بين شاعر وطائر » (11) ولا نعدم مثلها عند الحلوي في « عهد الربيع » : (12) .

تذكرت عهد الربيع الجميل
فهلا تذكرته يا وداد ؟

تذكرت عهد الاماني العذاب
فهاج لذكراه مني الفؤاد

وعاودني الحب في جدة
فسر فؤادي بحب معاد

وظلت على الرغم مائلة
رؤاه تزهدني في الرقاد

وتغمر قلبي بانوارها
فيشرق في فترات البعاد

رايتك في النهر اول مرة
فحولت وجهك ترغب (كذا) ستره
وزودت قلبي منك بنظرة
اذاقته حلو الغرام ومره

وفي « ميلاد الزهور » (13) في مقاطع متنوعة القافية ، وان كان المقطع منها قد يمتد الى عشرة ابيات تختم بقافية هي نفس القافية التي تختم بها باقي المقاطع :

حي يا شاعر ميلاد الزهور
حي عرش الحب في قلب العصور

وامزج اللحن بانفاس العطور
صافيا كالجدول الفاني الطيور

صغ من الزهر اكاليل شعور
دافق من فرحة الزهر بفور

واغتبق منه بكأس لا تدور
خمرة تنسيك اكواب الخمور

صبها الليل وجلاها البكور
وسقتها الشمس في نور ونور

في وريقات نديات الصدور
تشتهي تقبيل مجلاها الثغور

وانشد ملء الكون فالكون فخور
ان يسير الشعر في ركب الزهور

واغتنم من عيشك الصفو الوديع
انما الشاعر دنياه الربيع

ويختم المقطع الثاني بهذا البيت :

كل ما في الكون من فن رفيع
انما تلهمه دنيا الربيع

والمقطع الثالث بالبيت التالي :

ضاع عمر ـ وشقاء ان يضيع ـ
لم يمتع بازاهير الربيع

والمقطع الرابع :

لم يضع من عمرك الغالي ربيع
ما ارتوت روحك من دنيا الربيع

والخامس :

يا كريم السحب في الجدب المريع
انت لولا انت ما كان الربيع

---

(9) رسالة المغرب العدد 4 (دجنبر 1942) .
(10) الثقافة المغربية العدد 6 (فبراير 1943) .
(11) الثقافة المغربية العددين 4 و 5 (نونبر ودجنبر 1941) .
(12) رسالة المغرب العدد الخامس السنة الثانية (يناير 1944) .
(13) رسالة المغرب العدد 139 السنة 11 (ابريل 1952) .

والسادس :

لا تجــم غــادة الا تميــع
انما الحسناء دنياها الربيــع

والاخيــــر :

يا مجالي الانس بالوادي المريع
جادك الغيث وحياك الربيــع

وقد اطراها المرحوم ابو شادي فى حديث لــه اذيع بصوت امريكا ونشر باحد اعداد مجلة رسالــة المغرب ونشره الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجــة بالجزء الثاني من كتابه « رائد الشعر الحديث احمــد زكي ابو شادي » ونراه فى قصيدة « هوى شيخ » (14) يخضع للقافية الرتيبة مما حــدد من امكانية الاداء الحي ، لاسيما والقصيدة من الشعر القصصي الــذي تسعفنا هذه القطاعة بنماذج منه لا باس بها مثــل « حكاية شجرة » (15) لحماد العراقي ويقول فيها :

وانا هنالــك غــادة فينانــة
القى علي الحسن خير ثيابــه

وفت الطبيعة لي فكنت عروسها
قد زدت للبستــان فى اعجابــه

غصني النضير يميل فى ورقاته الـ
ـخضرا ويرفل فى بهاء شبابــه

وزهوري البيضاء تنعش انفسا
وتباعد الهموم عن اوصابــه

قد يضجر المشتاق حتى ان راى
طيفي الجميل كفاه عــن احبابــه

و « دعيني انام » (16) لعبد القادر حسن ومنها :

دعينــي دعينــي انــام
فمنــذ بعيــد جفانــي المنام

قضيــت السنيــن افتــش عن
منى النفس والامــل المشــرق

فلم ار غيــر شقاهــا ولــم
يحــل ضميــري ســوى القلق

وليــس لما ابتغــي غــايــة
وكم فى طريقي مــن مزلــق

دعيني انام الــم تبصــري الــ
ـسعادة فى الحلم الشيــق ؟ .

فيــا حسنها حينما حلقــت
كمثــل الفراشــة فى الافــق .

مــددت بكفــي لاقتنصهــا
ولكــن كفــى لــم تلحــق

دعيني انــام لعلــي ارى الــ
ـسعادة فى نومــي المطبــق

و « توبة الشيخ » (17) لادريس الكتاني :

صد ـ واحزنــاه ـ عنــي
قــالبــا ظهــر المجــن

طاعنــا بالهجــر قلبــي
ساخــرا بالحــب منــي

ويحــه مـــن رشــارا
قــد اجفــان اغــن

ناعــم الاطــراف عــذب الــ
ــروح ذي لحــن مــرن

باســم الثغــر قسيــم الــ
ــوجــه لــدن منثــن

ونستطيع ان نقرا لهذا الشاعر قصائد من الشعر الوجداني الرقيق ، منها قصيدة « بدريتــي » (18) وللشعر الوجداني فى هذه القطاعة نصيب الاســد ، ونستطيع ان نحكم من الآن بانه طغى على الشعــر النضالي الذي راينا انه كان بارزا عند شعراء الطائفة

---

14) رسالة المغرب العدد 1 الســنة الثانية (اكتوبر 1943) .
15) الثقافة المغربية العدد 2 السنة 2 (اكتوبر 1942) .
16) الثقافة المغربية العدد 1 الســنة الاولى (غشت 1941) .
17) الثقافة المغربية العدد الثالث الســنة الاولى (اكتوبر 1941)
18) الثقافة المغربية العدد 1 الســنــة 2 (شتنبــر 1942)

الثانية ، ويطول بنا الحديث لو اننا حاولنا ان نسوق امثلة متعددة لذلك ، غير اننا لا نرى باسا فى ان نسوق نماذج لشعراء من هذه القطاعة لم نذكرهم حتى الآن ، فنقتبس ابياتا من « ابنة الليل » لعبد الكريم التواتي :

يا ابنة الليل من للحظك اوحـــ
ـــي السحر والطهر والهوى المتاما؟

من فى خديك صور الزهر ريــا
ن نديا ففاح عطــرا وضاعـا ؟

يا ابنة الليل ما لصدرك يهتـ
ـــز فتشجي دقاته الاسماعا ؟

ولنهديك يعلوان كأن الصد
ر قد ضاق عنهما وتداعــى ؟

انت للحب مشعل فهبي لـــي
منك نورا وهبني اشعاعـا

وقصيدة « ايها المذكي هيامي » (19) لابي بكر اللمتوني :

ايها المذكـي هيامـي	اسقنـي كـاس مـدام
ليس الا الخمر تلطيـ	ـفا لنيـران غرامـي
ان حبي مـن لهيـب	وفـؤادي مـن حطـام
فاسكب الخمر عليـه	تنتشلـه مـن ضـرام
غير ان الوصل اولـى	مـن تـداو بالحـرام

*

خـاب فالي فى وصالك	فليحقـق فى زلالـك
علـه يرفـع روحـي	لسمـاوات جمالـك
نقص ارضي مستعيـد	بسمـاء مـن كمالـك
ولهيبـي يتشـهـى	مـستظلا مـن ظلالـك
ومنـامـي يتـمـنـى	ان يرى طيف خيالـك

و « شلال العذارى » (20) لادريس العلمي وفيها يتغنى بجمال بلاده .

نشيدك افعمني بالجذل	واسكرني برحيق الامل
غنـاء ثملت بانغـامـه	وماكنت اعرف طعم الثمل
هو الحب منبـع الهامه	ولكن سماعي معالي الغزل
نشيـد تقدس ترتيلـه	واكبره الفكر لما عقـل

وباركـه اللـه منذ الازل

وفيهـا يقـول :

فمـالـــي الام بـالـحـانـه
وذكـر غـرامـي باوطـانيـه ؟

اراد علـــى حـب نـاهـدة
اجـن بهـــا مـلء اسـعـاريـة !

فما الفـن رهـــن بمعشـوقـة
ولا الوحـي وقف علـى غـانيـة

وهـل يتشبب مـن فى القيـود
بغيـــر سعادتــه الماضيــة

وحريــة اصبحـت تاليـة

ونستطيع ان نعثر على فلتات من الشعر الرمزي عند المرحوم احمد لحلو فى قصيدته «زهرة عبقر»(21)

ارج النبـوغ مـن الخلـود مهبـه
مـن زهـرة علويـة نفحـاتهـا

فى روض عبقـر اينعت ، فتفتحت
فتضـوعت فاستنشقت شماتهـا

فاحت فاسكرت النفوس بعرفهـا
لله كم تـسـبـي الـورى خطواتهـا

هبـت هبـوب نـسـالـم باريجهـا
تحيـي ذيـول ازاهـر هبـاتهـا

هذا الاريج العبقـري لـو انتشت
منه الدنا ما دامت بـه رقصاتهـا

عطـر كعطـر الخلـد دام هبوبـه
كـم روضـة رفت بـه زهـراتهـا

وتستمر القصيدة على نحو من هـذه الضبابية اللذيذة .

(يتبـع)

---

19) رسالة المغرب العدد 7 السنة السابعة (مارس 1948) .
20) رسالة المغرب العدد 145 السنة 11 (اكتوبر 1952) .
21 الثقافة المغربية العدد 8 السنة الثانية (مايو 1943) .

القرد والديك

للاستاذ عبد القادر السميحي

كان الاستاذ عبد القادر السميحي قد بعث الى المجلة بمقال تحت عنوان : « مع حكيم القردة » وبعث مع المقال صورة لقرد يضرب على الآلة الكاتبة ، طلب الينا ان ننشرها مع المقال .

وفي العدد الرابع من السنة الثانية نشرنا معه الصورة . وفي العدد الخامس بعده علق على المقال الاستاذ محمد العربي الخطابي في باب « العدد الماضي في الميزان » بقوله :

وحيث انني لا استسيغ في الادب والسياسة ان يتحدث قرد بلسان البشر ، لا سيما حين يريد الكاتب ان يجعل من القرد حكيما ، فانني لم اتذوق ما كتبه السيد السميحي على لسان هذا الحيوان ولم اطرب له . وقد جرت العادة ان ينطق الكتاب حيوانات اليفة تعيش مع الانسان مثل الحمار والكلب والديك ...

وننشر اليوم هذا المقال للاستاذ السميحي الذي بعث به الينا ، يعتب على كون المجلة لم تنشر صورة القرد مع مقاله السابق ، ويرد على الاستاذ محمد العربي الخطابي .

حينما اكدت على ان تنشر صورة القرد ، الذي يضرب على آلة كاتبة ، في مقالة « مع حكيم القردة » كنت اعني بوضوح ما لهذه الصورة المعبرة من ترابط موصول التأثير بالموضوع بوجه عام ، فضلا عن الترابط التكاملي بين الطرفين ، ونقيض ذلك ما حدث لاسباب ، قد يكون من ضمنها وجوب طلب الاذن مقدما ، تبعا لقانون حقوق النشر ، الخاص بالصور ، والمقالات .

وهكذا فقد المقال عنصرا حيويا معبرا ، وقد كان الهدف من ذلك في الدرجة الاولى ، هو الاتجاه المعروف بفن السخرية عند «برناردشو» وغيره ، وهو مذهب يصور الحقيقة الانسانية ، عارية بلا دثار ، حتى من ورق التوت .. لا علينا ، والمهم ، ما لوحظ من رأي حول المقال ، وهو مجرد من الصورة مصدر الموضوع « من ان العادة جرت على ان يستنطق الكتاب حيوانات اليفة مثل الكلب ، والديك » .

هل حقيقة ان الكتاب التزموا التمسك بهذا المفهوم بكل دقة ، بحيث لم يتجاوزه الى ما عداه من الكائنات الحية .

ولماذا كل هذا التضييق على حرية التعبير في مجال الادب ؟ وهل طبيعة الفن تقبل الالتزام بمذهب دون آخر ؟ ما قطع احد بامر كهذا ، فليس اضر بالادب من محاولة كهذه ، والمعروف ان الادب تناول بوجه خاص سائر مخلوقات الله من الحيوانات ، من بعض امثلة ذلك كتاب « كليلة ودمنة » و «وتوماس هاردي » وشوقي والمعري ؛ والمهم دائما في فن الادب، هو العمل الفني ذاته بصرف النظر عن الوسائل التي اتخذها واستغلها اي كاتب لبناء عمله الفني ، سواء كانت مستمدة من الطبيعة البشرية ، والمواضعات الاجتماعية ، ام من غيرها من طبائع الكائنات الحية . فالذي يظل للبحث النظري ، هو النص الادبي ، هو الغاية نفسها ، والى اي مدى نجح موضوعا ما ، في احداث الاثر النفسي في الآخرين ... وهل في الامكان ان يقتصر على عنصر من عناصر الحياة ، دون بقيتها؟ وهي التي ظلت ، ولا تزال مربوطة مثله بعجلة الحياة . .

ان الادب ينمو ويزدهر ، ويزداد حيوية ، واثراء وفنا ، ما تعددت وتكاثرت صور المرئيات البصرية ، مع تقدم الحضارة الانسانية ، وقد اكتسب الادب قيمة جديدة هي ما عبر عنها « بفجر الحس المشترك » وهي التي تعد « من مظاهر العبقرية الانسانية » على حد تعبير كل من «تاجور» و «جوتيه» وهي التي تفهمها بحساسية عميقة ، ذلك الشاعر الحالم « م. جويو » في كتابه « مسائل فلسفة الفن المعاصرة » (ترجمة الاستاذ سامي الدروبي طبع القاهرة) :

«انني اسير الوف المخلوقات التي احبها ، اذا هزتها خطرة من نسيم ، احسست ان شيئا مني ينتزع ، ويقتلع .. ولن يستطيع الانسان ان ينظر الى نفسه متسائلا عن هذا **النوع الادنى من الانسانية ،** التي تحيط به » .

وهذا « فيثاغورس » : « علم ، ان كل ما يولد وفيه دبيب الحياة ، ينبغي ان ننظر اليه جميعا نظرتنا الى ابناء الاسرة الواحدة » .

وشاعرنا العظيم « المعري » قد توصل الى معرفة هذه الحقيقة ، واحدث اتجاها في الادب العربي يتصف بالاصالة المذهبية الهادفة الى اتجاه يعرف اليوم « بالادب الملتزم » وجاء الكثير من اعماله الادبية معبرا عن هذه القيمة الجديدة في المضمون ، اتسع مداها الى ما وراء محيط الانسانية ، فهو

يؤمن بينه وبين سائر الحيوانات الى ان تأمن بجواره، ويخاطبها بقوله : « فما بيني وبينكما فرق » وتشكل هذه الفلسفة العلائية نظرية جديدة في الادب ، وجاءت هذه الجدة من ان مضمونها الحي لا يقتصر على محيط الانسانية بل يشمل سائر الكائنات الحية، لا باعتبارها مخلوقات ادنى قيمة وجودية من الانسان ، ولا باعتبارها بالتالي مخلوقات مسيرة لمنفعة البشرية ورفاهيتها ، بل باعتبار صلة الاخوة بالمعنى الاعم « وما من دابة في الارض ، ولا طائر يطير بجناحية الا امم امثالكم » .

والادب في حياته الطويلة كان ، ولا يزال يعبر في الدرجة الاولى عن كل ما يتصل بالانسانية وعواطفها وتأملاتها ، واحلامها الجنسية ، اما ما دون ذلك من العلاقات ، والروابط النسبية بين الانسان وسائر الكائنات الحية ، فان التعبير عن ذلك كان يأخذ دورا ثانويا ، باعتبار ان هذه المخلوقات ادنى قيمة وجودية من الانسان ، ولانها منفصلة عنه في الجنس ، والطبيعة والسلوك ، وطريقة التعايش في الحياة ، والتجاوب في الشعور الوجداني ، مما جعل فيلسوف الشرق ، الاديب الشاعر « ميخائيل نعيمة » يؤكد هذه الحقيقة حين حدد غاية الادب ومن ان « ابراز الشخصية الانسانية بوصفها محورا للادب ، فكل ادب لا يعود الى الانسان ، ويمس الانسان في ضميره ليس ادبا » .

انه هو الذي يعترف في نفس الوقت والمكان بما هو حقيق في ذاته ، وخيري ، وصالح ونبيل ، فيقول : « والانسان لا يزال يترقى حينما يتعرى عن ذاتيته .. » ثم يضيف قائلا : « ان الطبيعة لا تزال تؤثر في نفسي ، لدرجة انني بت اشعر عندما المس الصخر ، كانني المس كائنا حيا » يا لهذه الحساسية العميقة في فهم الطبيعة ان تحليل الاشياء تحت المجهر ، وظهور الآلات العلمية الحساسة كشفت عن حركة الحياة في النبات ، والجماد مما جعل الادباء المحدثين يتفهمون حقيقة الحياة على نحو يتصف بروح العلم .

لقد ظهر حديثا عالم امريكي من علماء الكيمياء يقول بنظرية تثبت ان اصل الانسان من النبات ، وبذلك هدم النظرية الدرويتية التي تزعم ان اصل الانسان من سلالة القرود ، ان الادب لم يجهل هذه الحقيقة ، كما لم يجهل التفسير الديني لاصل الانسان.

ومقالة « مع حكيم القردة » لا اظن ان هناك حرجا في ان يتحدث قرد بلسان البشر ، لانه على زعم العلم اصل الانسان ، ولانه اسهل واطرف من ان يتخيل الانسان قردا ضخما في تكوينه العضوي ، الذي يضارع جسم الانسان ، وهو يلقي خطابا سياسيا امام مكبرات الصوت ، في قاعة هيئة الامم المتحدة ، وهو يؤكد معاني عبارته باشارات اليد ، وضرب المائدة .

وهو يخرج بعد ذلك من المجلس ، ويده في يد السيد « هامرشولد » ويقف ليتيح للصحفيين وشركات السينما والتليفزيون ، فرصة التقاط الصور التقليدية ، ان ذلك افضل بكثير من ان يتخيل الانسان ديكا يقوم بهذا الدور ان السيد «همرشولد» في هذه الحالة اما ان يضع الديك في كف يده ، واما ان يتواضع لحضرة الديك ، وينبطح على الارض ليشعره بمكانته .

ومن جهة اخرى ، فان التجارب العلمية اثبتت قدرة القرد على تمثيل ، وتقليد ما يؤمرون به ، ما هو من خصائص الطبيعة الانسانية ، فظهر اليوم في عالم الفن ، قرد فنان ، يملك الريشة ويرسم الصور بالالوان الطبيعية الزيتية ، والمائية .

وقد شاهدت في القاهرة شريطا سينمائيا صغيرا عن قرود حديقة الحيوان في المانيا ، انك تشهد حفلة ملاكمة داخل حلقة المصارعة ، المحاطة بالقوائم الاربعة الخشبية ، والحبال ، والابطال من القرود وقد لبسوا القفاز الجلدي التقليدي والمتفرجون من القرود ، وهم يصيحون ، ويشدون شعور رؤوسهم .

ويبدا الشوط بكل دقة ، حين يصفر الحكم ، وفي منظر آخر تشهد هذه الجماعة تمثل فرقة «الجازباند» بحركاته الجنونية ، ان القرد اصبح اليوم يقوم بدور رئيسي في الافلام في حركة متقنة معبرة مليئة بالانفعالات البشرية من ضحك وغضب ، والقيام بدور مربية الاطفال حين تغيب سيدة البيت يقوم القرد باعطاء بزازة اللبن الى الطفل ، وينظف فضلاته ولعابه . ان الفن اليوم اتجه الى ادخال العنصر الحيواني في الاعمال الفنية بصفة عامة ، بنفس النظرية التكاملية التي آمن بها « المعري » منذ الف عام .

ان احدا لم ينتقد اعمال « والت دزني » حين اضفى على صوره المتحركة ، ما هو من خصائص الطبيعة البشرية من افعال ، وانفعالات ...

معذرة ، اذا ما فهم من هذه المقارنة باعمال عمالقة الكتاب الادباء ، انني اتطاول الى هذه العلياء من الذرى الذاهبة في السماء انني قزم قابع في قاع المنحدر ، اترقب ما يتساقط غافيا من ريش اجنحة هؤلاء النسور ، المشرعة اجنحتهم بين الزرقة والسحاب والشموس .

العدد الماضي في الميزان

الأستاذ محمد رباح
عضو البعثة التعليمية للجمهورية العربية المتحدة
بالمغرب - تطوان

من الصعوبة ان نتناسى خطر الآراء الشخصية على الادب ، لانها في نظري قد تكون احيانا معاول تحطم البنيان الشامخ وتعمل نقضا في حجارته من اساسه . . . حملت نقد العدد الثامن — السنة الثانية — من « دعوة الحق » القراء والنقد عندي هو النزيه الذي يتوخى العدل ، ينأى عن الذات ويمس الموضوع ، يبني ولا يهدم ولا يهدف الى طعن ولا يجرح شعورا او يؤذي احساسا ، وقبل ان اعتذر — وسلفا — لمن سأتعرض لاعمالهم ، اقول : ليس من الحق في شيء ان نجامل بعضنا على حساب العمل الفني ، بل من واجبنا دوما ان نسعى فاحصين صادقين ، غايتنا البناء ، علنا نثري نقدنا الادبي بقيم مستمدة من انتاجنا نحن ، قبل ان نطبق عليه ما استوردناه من قواعد نقدية .

وما دمت سأضع العدد الثامن من « دعوة الحق » في ميزاني فهل احتكم الى منهج علمي اعتمده او مقياس ادبي اتكيء عليه ؟

انا مع **احمد امين** على طول الخط عندما يقول : ان الادب (**تفكير مستمر**) وانه (**ترجمان المجتمع**) وطبيعته (**المرونة لا الجمود**) وغايته (**الحق لا الجمال**) وعدته (**الانطلاق لا الفن**) .

فالاديب اذن يجب ان يلتزم قضايا الامة النابعة منها ، وان يكون هو المناضل الاول من اجلها وبوسائل الادب الحقيقي ، ولا يزال للادب وللفكر دور خطير في مجتمعنا العربي . فما هو الدور الذي لعبه العدد الثامن في هذا المضمار ؟

لئن اختلفت مع الكتاب الافاضل في نقاط فالاخلاص اولا يحدوني والاعجاب قد سبق ، فلقد كشفت مقالات هذا العدد عن مدى تجاوب من كتبوا مع القضايا الثقافية لواقعنا العربي ، وظهر العمق واضحا في تناول الموضوعات .

تطالعك (**كلمة العدد**) والتي لابد وان تكون كذلك ، لانه لا يمكن لدعوة الحق ان تغمض عينيها عن مهرجان ثقافي رائع ، وعن تظاهرات ادبية استمرت اسبوعين ، تلاها اسبوع برجسون ، ولا حرج ايضا ان تحدثت المجلة عن رسالتها في المضمار الثقافي ، ويعجبك حداؤها وهي تهيب بالمثقفين ان يزوروا بين الحين والحين الشعب ، ويتصلوا به ليأخذوا بيده وانا ازيد (**ليتعلموا منه**) . جميل جدا ان يبتعد المثقف فترات عن زيف المدينة يتصل بالشعب يدرس مشاكله ولكن على شرط (ان يضع لها الحلول) .

وبعد ان اطلعنا على الاحصائية التي قدمتها المجلة عن النشاط الثقافي الذي عم هذا القطر العربي خمسة عشر يوما ، هللنا للمراة العربية في المغرب اذ قد ساهمت في هذا النشاط . ولا يسعني الا ان اشارك المجلة تمنياتها الحارة في ان تتسع دائرة نشاط (الموسم) اكثر ، وان لا تنقطع ، لان الاديب المناضل حقا لا يعترف بان نضاله يحصر في اسبوعين او في سنتين .

ولي ملاحظة برزت من مشاهداتي في ذينك الاسبوعين : وهي ان جيلنا العربي الصاعد — شبابنا الصغار — كان اشد اقبالا وحماسا وحيوية من الجيل الذي يتمطى على السطوح ويتهافت على المنافع .

وبعد (**كلمة العدد**) قرانا في دعوة الحق نص (**الخطاب الملكي الذي اعلن فيه النفير الثقافي العام**) ولا غرابة في ان يقول جلالته : (**ان المعرفة لا تحد بزمان ولا تحول ضرورة بين المرء وبين التماسها**) فهي الثقة بالنفس ، هي الثقة بالشعب ، هي التجربة التي عاشها الملك ، لان المعرفة هي الحرية التي لا تحد بزمان ولا يحول حائل بين المرء وبين التماسها . فمن اجل الحرية ثار المغرب وثار الملك ، فتحطمت صخرة كانت تحول دون الانطلاق الى

المعرفة ، فعلى الشعب العربي في المغرب ان يكون كمليكه واثقا من نفسه ومن قدرته على الوصول الى المعرفة ، ولابد من الاعتراف بانه بين الشعب – غالبية الشعب – وبين المعرفة التي يصبو اليها الشعب ويصبو اليها الملك ، طريقا مليئة بالاشواك . ولكن لابد لنا ان نتفاءل مع الملك ولابد لنا ان نبتسم معه وان نعمل كلنا ، ولابد لاهدافنا واصلون .



الاستاذ محمد رباح

وفي المجلة **(خطاب لولي العهد المليء بحيوية الشباب وحماس الشباب)** يعتب ويشد مهمازه على **(الكسالى)** يتململون ، وان ظروف الشعب العربي في المغرب أثناء صعوده بعد سنوات وسنوات من العنت والاضطهاد ومن الخمول والركود ، وظروف المعركة العربية في الجزائر والتي لا يمكن الا ان تكون معركة عرب مراكش ، والانتفاضة القومية في كل اقطار الوطن العربي ، لتضيف صوتها الى **(المواطن الامير ولي العهد)** وتقول كما قال بان ماضينا وواقعنا مادة خصبة لمن يريد أن يعيش مع الشعب وللشعب ، واني لمطمئن الامير اذ لمحت على جباه شبابنا الصاعد بريق امله ، **وكله امله فيك وفي ان لا تلهيك مهمتك العظمى في بناء القوات المسلحة عن المشاركة دوما في معركة انشاء القاريء باللغة العربية وحينها – يا سمو الامير – متى كثر القراء باللغة النابعة من ضمائرهم – نعم حينذاك يتحقق املك العظيم في انبثاق عدد اكبر من الفطاحل المبدعين الناشطين ، ويومها ننبذ (الكسالى) نبذا يا سمو الامير .**

ثم تواجهك في العدد **(كلمة لوزير التهذيب الوطني بمناسبة الاسبوع الثقافي ايضا)** تدور حول : **(حفظ الثقافة في التربية الدينية)** وخطابه في الواقع ليس كلمة، بل هو مقال جاد وهام ، والوزير يواجه موضوعه مواجهة تاريخية علمية تحليلية ، كان بارعا في تخطيط القيم والاساليب ، واهم ما في المقال انه تناول الموضوع باحساس فتمثل لتاريخنا الثقافي وعوامل تطوره وكذلك نوع فهمه لواقعنا الحديث القديم معا ، ولا يسعك الا ان تحترم جدية دراسته وسمو مقصده ، ولا اكون مبالغا اذا قلت بان الموضوع كان نموذجا رائعا في تسلسله السلس البديع ، بحيث اصبح مترابطا كل الترابط ، متكاملا كل التكامل ، وما اجمل قول وزير عندما يقول : **(ان اكتساب المعرفة ليس غاية في حد ذاته وانما هو وسيلة للافادة في الحياة)** ثم يقول في تسلسل محبب : **(ويشترط وجود عوامل لتؤدي هذه الرسالة : ادراك الواقع – اكتساب المعرفة – الرغبة في الانشاء – التشبع بالحياة الجماعية –)** .

وباختصار الدعوة قائمة بان يجد المرء نفسه ويدرك سبب وجوده ثم يتحمل رسالته بكل مسؤولياتها .

ثم ينتقل الى مناقشة تلك النقاط نقطة نقطة وبهدوء لا يمل ، ثم تنسجم في المقال السياسة الدينية مع التربية الشعبية فينتقل بك الى **(الوسائل التي استخدمها قادة الفكر الاسلامي لنشر هذه الثقافة عن طريق التربية الدينية)** ويبين تطور ذلك مع تطور الامة ، يعالج **(دور العبادات من شهادة وصيام وحج وصلاة وزكاة ثم دور الجهاد الذي اضافه الخوارج ركنا سادسا لهم)** ثم روح التعاون الكامنة في الاسلام ثم يبين لنا اساليب ووسائل نشر الثقافة والتشجيع على المزيد منها ، ودون ملل يسير بك الكاتب الى (لابده) – **(لابد ان توجه ثقافتنا توجيها صحيحا لئلا نسير في منعرج الطريق بدلا من ان نسلك الصراط المستقيم)** ولابد من **(لكن)** يا معالي الوزير ، وقبل **(لكن)** لابد من الاعتراف بأن قدر جيلنا كان قاسيا ، فتوجهت ثقافة قسم منا وسارت في منعرج ، ولا ثقافة لقسمنا الباقي الا ما كان نزرا ويسيرا .

انني ارى يا معالي الوزير ان الانسان كلما قطع شوطا من الطريق يتحتم عليه ان يقف وان يلتفت حوله ، فقد يكون ضل طريقه فان كان – لا – عزم وسار ، وان كان قد ضل يا معالي الوزير فلابد له ان يعود الى نفس المكان الذي ضل عنده الطريق ثم يبتسم ثم يسير .

سمعنا رايك وانت الوزير الذي وضعت فيك آمال وآمال — ولكل راي وجهان — وجهه الظاهر ووجهه الباطن — **(وجهه النظري ووجهه العملي)** تعال اهمس فى اذنك يا معالي الوزير وباسم كل قاريء لمقالك : **(المقود فى يدك والامكانيات بين يديك)** ونقول لك ايضا بانا صفقنا طويلا لمقالك ولارائك ولاسلوبك ونعو الى **(لكن)** لكن الشعوب عندما تريد ان تجرب انسانا تسلمه سلطة ... ولكننا ايضا سنصفق طويلا وطويلا يا معالي الوزير يوم يتم على يديك بعث قيم امتنا ، فتضعك اجيالنا الصاعدة فى القلوب ، يوم تجد انك نقلت تنهيجك عملا **« تنهيجك الذي لمحناه فى مقالك »** ويوم تجد نفسها وقد اخذت مكانها تحت الشمس لتضاف قوة جبارة تعمل على بعث العرب كل العرب . كلنا امل وكلنا تفاؤل ...

ويحلو لي اخيرا ان اترنم على جملة فى مقال الوزير تفيد بأن عصور الانحطاط قد عجزت عن ان تطفيء جمرة ثقافتنا بل **(ظلت كامنة تحت الرماد تنتظر الفرصة السانحة لتشتعل)** .

انها صفة الخلود التي تتسم بها امتنا ، فيوم واجهت الفناء انحسرت فى قراها وبيوت شعرها تستجمع قوى الخير فيها وتطرح قوى الشر عنها ، الى ان رايناها اليوم كما قلت انت عملاقا جبارا ينطلق من قمقمه ولكن بكل امكانياته ، بل لقد زاد الالم امتنا شدة ومعرفة وانسانية حيث نرى العربي اليوم يثور فى عمانه وجزائره ، بعد ان ثار فى مراكشه ودمشقه وقاهرة اعدائه ، فيدهش العالم اجمع ، وما ذلك الا لان ثورته عقائدية نابعة مما شددت انت عليه فى مقالك الا وهو **« التربية القومية المؤمنة »** .

واما موضوع **(السلفية للعلامة عميد الجامعة «محمد الفاسي»)** فهو فى مستوى سابقه من حيث الموضوع **(ذاته)** ومن حيث اثارته على هذا النحو ، ولقد حقق الغاية من اثارة موضوعه ونجح نجاحا باهرا فى ذلك ، واما احوجنا لمن يعيد لنا صفاء ديننا بعدما زيف المزيفون وبعدما حبر الكهان — منا — ما احوجنا لمن يخلصنا من **(القبوريين)** لنحلق فى اجواء ابن تيمية والافغاني ومحمد عبده وتلاميذه . نعم لقد كان مقال (السلفية) ممتعا ومفيدا من حيث الافكار التحررية المنثورة فى ثناياه .

ثم نلتقي مع **الاستاذ الطنجي** فى **(لغة القرآن والقومية العربية)** .

لا يا اخي ان الله لم يختر اللغة العربية لقرآنه على سبيل الصدفة ، او ما اسميته انت **(حظوظا)** ، لقد اختارها عن جدارة واستحقاق ، فلقد اختار سبحانه العرب اولا كامة كانت مهيأة (دون غيرها) لحمل الرسالة ولتادية الرسالة وكامة فيها رجل هيأته الاقدار (دون غيره) لحمل الرسالة ولتادية الرسالة ، نعم لقد كان العرب وعلى راسهم **محمد (عليه الصلاة والسلام)** على مستوى الرسالة العظيمة، نتيجة لهذا ، كانت اللغة العربية هي لغة القرآن وهي تتسع للقرآن حيث لا يمكن ان يتأتى ذلك لغيرها ..

قدم السيد الطنجي لغرضه مقدمة لا بأس بها ، ثم حلى مقاله براي لحافظ بن حزم فى حفظ اللغة ، ثم اراح الكاتب نفسه من امر التشريح ، فاصبح بشكل برقيات لا يمكن ان تكون بمستوى عنوان هام ومهم هو **(لغة القرآن والقومية العربية)** وكان يمكن ان تنشر هذه البرقيات فى احدى الصحف على هذا الشكل :

« ان الامير ولي العهد قد اشاد بالكنوز الفكرية فى المغرب » ورددنا عليه بالبرقية التالية **« من يا ترى سيخرج الدرر »** . **«ان خرافة قصور اللغة العربية صنعها الاستعمار وكان ابواقها اذنابه وتلاميذه » «شمروا يا عرب المغرب ، عربوا الادارات والدواوين»**.

انا لا اعارضك مطلقا فى مضمون ما اسميته تجاوزا « برقيات » بل على العكس احترم حماسك واتحمس معك لكل ما ورد فى مقالك من آراء وافكار من شانها ان تبعث لغتنا فى هذا القطر العربي ، ولكن الموضوع كان يجب ان يشبع ويشبع ، لانه موضوع قيم ولانه الشغل الشاغل للناس ، ورجائي ان تعود الى الموضوع ذاته مرة اخرى ليكون لك مرة اخرى شرف توضيح القومية العربية ولغة القرآن ، وانا اؤكد لك بان القاريء الذي يفتش عن نفسه لن يمل مهما اطلت فى مثل هذا الموضوع .

ثم طالعنا ما كتبه (الاستاذ محمد المنوني) حول (مقاصد التشريع الاسلامي) ، فوجدنا انه اسهب وكان فى اسهابه متعة ، يتنقل بك من فنن الى فنن — يورد التشريع ثم يظهر مقصده ، ثم يؤيد ذلك بنظريات علمية حديثة تزيد المؤمن بروح التشريع ايمانا على ايمانه ، واهنئه على طول نفسه وهو يعالج موضوعه.

ثم ننتقل لنطالع **(الاسترشاد بروح النصوص قديما وحديثا) للاستاذ التازي** .

كان المقال بجمله حربا على الإلحاد والمروق في الوقت الذي تناطح فيه امتنا حملة الحادية بشعة مكشوفة في بعض بقاعها ، وتواجه في بقاع اخرى حملة سلاحها الدس ورمي معتقداتنا بالرجعية والتحجر ، والغاية في كلا الحالين واحدة وهي تنفيرنا من معتقداتنا لنصبح من الميوعة بحيث يسهل عليهم الكيد بنا . ونحن بالفعل لا يمكن ان نتمشى مع تقدمية ديننا الا اذا استلهمنا روح المبادىء والتطور في الاسلام ، وعزفنا عن التقيد بالقشور المصطنعة ، وعدنا الى روح الدين الذي يفتح باب التصرف الفكري الوجداني على مصراعيه ، ديننا متطور متجدد ولكنا بلينا بمن **(فقدوا اتصالهم العميق الجوهري بالماضي وبقي اتصالهم بالسطح والقشور)** واصبح **ابناؤنا حيارى بين هؤلاء وبين (المتمركسين)** . وجاءت محاولة السيد التازي في وقتها ، فيشكر عليها .

ثم ياتي دور كاتب من عرب العراق ليتكلم عن عرب المغرب وعن **(عروبة البربر)** وفي البحرين ، وليس احب الى النفس من ان يكتب عرب الشرق عن عرب المغرب وبالعكس ، يكتبون كل ما من شانه ان يعيد العرب « عربا » لا « عربين » كما خرف المستعمرون.

واثار **(الاستاذ محفوظ شقرون)** موضوعا غاية في الاهمية هو **(القومية والفعل)** كانت المقدمة موفقة ، وكذلك حالفه التوفيق عندما بين اثر الاستعمار في تدمير القوميات ، خاصة في افريقيا وآسيا ليستأثر هو بخيراتها ، واعجبني في منطقه عندما ناقش فلاسفة الاستعمار في نظرتهم الى القوميات ، ثم حوم الكاتب حول كون القومية تأبى الا ان تكون حرة وهي من اجل هذا تعلنها حربا مقدسة .

ولكن ما يؤخذ على الكاتب انه فصل معركة المغرب العربي عن معركة القومية العربية ، او على الاقل فهو لم يظهر الترابط الكائن ، ومما زاد الطين بلة انه استعمل الفاظا من شانها ان تشير من قريب او بعيد الى ان كاتبها يؤمن ب (قومية تونسية) و(قومية جزائرية) و(قومية مغربية) وكأنه يريد ان يجزأ النضال الواحد ، كان الكاتب قد غاب عن ذهنه ان الاستعمار عندما يرى ان القومية تثور لتتحرر « كلها » يجمع قواه ليجزىء النضال الواحد بالايهام وبالتضليل ، كما فعل تماما وما زال يفعل مع القومية العربية التي لوث ذيله هنا وهناك ، فاخذ يستنجد (بقومية سورية) واخرى (مصرية فرعونية) واخرى .. وبين الحين والحين يعانق هذا الاستعمار خصومه الماركسيين ويهتف معهم **(لا قومية ولا هم يحزنون)** ، فنحن اذن يا اخي يجب ان لا نصدق ما زعموه ، ولا ان نستعمل الفاظا هي في خدمته « **ولو عن حسن نية منا** » .

ان هذه الكيانات التي اقامها الاستعمار في وطننا قد تعددت بما فيه الكفاية ، ولكننا نرى ان الحدود قد بدات تنهار عندما تنبه الشعب العربي الى ان **(العرب امة واحدة)** وعندما اضاف الشعب العربي الى تعاريف الفلاسفة في القومية تعريفا نابعا من قلبه هو ان **(القومية حب قبل كل شيء** .

ثم حدثنا الاستاذ (ابن تاويت) عن « **سحر القافية** » وبرده الجميل واتباعه طريقة (الامثلة والاستنتاج) جعلنا نؤمن معه بان (بين الحروف انسابا وقرابات) ولا باس في ان يوضع القريب مع القريب والنسيب مع النسيب طالما كان ذلك خادما للفكرة .

ثم يعود الينا (العلامة عميد الجامعة) ليتكلم عن (برجسون) وفلسفته المنادية ببعث الروح وعدم الاستسلام للطغيان المادي ، ونحن بدورنا كقراء يهمنا جدا ان نفتح ابوابنا ليدخل الهواء الطلق حاملا افكارا تناسبنا كافكار (برجسون) ، ولكن الخوف يخالطنا عندما نحتفل اسبوعا لاحياء ذكرى مفكر اجنبي في فترة كادت فئة منا ان تفقد الثقة بنفسها وبقدرتها ، بحيث اصبحت تتخيل ان كل عظيم نابع من عند غيرنا ونحن في مرحلة نعمل فيها على استرداد الثقة بالنفس، ومما يزيد ثقتنا في انفسنا وفي عقائدنا ان امتنا هي صاحبة معظم افكار برجسون وقبل ان يتوصل اليها برجسون ، بل عشنا التجربة نفسها فكنا نسمو يوم كانت تسمو الارواح منا وكنا نتهافت يوم كانت تصاب الروح بزيف .

واقفز بالقاريء الى ما كتب عن الجزائر في هذا العدد ... انها « ضريبة الدم » على دعوة الحق ... انه باب النضال الحقيقي ... انه باب البطولة التي علمت الانسان ما معنى البطولة ... انها قضيتنا ... انها نحن بدمنا وبلحمنا ... بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ... وكل ما يكتب عن الجزائر يعيد الينا كعرب ثقتنا بامتنا العظيمة ، ونحن نعتبر ان مجلتنا « دعوة الحق » قد قامت بواجبها لا اكثر ولا اقل .

حلل السيد (البرجالي) الوضع السياسي بعين ثاقبة ساهرة وبقلم مخلص ، واما تحليله للوضع العسكري فكاف لتحويل العربي المؤمن بعروبته الى كتلة ملتهبة تضاف الى الكتل الملتهبة التي تنطلق من كل واد وجبل ومن كل سهل ومدينة ومن كل شبر في ارض جزائرنا الحبيبة التي تثق بان النصر لعروبتها تماما ثقتنا بوجودنا .

ويقود الاخ (**احمد مراد**) وهو الذي عرفت فيه الاخلاص مجسما لعروبته وقضية وطنه ، قلت : يقودنا الى الثورة من حيث بدات ومن حيث انطلقت ، من حيث اناشيد بن باديس وتلاميذه .

حدثنا ولنعم الحديث عن الكلمة الطيبة ، وعن العقل المدبر ، وعن الذي يناضل في سبيل تربية الشعب بحيث تولد منه حركة قومية شعبية لن تقف في وجهها قوة على هذه الارض مهما جمعوا لها من احلاف وخطط ، ولئن غزا الغربي الفضاء السحيق والقمر والمريخ فهو عاجز على ان ينال من شعب انبت (ابن باديس) وغير ابن باديس .

ولا اريد ان اورد نقدا على نقد **(الاستاذ المصمودي)** في **(شعرنا المعاصر)** سوى ان الكاتب يمثل لما يذكره بكثير من الشواهد ، وفي المقال جهد ودرس ومحاولة، ولكنها لا تبلغ حد الوضوح في التخطيط والتحديد والتقسيم والمقارنة ، وهو اقرب الى دراسة تعليمية. ولست ازعم لنفسي دراية كافية بالشعر العربي المعاصر في المغرب تسمح لي ان اناقشه في احكامه الكثيرة .

اما الاستاذ (برادة) فقد قدم لنا الدكتور مندور في كتابه ((**الثقافة واجهزتها**)) والكتاب لم يقع بين يدي الى الآن ، فلابد ان اقتنيه بعد ما قرات ما كتبه الاستاذ .

والآن نعود الى **(اغنية بلادي) للشاعر الصباغ** ثم القصائد :

التجربة تظل فجة حتى تعاش بعمق ثم يعبر عنها بعمق ، وتجربة **السيد الصباغ** عميقة ، وهو يعيشها مع انشودته في عمق ، ولكن لا خير ابدا في بعض البسط المسترخي الذي كان يلم بعض تفاصيل فقيرة في دلالتها ، وحبذا لو جمعت في فكرة عميقة لترفرف الفكرة فوق كل تلك التفاصيل .

جمعت الانشودة بين طياتها ابنية لغوية محكمة، وبلاغة مشرئبة « احيانا » وبين هذه وتلك بعض تفاصيل لم يحسن اصطفاؤها بحيث تكون لبنة في بناء كله استقامة **(في حديقة لحمي) — (عرق عاطفتي)** انا لا اظن ان هنالك مبررا (العرق العاطفة) طالما (لا تعرق) فالرمز دائما يجب ان يكون اقوى من المرموز اليه . . و (الجياد الجياع) هل تشعر انها بمستوى ثورتك يا اخي .

عاش الشاعر تجربة جيله في الغابة المظلمة ، ثم اخذ يحرك فكرته لتتراوح بين الياس والرجاء ، وبين المحبة والحقد ، ثم جرب القلق ، ثم ثار فاثبت فعلا انه من الجيل الجديد — بين الشعراء — لان الجيل القديم كان يجزم ويقرر دون شعور بالمسؤولية ، ودون ان يشرك ذاته في الموضوع . اما صاحبنا فلم يتوخ الوقع الظاهري المسرحي ، بل توخى الحقيقة المرتبطة بكيانه وقيمه الحية .

ثم نلتقي مع الاستاذ ((**ادريس الكتاني**)) في قصيدته ((**عميروس في موكب الخلود**)) ولن ابالغ اذا قلت بانها القصيدة التي اطربتني في العدد ، بفكرتها وبنضجها وبتعبيرها الغنائي العذب ، ولقد شعرت وانا ارددها ((**اكثر من مرة**)) ان كل ما جاء فيها من نبرها ولفظها وجرسها هو من نفسه ومن وجدانه ، وخلت من هذا الذي يعاب على الشعر الحديث ، فجاءت غنية بنبضها الدافىء وصورها الشعرية المتكاملة .

ومن بين قصائد العدد ((**وحي القرية**)) **للاستاذ محمد الحلوي** وقد شعرت بان المقدمة كان فيها بعض الثقل وان امواجا كانت تضطرب في بحرها ، ولكنه اجاد عندما انتقل الى السوق ، اذ كانت حركات شعره وصوره ظاهرة ومنسجمة كل الانسجام مع حركة السوق ، كما انه تجاوب مع النداء الداخلي للعطش يوم يلوح السقاء .

وفي العدد ايضا **قصيدة للاستاذ عبد القادر حسن عنوانها ((اغنية الاطلس))** .

يضطر قائل « شعر الوصف » ان يثرثر احيانا، ولكن صاحبنا استطاع ان يبعد الثرثرة الى حد كبير عن قصيدته اذ اختار لها هذا البحر السهل .

ثم تقدم لنا **(دعوة الحق) شاعرنا العربي الكبير «بولس سلامة» في مقطوعة (القائد العظيم)** وبولس سلامة فرض علينا الاعجاب به منذ زمن بعيد ، وقصيدته التي نحن بصددها واحدة من ابنيته الشامخة التي تجعله مع الطليعة من شعرائنا المعاصرين بل هو الشاعر **(الملحمي)** الاول بينهم .

واما اغنية **(جميلة) لممتاز سليمان** فهي لم تعد في حاجة الى وسام احملها اياه اذ كفاها فخرا انها **(مناضلة)** لا يمكن ان يتصدى لها الاستعمار ويحجز عليها الا لكونها **(مناضلة فعلا)** وقصتها لها دلالة عظيمة على مدى (انسانية) الاوروبي المزعومةهذا ــ الانسان ــ الذي لم يسمح للحق الذي يحمل جواز سفر انساني بدخول بلاده ، اذ رفض اعطاء ــ **تاشيرة** ــ لاغنية جميلة كي تدخل اوربا **(كل اوروبا ومعها امريكا)** نعم هذا هو الواقع فليثبر اذن العربي لواجبه ليحمل رسالته ، ليعلم الانسان معاني الانسانية ، وهو قادر على ذلك ، ولقد سجل التاريخ جولات له في هذا الميدان .

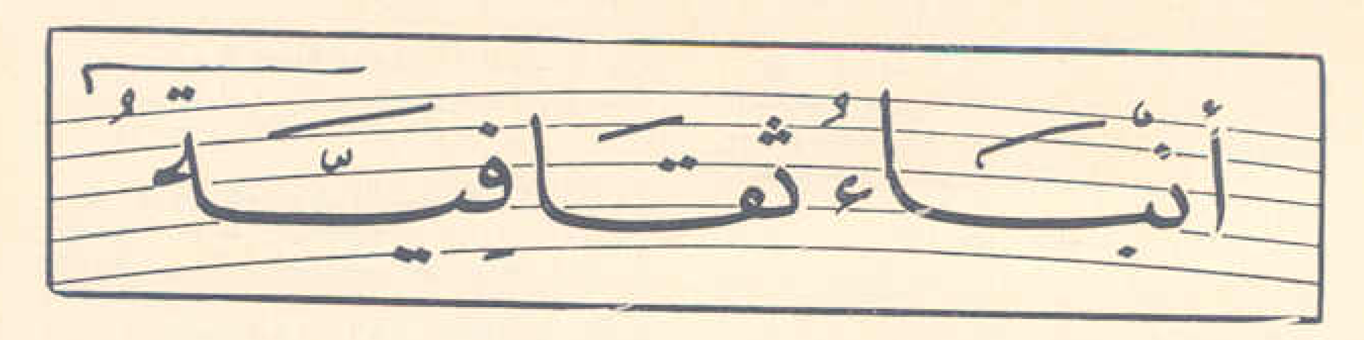
واخيرا اسجل على العدد الثامن غياب القصة القصيرة منه ، وانا اعتبر ان القصة القصيرة هي الاداة التعبيرية الاولى في واقعنا ، كما اسجل على الاخت العربية في المغرب عدم مساهمتها في « دعوة الحق » ولابد ان الفت النظر الى ان هنالك اغلاطا مطبعية كان من شانها ان تؤثر تاثيرا لا يستهان به على اعمال من شاركوا في العدد الثامن من دعوة الحق .

واخيرا مرة اخرى اقدم تحية عربية صادقة لكل من تعرضت لاعمالهم ، وارجو ان لا اكون قد جرحت شعورا او احساسا ، اذ لم يكن ذلك ما يحدوني ابدا .

انني انظر الى النتاج كل واحد منهم نظرتي الى لبنة توضع من اجل بناء وطن عربي حر موحد يسوده العدل وتسوده المحبة والسلام .



شلال اوزود



* كتب الدكتور عبد العزيز الاهواني – الملحق الثقافي بسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالمغرب سابقا – الى بعض الشعراء المغاربة يلتمس منهم ان يبعثوا اليه بمجموعة من شعرهم لا تزيد على مائة بيت ، وعلى ان تكون من احدث ما جادت به قرائحهم، سواء كان قد طبعت ام لم تطبع ، لان المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة يعتزم أن يصدر في هذه الايام كتابا يضم نماذج من الشعر العربي مما انتجه الشعراء المحدثون في الوطن العربي كله خلال العام الماضي . ولهذا المجلس رغبة في ان يشارك الشعراء المغاربة في هذا الكتاب ليتاح للمشارقة ان يطلعوا على انتاج المغرب ، ويتعرفوا على شعرائه . ونحن بدورنا نهيب بالشعراء ان يستجيبوا لدعوة المجلس ويبعثوا الى الدكتور الاهواني بقصائدهم لتصدر في هذا الكتاب .

* تحت اشراف كلية الآداب بالرباط قامت السيدة كلامي جربول بالقاء عدة محاضرات ثقافية في اواخر ابريل ، واوائل ماي .

* ترجم الاستاذ المقتدر السيد عبد اللطيف الخطيب اوبريت التي اختير لها عنوان «ابو الحسن» للكاتب الالماني فون ماريا ريماركي .

* سافر الى القاهرة وفد ثقافي من المغرب مكون من السادة : الاستاذ محمد بن البشير عميد كلية الآداب بجامعة الرباط ، والاستاذ عبد القادر العمراني مدير ديوان وزير التربية الوطنية ، والاستاذ احمد الاخضر خليفة مدير التعليم العالي والبحث العلمي ، وذلك بدعوة من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية ع. م. وقد تضمن برنامج الوفد زيارة المؤسسات والهيئات والمعاهد العلمية والثقافية وتفقد برامج الدراسة ونظم العمل ولوائحه بها والوقوف على احدث مظاهر التقدم الثقافي والتعليمي في الجمهورية .

*** في معرض اليونيسكو الذي تنقل في الاشهر الاخيرة في بعض المدن المغربية لاحظ جل الزائرين له عندما اقيم في تطوان من الشباب المتحمس لقوميته وعروبته لوحة صهيونية خبيثة لواضعها جوزيف زرفسكي بعنوان «تل ابيب» التي تحوي فكرة صهيونية مندسة في خطوط والوان تعبر بكل وقاحة عن التوسع في اراضي البلاد العربية في معرض يقام في بلاد عربية مغربية . وان مجرد قراءة اسم « تل ابيب » يشيع فينا آلاما ويثير لواعج ذكريات مريرة عن الارض السليبة المغصوبة ، وعن اخواننا العرب المشردين ، زيادة على الفكرة الخبيثة المسمومة التي تحملها اللوحة المعروضة في بلادنا . وان كان المشرفون على مصلحة الفنون بوزارة التربية فاتتهم فكرة هذه اللوحة ، او غضوا الطرف عليها ، فان الشباب المغربي الواعي لا تفوته ملاحظة مثل هذه الاهانات التي تلحق به في بلاده .**

* بلغ عدد زائري معرض الكتب التربوية الذي اقيم في اكرا اثنى عشر الفا من سكان جميع انحاء غانة وقد نظمت هيئات التعليم في غانة ذلك المعرض لتتيح لرجال التعليم من ناحية ، وللناشرين من ناحية اخرى فرصة يناقشون فيها المشاكل المتعلقة بوضع الكتاب المدرسي ، ونشره ، واختزانه ، وقد عبر الجميع عن رغبتهم في توفير كتب تستمد موضوعاتها من تاريخ غانة ومظاهر الحياة فيها .

* افتتح بتونس في يوم 13 ابريل الماضي مؤتمر « الملتقى الدولي للثقافة » تحت اشراف لجنة العلوم الحرة ، والجامعة التونسية الحرة ، وبحضور شخصيات لامعة في الميدان الثقافي من مختلف جامعات افريقيا وآسيا والشرق الاوسط ، وبعض الخبراء الاروبيين في ميدان التعليم . وكان الوفد التونسي مركبا من الاساتذة : احمد الغاني من الجامعة التونسية عبد الوهاب باكير ، الطاهر فيقة ، الشاذلي القليبي ، المحجوب بن ميلاد ، الامين الشابي ، اما الشخصيات الاخرى التي شاركت فهي : الدكتور كوك نائب رئيس جامعة اكستير من لندن ، ورئيس الندوة الدكتور زاي من جامعة كابول بافغنستان ، في كابال من باريس ، الدكتور روميلا تابار من الهند ، الاستاذ احسان نارافي من ايران ، الدكتور سليم حيدر ، وهاشم نزابي وسلوى ناصر من لبنان ، الاستاذ الشحيمي من المغرب ، الدكتور بافيغ من هولندا ، الدكتور اولو سينمي من نيجيريا ، الاستاذ بشير من الباكستان الاستاذ بازيل فليتشر من افريقيا الشرقية البريطانية، الدكتور ماليرب من افريقيا الجنوبية ، الاستاذ عصمان اوكار من تركيا ، البير الحوراني ، ولتير جامس ، ميشال بولاني من بريطانيا الى جانب الرئيس كوك الاستاذ ادوارد من الولايات المتحدة .

* بمناسبة احتفال الجمهورية التونسية بيوم افريقيا في 15 ابريل صدر طابع بريدي قام برسمه الرسام التونسي المعروف حاتم المكي .

* في يوم 11 ابريل المنصرم دشن رئيس الجمهورية التونسية في حفل رائع كبير دار الجمعيات الثقافية التي كانت فيما مضى مقرا للرابطة الفرنسية وقد استهل هذا الحفل بافتتاح معرض الالواح الزيتية التي ازدانت بها قاعة دار الجمعيات الثقافية وطابقها الاول . وقد اختير لهذا المعرض اسم « 25 عاما في التصوير التونسي » واشتمل على مائة لوحة زيتية من انتاج عدد كبير من الرسامين التونسيين . وقد لوحظ أن بعض اللوحات يعود تاريخها الى سنة 1934 .

* وقعت اخيرا اتفاقية جديدة بين تونس وفرنسا في ميدان التعاون الثقافي الفني .

* اصدر الاستاذ ابو القاسم كرو بتونس كتابا قيما عن المصلح والكاتب الكبير خير الدين التونسي الذي اسس الصادقية ، وقاوم دسائس اوربا في ظروف مليئة بالاشواك والاهوال .

* اصدر الاستاذ محمد الطاهر السنوسي كتيبا صغيرا بتونس يحمل عنوان « معين رجل الامن » .

* استفتت مجلة « الفكر » التونسية بعض الادباء التونسيين وهم الاساتذة : عثمان الكعاك ، الدكتور طاهر الخميري، ناجة ثامر، الدكتور محمد فريد غازي، محمد الفاضل بن عاشور في موضوع : « يشكو المثقفون في هذه الديار فقر الادب التونسي في فن القصة » . فهل ترون هذا الراي، وما هي اسبابهذا الفقر ان كان؟ ما رايكم في النتاج القصصي الموجود ؟ ما رايكم في مشكلة لغة القصة ؟ ما هي في نظركم وسائل النهوض بالقصة في بلادنا ؟ ونشرت اجوبة هذا الاستفتاء في العدد الخاص بـ « قضية القصة التونسية » الذي صدر حديثا .

* طلبت حكومة ليبيا من الجمهورية ع. م. مدها بالاساتذة اللازمين لجامعة محمد بن علي السنوسي الجديدة في ليبيا .

* ودع العالم الاسلامي في يوم 24 مارس الماضي زعيما اسلاميا كبيرا هو السيد عبد الرحمن المهدي ، زعيم طائفة الانصار بالسودان .

* اعدت وزارة التربية والتعليم 20 الف اسطوانة تعليمية لاستخدامها في اشاعة الوعي الموسيقي بين التلاميذ .

* « ورق البردى » هو اسم مجلة جديدة تصدرها جمعية التاريخ بكلية العلوم ــ عين شمس .

* اكتشف المهرجان الادبي الذي اقيم في الاسكندرية مؤخرا أن احفاد محمود سامي البارودي يحتفظون بمذكراته السياسية وبعض قصائده ، وكتاباته النثرية التي لم يسبق نشرها .

* انتهى الشاعر عزيز اباظة من كتابة مسرحية بعنوان « قافلة النور » وستصدر قريبا .

* نظمت وزارة التربية والتعليم للجمهورية ع.م. ثلاث رحلات للشباب الى الدول العربية لتوثيق العلاقات ، وستتم هذه الرحلات الثلاث على ثلاثة افواج خلال عطل الصيف .

* انتهى الاستاذ سعد الخادم امين متحف الفن الحديث بالقاهرة من تاليف كتاب عن تاريخ الازياء ، ويقوم بنشره المجلس الاعلى للفنون والاداب .

* « عيون الاثر » مخطوطة قديمة عمرها 650 سنة كتبها فتح الدين بن سيد الناس تناول فيها غزوات العرب . وسينشر سيد فرج مدير دار الكتب بالقاهرة هذا البحث في كتاب بعنوان « رسالة الى الجنوب العربي » بعد ان قام بتحقيقها وشرحها بالاسلوب العسكري الحديث . وقد اوضح المؤلف في هذا الكتاب انها تحتوي على المبادىء الاستراتيجية والحرب وتقاليد القيادة التي تدرسها المعاهد اليوم .

* في اول السنة الدراسية ستفتح في مصر جامعة حرة . وستضم الطلاب الذين لا تسمح لهم درجاتهم العلمية بالقبول في الجامعات الحكومية ، او لا تسمح لهم ظروفهم بالسفر الى الخارج .

* سيفتح في القاهرة مكتب لشؤون الطلبة العرب وسيتولى ادارته الدكتور ناصر الدين الاسد .

* انشىء في وزارة التربية للجمهورية العربية المتحدة قسم لمراقبة الكتب .

* عين الدكتور احمد بدوي مديرا لجامعة عين شمس لتمثيل الجامعة في احتفال جامعة جنيف الذي سيعقد من 3 الى 6 يونيه المقبل .

* عين الدكتور طه حسين استاذا غير متفرغ بكلية الاداب بالقاهرة .

* تم تصميم شعار الازهر في مسابقة بين الفنانين، وهذا التصميم عبارة عن هلال ابيض يضم مئذنتين لونهما احمر ، ومصحفا لونه ذهبي ، يعلق طلبة الازهر هذا الشعار فوق صدورهم .

* سيصدر للفيلسوف الجزائري المعروف مالك بن النبي المقيم حاليا في القاهرة كتاب بعنوان « ميلاد مجتمع » .

* تبين من احصاء اجري اخيرا فى جامعة القاهرة ان عدد الطالبات الشرقيات فى هذه الجامعة يبلغ 180 . وقد دخلت اول طالبة شرقية الجامعة عام 1936 والطالبات يمثلن 14 دولة : المغرب ، ليبيا ، السودان ، زنجبار ، السعودية ، فلسطين ، لبنان ، الاردن ، العراق ، الكويت ، ايران ، الهند ، الملايو ، اندونيسيا .

* اعدت دار الكتب المصرية قائمة بالمطبوعات الحكومية التي صدرت فى الاقليم المصري منذ 1952 حتى الآن لتبادلها مع الهيئات الاجنبية تنفيذا للتبادل الثقافي الذي بدأته الدار منذ عام مع 32 هيئة اجنبية تمثل المغرب ، والعراق ، ولبنان ، والمانيا الشرقية والغربية ، وبولندا ، ورومانيا ، واسبانيا ، والاتحاد السوفياتي ، والدانمارك ، والولايات المتحدة ، واميركا، والهند ، والصين ، واليابان .

* قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة نقل بعض الكتب العربية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية . وهذه هي الكتب التي اختيرت للترجمة الانجليزية : «سارة» للعقاد «قنديل ام هشام» ليحيى حقي ، «السندباد القديم» للدكتور حسين فوزي «السقامات ليوسف السباعي» . اما الكتب الآتية فستنقل الى الفرنسية وهي «احلام شهرزاد» للدكتور طه حسين «سلوى فى مهب الرياح» لمحمود تيمور «احاديث جدتي» للدكتور سهير القلماوي «زقاق المدق» لنجيب محفوظ «الضاحك الباكي» لفكري اباظة .

* اصدرت سلسلة كتاب « الشهر » المصرية مجموعة من الدراسات الاسلامية وهي تقع فى 12 جزء تشرح وتحلل تاريخ القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام وقادة الاسلام فى قرن ونصف وهم : ابو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، معاوية ، عمر ابن عبد العزيز ، خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، طارق بن زياد ، ابو مسلم .

* « العلم دولة واحدة » هو اسم جمعية كونها الدكتور رشوان بدوي استاذ النظم السياسية بحقوق القاهرة . واعضاءها 150 طالبا .

* تلقت جامعة القاهرة هدية تحتوي على مجموعة ضخمة من الكتب من اميركا والهند .

* اشترى قسم الدراسات القديمة بكلية الآداب بالقاهرة مكتبة المرحوم الدكتور وهيب كامل الاستاذ السابق بالقسم .

* عارض الدكتور طه حسين فى احدى جلسات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة فى ان تقوم وزارة الثقافة والارشاد القومي بانشاء دار للنشر . وقال ان نشر الكتب من اختصاص دور النشر الاهلية . وقد استغرب الكثيرون لصدور مثل هذا الراي من الرجل الذي كان له الفضل فى نشر الفكرة القائلة بان التعليم لازم للجميع لزوم الماء والهواء .

* للاستاذ محمد محمود زيتون كتاب بعنوان «حرائق القاهرة فى التاريخ» وقد تعرض فيه لحرائق القاهرة القديمه ثم افرد اكثر من نصف الكتاب لحريق 26 يناير سنة 1952 وبواعثه ونتائجه .

* حددت لجنة الفنون الشعبية بالقاهرة مبلغ 900 الف جنيه قيمة جوائز لاحسن ثلاثة بحوث فى الفنون الشعبية وهي : الموسيقى ، والرقص ، والفنون التشكيلية الشعبية ، والادب الشعبي .

* تقدم لجوائز الدولة التشجيعية بالقاهرة سبعة شعراء هم : عبد القادر القط ، صالح جودت ، صلاح عبد الصبور ، جليلة رضا ، خليل جرجس ، احمد احمد العجمي ، رشدي ماهر .

* اعدت لجنة النثر بمصر مذكرة بعدم الموافقة على تيسير كتب التراث لما فيه من اعتداء على حق المؤلف وتحوير للنص قد يخرج عن المعنى المقصود .

* بالقاهرة تقرر تكوين لجنة تقوم بجمع الشعر القديم من عصر الجاهلية الى صدر الاسلام ، وجمع ما قيل بعد ذلك فى حركة الشعوبية ، وما قيل ابان النهضة العربية التي كانت تنزع الى الاستقلال عن العثمانيين .

* ستشترك الجمهورية ع. م. فى المعرض الدولي الثاني للكتاب الذي سيقام فى طوكيو فى شهر يونيه .

* اصدر فضيلة شيخ الازهر قرارا بتنظيم حملة واسعة للتعبئة الروحية فى الاقليمين المصري والسوري .

* قرر السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة اضافة مادة «القومية العربية» الى برامج الدراسة فى جميع مراحل التعليم .

* ستصدر دار العلم للملايين ببيروت كتابا مهما بعنوان « من السجن الى الرئاسة .. » لجواهر لال نهرو . ويقال انه احسن ما كتبه زعيم الهند خلال السنوات التي قضاها فى السجن اثناء الحرب العالمية الثانية .

* اصدرت دار بيروت ــ صادر ديوانا للشاعر الخالد الياس ابو شبكة بعنوان « من صعيد الآلهة » وفيه عدة قصائد لم يسبق أن نشرت .

* نعت لبنان المربي الكبير سليم عطا الله دياب .

* ترجم الدكتور نظمي لوقا كتاب الفيلسوف الانجليزي برانراندرس « فى عالمنا المجنون » .

* تأمل مديرية الآثار العامة بدمشق ان تساعد الحفريات التي قامت بها بعثة جامعة برلين فى تل الخويرات بمحافظة الجزيرة على معرفة تاريخ المملكة الميتانية التي قامت فى تلك المنطقة فى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، والتي لا يعرف عنها الا القليل لحد الآن . هذا وتل الخويرات الذي قامت البعثة بحفرياتها فيه له شكل مستدير يحيط به سور مزدوج يبلغ قطره 900 متر . وقد تبين ان التل يحتوي على مدينة كانت عامرة بالمباني العامة والمعابد الا انه لم يتوصل الى معرفة اسم هذه المدينة بعد .

* سافر المفكر الجزائري مالك بن النبي الى سوريا بدعوة من نواديها الثقافية والقى فيها عدة محاضرات فى حقل المعرفة .

* ستنشا اكاديمية للعلوم مهمتها حل المشاكل الصناعية والزراعية والعلمية فى الجمهورية ع. م. وهدفها زيادة الانتاج القومي والدخل العام باحدث الاساليب الفنية فتستغل خامات البلاد وفضلات مزارعها ومصانعها فى انتاج جيد رخيص ينافس احسن المنتجات الاجنبية . ويتجه الراي بين علماء العرب الى انشاء الاكاديمية العربية على غرار الاكاديمية الروسية للعلوم . وتبدا مهمتها بحصر كل مشكلات الجمهورية العربية ، وحصر كل ادوات البحث العلمي فيها من فنيين ومعامل واجهزة ثم تحلل كل مشكلة وتقسمها الى اجزاء توزع على الباحثين وفقا لاختصاصاتهم على ان يعمل جميع الباحثين فى تناسق وتعاون ليكمل بعضهم بعضا . وستشرف الاكاديمية العربية على جميع الوان البحث العلمي سواء فى معامل البحوث بالوزارات او الجامعات حتى لا تتكرر نصوص البحوث باجراء دراسات سبق اجراؤها او بشراء اجهزة لا داعي لها . وستؤلف لهذا الغرض مجموعة من اللجان لحصر المشكلات وتقسيمها وتوزيعها على الباحثين ثم جمعها وتنسيقها لاعداد الحلول النهائية لكل من المشكلات . وبهذا التنسيق ينتظر ان تحل كثير من المشكلات المعقدة فى وقت قصير كما حدث فى روسيا حين حصرت كل مشكلاتها وتمكنت من حل كثير منها ولم يبق الا مشكلات محدودة يعرفها كل الباحثين ويعملون لحلها . ويدرس الآن موضوع عقد مؤتمر علمي عام يعقد عقب انتهاء المؤتمرات الحالية وفيه ستتخذ القرارات النهائية لتنفيذ مشروع الاكاديمية استعدادا للبدء بحصر المشكلات وتقسيمها وتوزيعها على الباحثين عن « العلوم » — ابريل 1959 .

* رفع علماء دمشق مذكرة الى حكومة باكستان يستنكرون فيها ما جاء فى الانباء من ان الحكومة تفكر فى تبديل الاحرف العربية باحرف لاتينية كما حدث فى تركيا قبل اكثر من ربع قرن . وطلب العلماء ان لا تلجأ الباكستان الى هذا العمل الخطير حتى لا تقطع الصلة بينها وبين التراث العربي .

* وافقت حكومة بغداد على انعقاد مؤتمر الاتحاد العلمي العربي الرابع فى بغداد فى النصف الاول من شتمبر المقبل .

* تقرر تأجيل اقامة مهرجان الشاعر معروف الرصافي الذي كان مقررا اقامته فى بغداد فى 16 ابريل الى بعد عطلة عيد الاضحى بالنظر لضيق الوقت ومستلزمات المهرجان .

* « الكرد والمسالة الكردية » هو اسم لكتاب جديد للدكتور شاكر خصباك صدر حديثا فى العراق .

* اصدرت مجلة « المعلم الجديد » التي تصدر بالجمهورية العراقية جزء خاصا بثورة العراق يقع فى اكثر من مائتي صفحة .

* اعلنت جمعية الفنانين العراقيين عن مسابقة فنية لاقامة نصب تذكاري لثورة 14 يوليو الخالدة . وقد دعت الجمعية كافة الفنانين العراقيين المشاركين فى هذه المسابقة وقررت نصبه فى احدى الساحات الكبرى ببغداد وستزاح الستارة عنه فى يوم 14 يوليو 1959 وهو موعد ذكرى مرور سنة على ثورة العراق .

* اكتشفت البعثة الاثارية العراقية فى حوض « دوكان » مجموعة نفيسة من الواح الطين المكتوبة بالخط المسماري والتي يرجع تاريخها الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، ولهذه الالواح اهمية كبيرة من حيث ما تتضمنه من معلومات عن تاريخ سهل «رانية» والمنطقة المجاورة له ، والتي لم يعرف عنها شيء حتى الآن .

* اكتشفت البعثة العراقية فى حرمل على مسافة 5 كلمترات من بغداد غرفة ملاى بالوثائق والآثار يرجع تاريخها الى اربعة آلاف سنة وهو اكتشاف له اهميته الكبرى .

* ادخل تعليم اللغة الكردية فى الجامعة العراقية

* عقدت الحكومة العراقية عدة اتفاقيات ثقافية مع الدول الشرقية فقد وقعت اتفاقية مع الصين الشعبية ، كما سبق ان عقدت اتفاقيات مماثلة مع كل من تشكوسلوفاكيا ، وبولونيا ، والمانيا الشرقية .

* تبرع جلالة الملك حسين ملك الاردن خلال زيارته الاخيرة لجمهورية الصين الوطنية ، بمبلغ الفي دولار مساهمة منه فى بناء مسجد تايبي كما وعد باهداء 200 نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية الى الجمعية الصينية الاسلامية . وقد اعلن جلالة الملك تبرعه هذا اثناء زيارته لمبنى المسجد الذي قارب العمل فيه على الانتهاء .

* ان الحفريات التي اجريت في موهنجو دارو في باكستان قد اماطت اللثام عن بقايا مدينة عظيمة قامت في حوض نهر السند منذ اكثر من اربعة آلاف عام . وقد اشتهرت سهول حوض السند والجانج بخصوبة تربتها وثروتها الطبيعية ، ولذلك فانها كانت تجتذب اليها الافواج تلو الافواج من سكان آسيا الوسطى الذين ما لبثوا ان اثروا في طبيعة التربة وطرق معيشة السكان الاصليين وتفكيرهم .

* اكتشف عالم الاثار ميخائيل ماسون في مدينة ماري (تركمانيا) المبنية في المكان الذي كانت توجد فيه مدينة خورسان القديمة آثار المسجد الاول الذي بناه العرب في آسيا الوسطى في اواخر القرن السابع الميلادي . ولم يكن هذا المبنى النادر من الثقافة العربية المدعو «مسجد الجمعة» معروفا الا في المخطوطات القديمة .

* يصدر قريبا في بوخارست الجزء الثاني من رواية «الاقدام العارية» للروائي الروماني زهاريا ستانكو ، وقد ترجمت هذه الرواية الى عشرين لغة .

* ظهرت اخيرا في اليابان جريدة جديدة ذات رائحة طيبة تحمل اسم « يوميوري » وتصدر اسبوعيا ، والرائحة الذكية التي تمتاز بها هذه الجريدة توجد في الحبر . وقد صدر العدد الاول منها يحمل صورة وردة حمراء رائعة وقد فاحت برائحة طيبة .

* ان اغاريد الطيور تقضي على الخوف والرهبة اثناء امتحانات الطلبة . وهذا ما اكتشفه العلماء اليابانيون مؤخرا ، وقد اجروا تجربة في هذا الشان في عدة مدارس عليا وضعت اقفاص في اقسامها اثناء الامتحانات .

* شارك تسعة من اساتذة الجامعات بمدينة سدناي الاسترالية في امتحان شهادة الباكالوريا بمجرد اختبار انفسهم فقط منهم ثمانية ولم ينجح الا واحد.

* اعلن وزير المعارف باليونان ان الحكومة اليونانية ستطلب من البلدان الاجنبية ، وخاصة الغربية ان تعيد لها آثارها التي نقلت اليها اثناء القرون الماضية.

* كشفت الابحاث الحفرية في ارمينيا كشفا تاما عن مدينة « كرمير بلور » القديمة التي تقع بجانب مدينة « اريفان » ، وهذه المدينة ترقى بتاريخها الى القرن السابع قبل الميلاد ، وقد كانت عاصمة لمملكة قوية يذكرها الكتاب المقدس ، على انها خصيمة لمملكة « آشور » ولذا فالكشف عنها يكشف عن مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تاريخ البشرية القديم . وتبلغ مساحة المدينة القديمة 40 هكتارا والى جانبها قلعة كبيرة ، وفيها قصور كثيرة وحلي ومجوهرات ومخطوطات منها ما هو مكتوب بالخط الهيروغليفي . واطرف ما وجد فيها هو عنقود عنب وزهرة رمان محفوظان بشكلهما الطبيعي منذ القرن السابع ق . م .

* ستصدر منشورات اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي 900 كتاب في خلال العام الحالي ، ويجري تحضير كتب للطبع في جميع فروع المعرفة . فهناك مجلدات مكرسة لخصائص نويات الذرة ، والمجلد 11 من هذا المؤلف مخصص بقضايا الفيزياء النووي ، وبعض المؤلفات ستضم نتائج الدراسات التي تم اجراؤها بواسطة الكواكب الصناعية السوفياتية ، ويشتمل برنامج المنشورات على اربعين كتابا في الكيمياء و 150 في البيولوجيا و 130 في الجيولوجيا والجغرافية ، وسيصدر بالاشتراك مع العلماء البلغاريين كتاب « اراضي بلغاريا » كما ستصدر كثير من المؤلفات التاريخية ، والاقتصادية ، والحقوقية ، والفلسفية ، والادبية . .

* التلسكوب الموجود في « بولكوفو » ، وهي مدينة الفلكيين السوفياتية ، لا يحتاج الى مراقب . فالمراقب يجلس وراء لوحة الرقابة الواقعة على بعد 110 امتار منه . وان اعمال الرصد حول اختلالات الارض اليومي وحركة القطبين الارضين تسجل اوتوماتيكيا بواسطة تلسكوب فوتغرافي سمتي بدون مداخلة الفلكيين ، ومن الضروري اجراء اكثر من 20 عملية في ترتيب معين من اجل رصد نجم واحد . وثمة جهاز خاص للاشارات يعلم الفلكي الموجود قرب لوحة الرقابة عن انجاز هذه العمليات كلها . ولهذا التلسكوب السمتي الفوتوغرافي ، وهو الاول من نوعه في الاتحاد السوفياتي خاصة اخرى اساسية ، ففيه من اجل تحديد الوقت ساعة كوارتز عالية الدقة . وان الاشارات التي تطلقها هذه الساعة كل ثانية تسجل مدى التقاط المناظر على لوحة فوتغرافية متحركة ، بفضل التيراترون ومصابيح النيون .

* عقدت منظمة اليونسكو في طوكيو اجتماعا لدراسة الصورة التي يقدم في اطارها الغرب في الكتب المدرسية في دول جنوب شرق آسيا ، واشترك في هذا الاجتماع علماء التربية في 25 دولة آسيوية من الدول الاعضاء في اليونسكو .

* صدر في موسكو كتاب « ميلاد الجمهورية العراقية » للكاتب السوفييتي فريد سيف الميلوكوف وقد قدم الكتاب بقصيدة « موال بغدادي » للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ، والقصيدة هي من قصائد ديوانه « اشعار من المنفى » الذي سبق ان قامت بترجمته الى اللغة الروسية كل من الشاعرتين اللانجورورديتشكايا وتاتيانا نزوفيمنكو والشاعر ميخائيل كورغانتسيف .

* في اواخر شهر مارس الماضي توفيت عن تسعين سنة ارملة الكاتب الروسي الشهير انطون تشيخوف .

* توصل مجمع العلوم بالاتحاد السوفياتي اخيرا الى اختراع «ذاكرة الكترونية» تستطيع ان تسجل

اربعة ملايين صفحة فى ظرف ساعة واحدة . وان تتصل بكل فرد هاتفيا لتخبره بان الميعاد حان .

✻ تصدر قريبا فى رومانيا دراسة وافية عن الشاعر الروسي الكبير مايكوفسكي بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاته .

✻ من 11 مايو الى 4 يونيو المقبل ينتظم فى براغ مهرجان موسيقي كبير يشترك فيه من رؤساء الفرق الموسيقية الكبرى ايجومار كيفيش (ايطاليا هانزشميت ايسرتت (المانيا الاتحادية) ، ومن العازفين المشهورين كليفورد كرزون (المملكة المتحدة) ، بيير فورنيه (فرنسا) ، اليزابيت شوارزكوبف (النمسا) وغير هؤلاء من كبار العازفين فى المانيا ، وبلغاريا ، وبولونيا ، وقد وضع منظمو هذا المهرجان الذي اقرته هذا العام الجمعية الاوربية للمهرجانات الموسيقية فى جنيف — وضعوا برنامجا حافلا له طابع دولي . فمن المظاهر الهامة فى هذا المهرجان اشتراك اوبرا برلين اذ تقدم اربع اوبرات منها اوبرا هايدن اربودانتي وذلك احتفالا بمرور مائتي عام على وفاة هذا الموسيقي العالمي . وتقوم اوبرا مسرح براغ القومي عددا من حفلات الموسم الافتتاحية الهامة . وكذلك تشترك فى المهرجان فرقة الفيلارمونيك الرومانية ، والكورس الهنغارية ، وفرقة الاذاعة والتلفزيون الموسيقية فى الاتحاد السوفياتي ، وغيرها من الفرق الموسيقية المعروفة فى هولندا وايطاليا . ويعقب المهرجان مسابقة دولية لآلات النفخ الموسيقية ، كما ينظم معرضان للآلات الموسيقية . ومن اهم مظاهر هذا المهرجان تنظيم حلقة دولية عن الموسيقى العربية برعاية اللجنة التشيكوسلوفاكية للتبادل الثقافي بين الشرق والغرب

✻ يعقد معهد المسرح الدولي مؤتمره الثامن فى هلسنكي من اول يونيه المقبل ، ويستغرق اجتماعه اسبوعا تناقش خلاله الاتجاهات المسرحية الجديدة وقد دعيت الى حضور هذا المؤتمر شخصيات عالمية من بينها الكاتب المسرحي المشهور ايونسكو . وقد قررت اللجنة التنفيذية لمعهد المسرح الدولي انشاء مركز اقليمي للمسرح فى امريكا اللاتينية بعد الاطلاع على تقرير وضعه جان درا كانت على اثر رحلة دراسية قام بها فى امريكا اللاتينية . وسيتخذ هذا المركز الاقليمي مقره الدائم فى سنتياكو بشيلي ، وسيتولى تنظيم مؤتمرات دورية يعقد اولها فى مونتيفيديو عام 1960 .

✻ فى شهر يوليو من كل عام تنظم اليونيسكو بالاشتراك مع مكتب التعليم الدولي مؤتمرا فى جنيف لدراسة اهم مشاكل التعليم العام . وفى العام الحالي يعقد المؤتمر السنوي دورته الثانية والعشرين من 6 الى15 يوليو لمناقشة المسائل التالية المدرجة فى جدول الاعمال وهي :

وضع واختيار واستخدام الكتب الدراسية فى المدارس الابتدائية .

الاجراءات التي تكفل تيسير تدريب هيئات التعليم الفني والعلمي .

واللجنة المشتركة التي حددت فى نوفمبر 1958 جدول الاعمال هذا ، اقترحت ايضا جدول اعمال المؤتمر الثالث والعشرين الذي سينعقد فى عام 1960 ويتناول دراسة المسائل التالية :

وضع برامج المدارس الثانوية للتعليم العام .

تنظيم التعليم الخاص .

هذا ويدرس هذا المؤتمر الدولي فى كل دورة من دوراته السنوية تقارير وزارات التربية والتعليم عن حركة التعليم فى بلادها خلال السنة الدراسية الجارية .

✻ ستصدر فى المانيا الشرقية عن دار «اليزيبون» طبعة مترجمة من الكتاب الذي صدر عن محاكمة السلطات الفرنسية للمجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد وهذا الكتاب من وضع محاميها جاك فيرج والصحفي الفرنسي جورج ارنو .

✻ بدات ادارة العلوم الاجتماعية فى اليونسكو تطبيق برنامج المساعدة الفنية لعام 1959 ، ويتناول هذا النشاط المناطق الجغرافية والثقافية التالية :

1 — فى افريقيا ، تنظم فى شهر نوفمبر المقبل فى الخرطوم حلقة دراسية عن الاحصاءات المدرسية .

2 — فى جنوب شرق آسيا ، تنظم حلقة دراسات اجتماعية فى نيو دلهي فى شهر دجمبر المقبل ، يشترك فيها مدرسون من سيلان والهند واندونيسيا والملايو والباكستان ، وسنغافورة ، واتحاد بورما والفيتنام .

3 — فى الشرق الاقصى ، اجتماع الخبراء فى بانجوك لدراسة الاسس الفنية للتقويم الاجتماعي .

4 — فى منطقة البحر الابيض المتوسط ، تنظيم حلقة دراسات حول دور العلوم الاجتماعية فى التطور الاقتصادي فى هذه المنطقة . وتنظم هذه الحلقة فى شهر دجمبر المقبل فى اثينا .

5 — فى امريكا اللاتينية ، ينظم برعاية المركز اللاتيني الاميركي لبحوث العلوم الاجتماعية اجتماع لخبراء العلوم الاجتماعية فى ريو دي جانيرو فى شهر شتمبر المقبل .

✻ تلاقي المعارض العلمية المتنقلة التي تنظمها اليونسكو منذ سنوات نجاحا كبيرا فى عواصم كثير من دول العالم . والقصد من هذه المعارض تعريف الجماهير باحدث اكتشافات العلم واهمها — وترسل اليونيسكو معارضها المتنقلة الى الدول الاعضاء التي تطلب فى

ارسالها . وتستغرق دورة المعرض حول الدول حوالي ثلاثة اعوام . وستكون «الآلية» موضوع المعرض المقبل الذي ينتظر ان تبدأ دورته فى نهاية عام 1959، وتنظم اليونيسكو فى شهر يونيو فى باريس مؤتمرا دوليا هاما حول « التناول العددي للمعلومات » . واما المعرض المتنقل فسيدور حول المظاهر الآتية :

– تعريف «الآلية» وتحديد مظاهرها العامة واهدافها وشروطها .

– نظرية «الآلية» ومبادئها ومناهجها وتطبيقاتها

– مجال التطبيق (الصناعة والزراعة والتجارة والحياة الاجتماعية) .

– اثر «الآلية» فى شكل الحياة والتعليم . مستقبل «الآلية» .

وسيتألف المعرض من لوحات وضيحية مصورة واجهزة وآلات للعرض . وسيزود المعرض بأفلام علمية تشرح بمصاحبة عرض علمي – كيف تنتقل ظاهرة طبيعية ما الى مجالات تطبيقها فى الاجهزة المعروضة .

* فاز اخيرا بجائزة «اصحاب المكتبات» بباريس الروائي جورج بورد ونوف صاحب « رواية مائتا حصان مذهب» .

* احتفل العالم الادبي بالذكرى المئوية للشاعر الريفي فريدريك ميسترال .

* من المعارض الفنية التي لفتت انظار الجمهور الفرنسي هو معرض « مارسان » الذي عرضت فيه 400 قطعة تشمل لوحات واوان فضية وفخارية ومقاعد وسجاد واشياء منزلية اخرى كلها مختارة من فن تزيين المنزل فى انجلترا خلال القرن الثامن عشر . ويكشف هذا المعرض عن صفحة هامة من صفحات تاريخ الفن الانجليزي ، وعلى مدى تفاعله مع بقية فنون العالم . وابرز ما استرعى الانتباه فى هذه الناحية هو تأثر الفن الانجليزي خلال القرن الثامن عشر بالفن الصيني فى طريقة التزيين . ويبدو من هذا المعرض ان الفن الانجليزي يمتاز فى تلك الفترة بارستقراطية وبدقة واناقة .

* من اهم الكتب التي صدرت فى فرنسا هي الآتية اسماؤها : « الحياة ومشاكلها » لماركس ارون « الدين وعلم النفس » ليونغ « مستقبلنا » لجورج طمن « الماركسية على بساط البحث » لفوجير جيرولاس .

* ترجمت دور النشر الفرنسية الى لغتها مجموعة شعرية بعنوان « سنة 1905 » لبوريس باسترناك .

* يعرض حاليا فى باريس قاموس لاروس الكتروني الذي شاهده زائرو معرض بروكسل . وقد عمد ملايين الناس للضغط على ثلاثة ازرار لمعرفة الجواب لمدة ثلاثين ثانية عن كل سؤال يوجهه الى هذا القاموس الالكتروني وفيما يأتي لائحة باهم الاسئلة التي وجهها الزائرون الى القاموس المذكور : ما هو الصفر المطلق ؟ لماذا تنخفض درجة الحرارة اكثر من ذلك ؟ لماذا لم تكن سيدات القرون الوسطى صهباوات ؟ لماذا يكره الكاتب البلجيكي موريس ميترلنك اسمه الصغير ؟ ما هي اصعب كلمة فرنسية فى اثناء لفظها ؟ ما هو عمر الارض ؟ بماذا تختلف العيون الزرقاء عن غيرها ؟ ما هي عجائب العالم السبع فى القرون الماضية ؟ هل صحيح ان آثار الاصابع هي عبارة عن توقيع لا يخطيء قط ؟

* دعت اليونيسكو ثلاثة من مشاهير المحاضرين لالقاء محاضرات ثقافية فى آسيا ، واميركا اللاتينية ، واوربا ، ابتداء من آخر هذا العام ، او من بداية العام المقبل . والمحاضرون هم السيدة صوفيا وادياء رئيسة تحرير المجلة الشهرية التي يصدرها المعهد الثقافي الهندي ونادي القلم الهندي ، وستلقي محاضرتها فى اميركا اللاتينية واوربا الجنوبية ، والاستاذ هوديو كيشيموتو رئيس قسم الدراسات الدينية فى جامعة طوكيو ، وسيلقي محاضرته فى اميركا الشمالية واوربا الشمالية ، والاستاذ انيزيو تيكيرا مدير معهد الدراسات التربوية فى وزارة التعليم البرازيلية ليلقي محاضرته فى بلدان آسيا .

* وضع الاستاذين سينج يونج العضو بسكرتارية اليونيسكو مؤلفا بعنوان « الوظيفة العامة الدولية ، حول مبادئها ومشاكلها » وقد نشر المؤلف المعهد الدولي للعلوم الادارية .

* اصدرت اليونسكو مطبوعا بعنوان « عطلات فى الخارج » ليجد الراغبون فى قضاء عطلاتهم في الخارج بقصد دراسة ثقافية البلاد الاخرى التي يقصدونها بيانات هامة عنها .

* تنظم اليونسكو بحوثا دولية فى مجال علوم البحار بقصد اكتشاف كنوزها ، فالبحار تغطي ثلثي الكرة الارضية التي نعيش على سطحها دون ان نعرف عن اسرارها الا القليل . وقد تألفت اخيرا لجنة خاصة برئاسة الاستاذ هاريسون بروان بمعهد التكنولوجيا فى كاليفورنيا ، وضعت برنامج عشر سنوات للكشف عن اسرار البحر .

* على مائدة مستديرة جمعت حولها فى قاعة المؤتمرات الكبرى باليونسكو ثمانية من كبار رجال العلم فى العالم منهم خمسة من الفائزين بجائزة نوبل تناول الحديث موضوع « الانسان والتقدم العلمي

الحديث » ومصير المجتمع الانساني ازاء التغييرات العميقة التي ادركته نتيجة لتطور العلوم واجهزتها الحديثة .

* اجتمع في دار اليونسكو مؤخرا ممثلو المؤسسات العالمية المختصة بجميع فروع السينما والتليفزيون لوضع برنامج العمل لمنظمة دولية جديدة اتخذت لها اسم المجلس الدولي للسينما والتليفزيون

* اختارت الاكاديمية الفرنسية جون روستاند للعضوية فيها في المكان الذي بقي شاغرا بموت ادوارد ابرواط . وقد احرز روستاند على 17 صوتا من 31 صوتا من جانب اعضاء هذه الاكاديمية .

* احتفلت اسبانيا الادبية بالذكرى العشرينية لوفاة الشاعر الاندلسي الكبير انطونيو ماتشادو .

* قررت مجلة «لاتينيتاس» التي يصدرها الفاتيكان اجراء مسابقة على سبيل التجربة في الشعر والنثر باللغة اللاتينية حول المواضيع الآتية : انفجار قنبلة ذرية ، قصة رحلة الغواصة نوتيلوس تحت القطب الشمالي .

* سافر مؤخرا الى ايطاليا وفد من طلبة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة لزيارة المعاهد الفنية والاكاديميات الايطالية .

* احرز مؤخرا احد العمال الايطاليين وهو ميشال ماريانو على الجائزة في الآداب من جامعة تورينو . ويشتغل ماريانو منذ ثلاثين سنة عاملا في احدى دور الصناعة بالقرب من مدينة تورينو . وقد قدم اخيرا اطروحة في تاريخ اللغات ومقارنتها ونجح فيها نجاحا باهرا تأثر له كبار الشخصيات الحاضرين. وقد ضحى ماريانو المتزوج منذ عشرين عاما بالنفس ما عنده طلبا للعلم ؛ وكان يتلقى الدروس في اوقات فراغه عندما ينتهي من عمله بالمصنع ، ولم يعرف المدرسة الا في حداثة سنه ، ولم يختلف اليها الا مدى ثلاث سنوات .

* اعلنت ادارة الاحصاء لبلدية روما ان عدد سكانها يبلغ مليونين . وفي يوم الخميس الواقع في 16 ابريل الماضي احتفلت بذكرى 2712 سنة على تاسيسها .

* تم في بريطانيا اخيرا صنع جهاز الكتروني جديد يدعى « اميديك 2400 » يستطيع ان يستوعب كل ما تحتوي عليه الموسوعة البريطانية (المؤلفة من 24 مجلدا ضخما) من معلومات في مدة لا تتجاوز اربع دقائق .

* تدرس وزارة التربية في لندن مشروعا جديدا لزيادة عدد كليات تدريب الاساتذة 50 بالمائة في ميادين العلوم والرياضيات .

* سيقام في بريستول بانجلترا بين الرابع والعشرين من يوليو والثاني من غشت مهرجان مشترك لاتحاد طلبة المسرح الاوربي ومعهد دلفيس . ودلفيس مدينة يونانية قديمة فيها معهد ابولو وهو ابن جوبيتر . وهذه هي المرة التي تلتقي فيها هاتان المنظمتان العالميتان الشهيرتان لطلاب التمثيل والمسرح في مشروع موحد . وسيصحب المهرجان عرض الرسوم ، والصور الفوتغرافية ومواد اخرى تعبر عن المساعي والجهود التي يبذلها طلاب التمثيل (الدراما) الاوربيين وسيقوم بالتحضير للعرض والمهرجان قسم التمثيل التابع لجامعة بريستول التي تعتبر عضوا في كلتا المنظمتين .

* في لندن صدر مؤخرا كتاب يقال انه من احسن ما كتب في الظروف الاخيرة . وهو عبارة عن رواية جديدة للكاتب غراهام غرين بعنوان «ممثلنا في هافانا» .

* قامت في الاوساط الادبية في لندن ثورة عنيفة ضد رواية « لوليتا » التي صدرت في اميركا، ثم ارسلت نسخ منها الى لندن ، وسبب الثورة ان طبعة جديدة من الرواية صدرت في باريس باللغة الانجليزية ، وارسلت منها كمية ضخمة الى ابريطانيا . وطالب كثير من رجال الفكر في بريطانيا بعرض موضوع الرواية على احدى المحاكم لمصادرتها باعتبارها رواية فاسدة تصور الانحلال الخلقي . اما مؤلف هذه الرواية فهو روسي هارب من موسكو ، ويعيش الآن في نيويورك وروايته تصور حياة شيخ عجوز يخدع الفتيات الصغيرات ، ويسلبهن اعز ما يملكنه . ان مؤلف الرواية اسمه فلاديمير نابوكوف .

* ابتداء من يوم 29 يونيه الى 4 يوليو سيقام مؤتمر في كمبردج للمكتبات الموسيقية .

* طلبت جامعة سان فرانسيسكو من وزارة التربية والتعليم للجمهورية ع . م . ترشيح استاذ مصري لتدريس الدين الاسلامي بها .

* انتخب اربعة مشاهير الكتاب والفنانين في امريكا لعضوية اكاديمية العلوم والفنون التي لا يتجاوز عدد اعضائها الخمسين . والاعضاء الجدد هم: الموسيقار صموييل باربر ، والرسام تشارلز بور تشفليد ، واللاهوتي ريولد لدنيبهر والشاعر وليم كارلوس وليمز .

* صرح عالم اميركي للآثار يقوم بالتنقيب عن قصر الملك ميدا في تركيا على راس بعثة تنقيبية ان هذا الملك الذي تقيد الاساطير انه كان اذا لمس شيئا تحول الى ذهب ، يظهر انه كان غنيا جدا خلافا لما روته الاسطورة . وان اليونانيين نقلوا عن ميدا اسطورة لمس الاشياء ، لانهم كانوا على علم بثرائه ، وان افراد البعثة يأملون العثور على كنوز هذا الملك الخيالي .

❊ تقرر ان يعقد اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة ، وكندا مؤتمره السنوي الثامن في مدينة ميشيغان بولاية انديانا في شهر يونيه المقبل .

❊ اعلنت دائرة الانثروبولوجيا بمتحف التاريخ الطبيعي الاميركي عن ايفاد بعثة الى المغرب لدراسة حياة البربر . وتشتمل الدراسة المقترحة بحث النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة بين قبائل البربر التي تقطن الريف وجبال الاطلس .

❊ توفي في البرازيل الشاعر اللبناني المهاجر وهيب اسكندر عوده .

❊ زار المغرب اخيرا الشاعر الجزائري الفحل الاستاذ مفدي زكرياء ، واجرى ندوات ادبية في الرباط كان لها اعمق الوقع ، وتشرف بالمثول بين يدي صاحب الجلالة ، وقدم لجلالته بعض تسجيلاته الشعرية الحماسية .

❊ اهدى الشاعر الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي سفير المملكة العربية السعودية بالمغرب الى صاحب الجلالة محمد الخامس طبعة جديدة من كتابه المعروف « الاعلام » في مقابلة ملكية .

❊ ذكر الاستاذ ابراهيم الكتاني ، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط «ان اول من اكتشف مخطوطة «البرصان والعرجان» هو الشاعر الاستاذ محمد المختار السوسي في سنوات سابقة ، خلافا لما يقال من ان الدكتور صلاح الدين المنجد هو الذي كان اول من اكتشفها عندما كان حضرته بالمغرب » .

❊ بعد زيارة الوفد الثقافي المغربي للاقليم المصري سافر الى الاقليم السوري من ج. ع. م. ، وزار جامعة دمشق ومدارس هذا الاقليم ، ثم توجه الى لبنان .

❊ الى جانب المباراة السنوية التي تقيمها وزارة التربية الوطنية لفرق الهواة المسرحية ، ومباراة الشبيبة ، توجد هذه السنة جائزة لاحسن ممثل ينظمها الاتحاد المسرحي بالبيضاء .

❊ القى الاستاذ محمد عزيمان محاضرة حول المؤتمر الرابع للادباء العرب بالكويت ، وذلك في قاعة المحاضرات التابعة لوزارة التربية بتطوان .

❊ اقام المركز الثقافي للجمهورية العربية المتحدة « معرضا للكتاب العربي » في الرباط ، مشتملا على آخر ما قدمته المطبعة العربية .

❊ احتفلت الباكستان بذكرى الشاعر الخالد محمد اقبال الذي ولد بالباكستان ودرس فيها واتم تعليمه بانجلترا ثم عاد الى الهند مجاهدا في سبيل الفكرة لخلق دولة اسلامية بالهند ، فكانت افكاره الشعلة التي انتهت بتاسيس دولة الباكستان بمساعدة محمد علي جناح . كما احتفلت بهذه الذكرى ايضا جامعة القاهرة وشارك فيها كثير من رجال الفكر والثقافة .

❊ صدرت بالقصر الكبير مجلة ادبية بعنوان « الجذوة » فنتمنى لها حياة طويلة .

وفاة العالم السيد المدني بن الحسني

استأثرت رحمة الله عصر يوم الاثنين رابع مايو 1959 باحد اقطاب العلم والحديث بالمغرب ، ذلك هو الشيخ السيد المدني بن الحسني عن سن تناهز السبعين .

وقد خلف العالم الراحل مؤلفات لم تطبع في حياته ، وعسى الا يتقاعس السادة ورثته عن طبعها ، احياء لذكراه ، وخدمة للثقافة الاسلامية .

واسرة « دعوة الحق » تتقدم بتعازيها الى عائلة الفقيد واصدقائه وتلامذته الكثيرين ، راجية لهم الصبر والسلوان ، وللفقيد الرحمة والمغفرة والرضوان .

فهرس العدد التاسع ـ السنة الثانية

الى حضرات السادة الكتاب

ستنهي المجلة سنتها الثانية بصدور العدد المقبل ــ العاشر ــ الذي سيظهر في فاتح يوليوز 1959 .

وستعمل المجلة على ان يكون هذا العدد الذي ستختم به سنتها الثانية عددا ممتازا في مواده وحجمه وشكله ، وذلك كما فعلت في العدد الذي انهت سنتها الاولى ، الماضية .

لذلك فان المجلة تتقدم الى حضرات السادة الكتاب والادباء والشعراء الذين يرغبون في المشاركة في هذا العدد ان يتفضلوا ــ مشكورين ــ بارسال انتاجهم اليها في اقرب فرصة ممكنة ، بحيث تتمكن من ادراجه في العدد المذكور .

دعوة الحق

مطبعة فضالة ــ فضالة